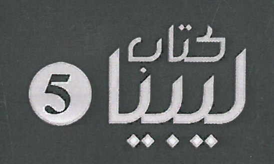


الشيخ المجاهد

سالم بن عبدالنبى

فارس القبلة وقائد معركة قارة سبها

مع تفاصيل عن حياة قادة الجهاد الوطنى



تأليف / د.عبدالوهاب محمد الزنتانى

الحائز على جائزة إبن سينا فى الأدب من أجل السلام

هذا الكتاب،،

في ملحمة الجهاد الوطني الليبى ضد الغزو الايطالي كان الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني من أبرز قيادات الجهاد، وقد عرف أنه مخطط إستراتيجى حتى انه لم يخسر معركة واحدة من المعارك الكثيرة التي خاضها طيلة عقدين ن الزمان، ولقد قال عنه القادة العسكريون الإيطاليون أنه مثل (الذئب) يشم الحديد من تحت الأرض، هذا الرجل قاد الجهاد الوطني طيلة عشرين سنة كاملة لم يساوم فيها ولم يهادن ولم يتراجع، كان مطلوبا من طرف السلطات التركية إبان الحكم التركى العثمانى لأنه رفض الظلم والعبودية، وصار مطلوبا من طرف السلطات الإيطالية لأنه يرفض الإستعمار والإذلال والسيطرة،

هو قائد معارك القبلة وبطل معركة (قارة سبها - معركة القاهرة) لقد عاش مناضلا مجاهدا بكل شئ من أجل الوطن والدين والحرية، توفاه الله في (القرية الغربية) موقع رأسه بعد أن تخلص الوطن من الإستعمار الايطالي ، رحمه الله رحمة واسعة،وهذه سيرة حياة أحد أبرز رجالات الجهاد الليبى،،



الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبي

د. عبد الوهاب محمد الزنتاني

سلسلة كتاب ليبيا

إشراف عام

د. عمر حسن القويري

اسم الكتاب :

الشيخ المجاهد سالم عبد النبي

اسم المؤلف :

د. عبد الوهاب الزنتاني

رقم الكتاب في السلسلة : 005

الترقيم الدولي :

978-977-726-136-4

رقم الطبعة : الثانية

تاريخ النشر : 1436هـ - 2015

الناشر :

الهيئة العامة للإعلام والثقافة والآثار

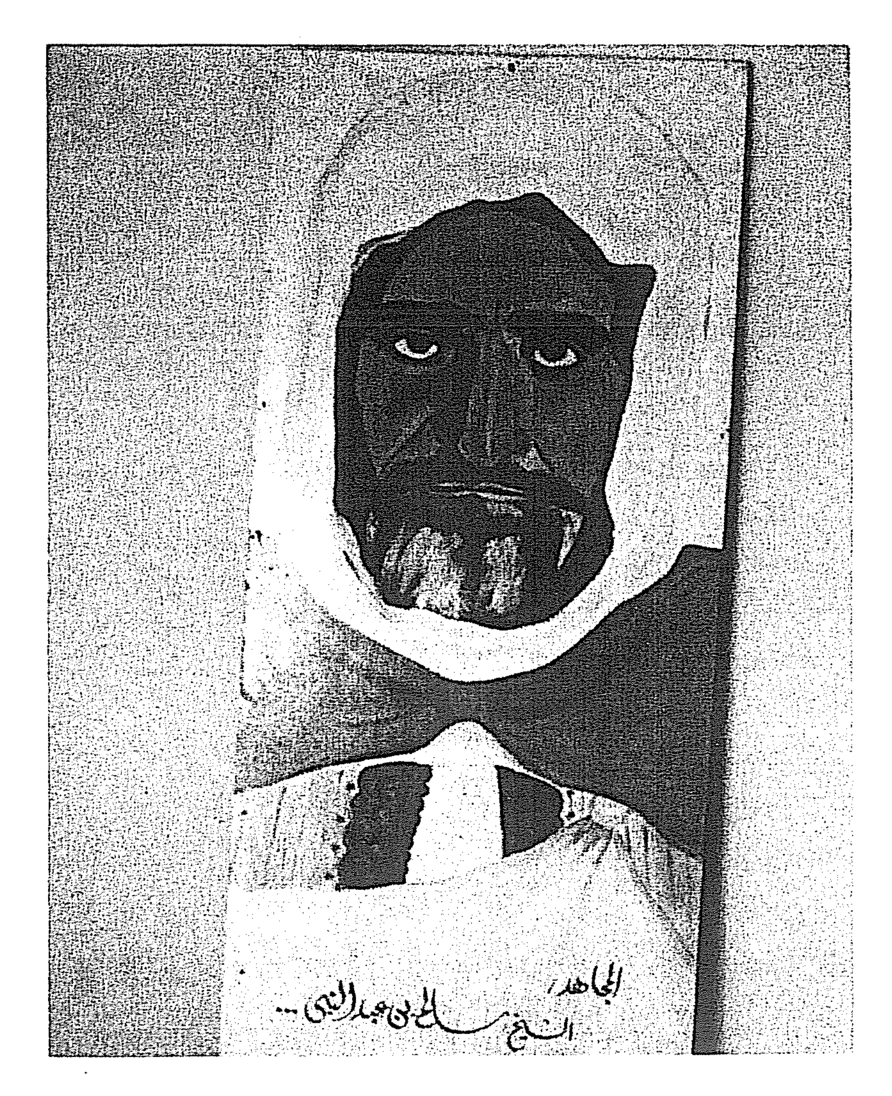


إهداء

إلى الذين في سبيل الوطن والعروبة والإسلام رووا بدمائهم تراب ليبيا، وقد صعدوا بأرواحهم إلى السماء فكانوا وما زالوا نجوما تنير الطريق، وصاروا في حياتنا مجدا وفي تاريخنا برهانا على الأصالة والصدق،،

إليهم الرحمة من الله وهذه الكلمات من مجتهد يبحث عن الحقيقة .

المؤلف



الشيخ سالم بن عبدالنبي

الناكوع الزنتاني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣ ﴾

[آل عمران:13]

صدق الله العظيم

تقديم

خلال زيارتي لبلدية الزنتان في شهر ابريل 2015م ومنذ اللحظات الأولى التي وطئت قدماي فيها أرض المطار لم يفارقني الأصحاب والأصدقاء ومن لا أعرف وكل يعرض تقديم مساعدته والقيام بواجب الضيافة، كان في استقبالي عميد البلدية الشيخ (مصطفى الباروني الزنتاني) الذي حمل الأمانة في تدبير شؤون هذه المدينة في أحلك الظروف وأصعبها واستطاع بمهارة وتوفيق من الله تعالى أن يعبر بالمركب الى شط الأمان، حرصت على انتهاز هذه الفرصة باللقاء والالتقاء بكافة المكونات الثقافية والاجتماعية والنخب السياسية والقادة العسكريين بالمدينة، وقد غمرني الناس بلطفهم وحسن استقبالهم صغيرهم وكبيرهم وقد ساهم الجميع في تعريفي بتاريخهم وثقافتهم وموروثهم الحضاري والإنساني الذي يعتزون ويفاخرون به ويتوارثونه ويورثونه للحفاظ عليه.

تعرفت على الزنتان الإنسان، والزنتان الأرض، دخلت لأول مرة دواميس الجبل وهي بيوت محفورة داخل الجبال وتحت الأرض لتقي الناس حر الصيف وبرد الشتاء بعضها لا يزال يستخدمه أهله للسكن والبعض الآخر حوله أصحابه إلى متحف جمع فيه المقتنيات الشعبية المنزلية والأسلحة القديمة



وأدوات الحياة ويستخدمونه أحيانا في تسجيل الأعمال الدرامية والفنية وأشهرها "داموس أبوروجة" و "داموس بالة"، زرت المشايخ والأعيان والتقيت بالشيخ الفاضل الطاهر جديع والشيخ مختار الفكحال وأعيان المجلس الأعلى لقبائل الزنتان، الأساتذة والمثقفين الدكتور مسعود قريفة، والدكتور أبو القاسم شلوف، كانا نعم الرفقين شرحا وتوضيحا، الجميع تشغلهم ليبيا ويريدون الاستقرار ويسألون ماذا يريد الفرقاء وملامح القلق والأمل تبدو على وجوههم.

خلال زيارتي لقناة الزنتان الفضائية عرض علينا مديرها الأستاذ جمال الكُر فيلما وثائقيا من إعداده يتحدث عن المجاهد الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني أحد قادة الجهاد العظماء في ليبيا وقد أعجبني هذا الفيلم وشجعت القناة وفريقها الفني انتاج مزيد من الأعمال للتعريف بشخصيات وطنية كان لها دور في رسم تاريخ ومعالم ليبيا التي نعرفها ونعيش فيها اليوم، وأصر الأستاذ جمال الكُر وشدد على ضرورة قيامي بزيارة الى زنتان القبلة وهي تضم القريات الغربية مسقط رأس الشيخ سالم بن عبدالنبي والقريات الشرقية ومدينة طُبقة المباركة، وتكفل بإعداد العدة والتجهيزات لهذه الرحلة، ورغم صعوبة الطريق ومشقة الرحلة في قطع طريق الحمادة الصحراوي إلا أنني وافقت على هذه الزيارة وحسناً فعلت فقد اكتشفت كنوزا وحضارة وتاريخا واكتسبت أصدقاء أفخر بالتعرف عليهم.

غنية "القريات الغربية" بتاريخها وحاضرها تجولنا فيها وتنقلنا بين معالمها تتوسطها واحة من النخيل كانت زاد السكان طيلة مئات من السنين الماضية يقتاتون على رطب نخيلها ويعتاشون منها وبها قلعة رومانية تاريخية استخدمها الاحتلال الايطالي وهي وإن كانت تحتاج إلى صيانة وترميم إلا أنها بحالة عامة جيدة وهناك العديد من الأماكن التاريخية الأخرى التي تحتاج إلى تنقيب واستكشاف ويوضع اسمها على خارطة السياحة الداخلية والدولية.

توجهنا إلى منزل الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الغناني الزنتاني وهو عبارة عن بيت مبني من الحجارة واستخدم في بنائه بعض حجارة القلعة الرومانية القديمة وبجوار المنزل داموس الشيخ الذي كان مقر اقامته يستقبل فيه ضيوفه ويعقد فيه اجتماعاته القبلية ويعد فيه الخطط العسكرية مع رفقائه في الجهاد ضد الاحتلال الايطالي، كان في استقبالنا أحفاد الشيخ (عمر المهدي سالم، الحاكم المهدي سالم، عياد المهدي سالم، محمد البكوش إبراهيم، المبروك البكوش إبراهيم) وجيرانه ورحب بنا حفيده وقال: "أشكركم على زيارتكم لهذا المكان الذي كان شاهداً على صناعة أحداث تاريخية مهمة في ليبيا وأقول لك بكل تقدير واحترام بأنك أول مسؤول حكومي ليبي يزور هذا المكان منذ وفاة الشيخ مرورا بكل الحقبات والحكومات المتعاقبة على ليبيا حتى في العهد الملكي لم يلتفت أي منهم لهذا المكان ولم يولوه اهتمامهم ورعايتهم وقدم شرحا مختصرا عن حياة الشيخ وقدم بعض مقتنياته للتعريف بها، بندقيته التي كان

يحملها يجاهد ويقاتل المحتل بها، الراية السنوسية التي كان يقاتل تحت شرعيتها وبعض من الصور التاريخية له في المهجر"، وقدم لي أحفاد الشيخ هدية ثمينة قالوا لي أنها آخر نسخة من كتاب الدكتور عبدالوهاب الزنتانى بعنوان "فارس القبلة "عن حياة الشيخ نقدمها لك تقديرا لزيارتك فإننا نهديك إياها للتعرف على الشيخ بشكل أفضل وموثق، شكرتهم على هديتهم وتعاهدت لهم بإعادة طباعة هذا الكتاب على حساب هيئة الاعلام والثقافةلما له من أهمية تاريخية وثقافية.

اتصلت وتواصلت مباشرة بأستاذنا الدكتور عبدالوهاب الزنتاني الذي كان موجودا في تونس لدواعي العلاج شفاه الله وأبلغته عن رغبتي في اعادة طباعة هذا الكتاب فرحب بالمبادرة وشكرني عليها وأبلغني أنه انتهى من اعداد نسخة جديدة من الكتاب منقحة ومزيدة جاهزة للطبع فطلبت منه ارسالها وضرورة الاسراع في انجازها لنفي بوعدنا وتعهدنا لأحفاد الشيخ بإعادة طباعة الكتاب وتقديمه لهم وللقراء الكرام وكان هذا المولود والكتاب المبارك ليضاف إلى رصيد المكتبة الليبية.

عمر حسن القويري

رئيس الهيئة العامة للإعلام والثقافة

2015-06-28

مقدمة الطبعة الثانية

كانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد نفذت من المكتبات الليبية في وقت قياسي مما يدل على أن الليبيين يهتمون كثيرا بتاريخهم الوطني وأخبار قادة جهادهم الكبار، ولظروف شخصية (مالية بشكل خاص) لم أتمكن من الوفاء بواجبي تجاه القراء الكرام بحيث أعيد نشر كتاب حياة الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع، وبعد وقت غير قليل بادرت الجمعية الوطنية الليبية للشباب مشكورة بطلب الموافقة على إصدار الطبعة الثانية، وهي مشكورة إذ ارتأت ضرورة وأهمية إعادة النشر، وأنا مع شكري وافقت فورا على هذا الطلب على أمل أن يفي الكتاب بالغرض وأن يأتي في الوقت المناسب، ولكن مع الأسف كان النظام الحاكم يمنع كتاباتي كيفما كانت وبالتالي مُنعت الجمعية من تحقيق هذا الأمل وبقي الكتاب إلى أن أفاء الله على كل الليبيين بالنصر المؤزر في ثورتهم المباركة، ثورة 17 فبراير وأعانني على طبع ونشر كتاب سيرة الشيخ البطل سالم بن عبدالنبي فحمدا لله .

وسالم بن عبدالنبي الناكوع الزنتاني، هذا المجاهد البارز في كل شئ، العجيب في أفكاره التي يدافع عنها بكل حرارة وإصرار، وفي مواقفه التي لا يتزحزح عنها

قيد أنملة، وفي إيمانه الصوفي، وفي انتصاراته في المعارك التي خطط لها وقادها، في بساطته وتقشفه.

هذه الأمور كانت دواعي انشغالي به، وليس لأن أحدهم أراد أن ينال منه بالتجريح والانكار وتلفيق الأحداث والمواقف ولوي أعناق أحداث التاريخ الوطني، وإنما لأن هذا الرجل (سالم بن عبدالنبي) يجمع بين أشياء وصفات يرى فيها الدارس عجبا، فهو صوفي متديّن يكره الدم، وهو مقاتل شجاع مقدام، وهو شعلة من الذكاء الفطري، وهو مخطط استراتيجي وفارس في الميدان، أثناء التصادم يكون عسكريا في ثوب مدني، وفي الحياة اليومية بدوي يعيش على الكفاف يرعى الغنم، يحرث ويحصد، وفي الأمور الإجتماعية هو أب حنون يتعلق قلبه بالأسرة على الرغم من بعده غالبا، يخوض المعارك مقاتلا أو مسافرا أو مهاجرا، لم يألف حياة المدن، ويرى في الصحراء حرية وفي الطبيعة جمالا، وهو يأخذ دائما بناصية الأمور فلا يتأخر عن معركة ولا يتردد في إبداء رأي، ولا يترجّل من على سرج فرسه إلا بعد أن ينقشع غبار المعركة، ولا يجامل فيما يخالف عقيدته، ولا يهادن من يعشق المادة الذي تلين قناته أمام الإغراء، يلتزم الحق ويدافع عنه مهما كان المواجه له مخالفا أو موافقا، وهو يستدل دائما بقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم].

والشيخ سالم هذا الرجل الذي قال عنه الإيطاليون "إنه كالذئب يشم الحديد تحت الأرض" قد عرف بأنه صموت حذر عف اللسان، يفكر كثيرا قبل أن يتخذ القرار أو يتحدث ولهذا فهو قليل الزلل، وتذكر لنا كتب التاريخ أنه بعد النصر الذي تحقق للمجاهدين بقيادته في معركة علاّق التي جرت يوم 9 مارس 1929م قرر بعض رفاقه مباشرة خوض معركة أخرى عندما علموا أن قوات العدو الإيطالي تتواجد في مكان قريب فقال :"إن نصرين متتاليين في وقت واحد لا يمكن أن يتحقق فيهما نصر، إذ أن العدو لابد أنه استعد بعد انتصارنا على قواته في معركة بئر علاّق"، لكن رفاقه أصرّوا على ما أرادوا وخاضوا معركة (قرعات الحطب وأبو القلوب) حيث كانت الطائرات الإيطالية في انتظارهم وكانت ضربتهم قاسمة، ولقد توفرت لدي وأنا أعد للطبعة الثانية هذه (معلومات دقيقة عن رأيه وموقفه عن تلك المعركة بواسطة شريط مسجل من ابن شقيقه الذي رافقه في رحلته إلى تونس ألحقه بهذه المقدمة لمزيد من الإيضاح والفائدة إن شاء الله).

كذلك يذكر أن الشيخ سالم لم يحدث أن بسط يده ضراعة لأحد، وكان قنوعا ربما تمثلا ببيت الشعر العربى القائل:

والنفس راغبة إذا رغّبتها ... وإذا ترد بالقليل تقنع



وأعتقد أنني لا أضيف كثيرا إلى ما ذكرته في مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب وأكتفي بالقول (أن العظيم يبقى عظيما في عيون أصدقائه وأعدائه) وفي مناقب الرجال قالت العرب (فلان ما أعظمه مفقودا وما أكرمه موجودا).

وهذا نص ما جاء بشأن معركة علاق ورحلة الشيخ سالم بعد تلك المعركة إلى تونس حيث تواترت واختلفت الروايات عن هجرة الشيخ المجاهد بعد انتصاره في معركة (بئر علاّق)التي كانت آخر المعارك في جنوب غرب ليبيا سنة 1929م، ولهذا أردت هنا أن أقدم في الطبعة الثانية من هذا الكتاب رواية ابن أخي المجاهد الذي كان مرافقا له وبقي معه في تونس عدة سنوات لإعتقادي بأنها الأصح وأنها قد تفيد قراء تاريخ فترة الجهاد الليبي ضد الغزو الايطالي، قال وهو يتحدث في البداية عن سجن الشيخ سالم بن عبدالنبي وكيف أنه اقنع الوالي الايطالي في طرابلس بأن لديه كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر مردومة في الجنوب وأنه طالما سلّم نفسة فهو يريد أن يسلم الأسلحة تلك، وهذه رواية معروفة ومتفق عليها، ولهذا رأيت أن أتجاوزها، وبدأت أسجل الأحداث منذ وصل الشيخ سالم بن عبدالنبي إلى سبها ليجد ابنه وأخاه في السجن، قال: "وين جا لبراك، خش للماجور لأن براك فيها ماجور (ميجر)، قال هادا الماجور للشيخ ولدك وخوك وحمد المحروق بلّغ فيهم واحد وظهر عندهم سلاح وولدك عندا بندقا دقرا بوحريبا وعندا ورور (مسدس) ظهّرهم عليه اللي بلغ على ولدك وخوك، وأنا زعلت عليهم حبستهم.. قاله عمي سالم لو

كان واحد من هالناس قال فهاداك شي، أما وأنت ماجور دايراتك الحكوما تحكم في الشاطئ في فزان من براك إلى ادري يجي في فكرك إني أنا نعبي ثلاث كراهب بالسلاح وولدي نخليلا ديقرا وورور هادي يبي يحارب بيها طاليا؟ إذا كان تبي تصنّت فينا الخبرإحنا كلنا نموتو وخلاص... قاله الماجور وأنا عرفتا كذب لكن توا أنا استغضت عليهم حبستهم وتوا نطلقهم... قال ظهرت منه لاقوني الخيل إمبيلكات، الخيل جايبينهم، خيلا هوا وخيلي أنا وخيل عمر رمروم، وهادي الخيل فيها اللي جايبينهم من علاق وفيهم اللي خيلنا من الأول، رجع عمي سالم للماجور وقاله يا حضرت الماجور الخيل متاعتي أنا وعيالي إمبيلكينهم العسكريا بأمرك واللا من غير أمرك ؟ قال الماجور بأمري .. قاله شنو السبب؟ قال الماجور الخيل هادولا للحكوما.. قاله السبيب كله متاع فزان للحكوما واللا غير الخيل متاعاتي أنا... قال الخيل إمتاعاتك إنتا... قاله شني معناها ... قال الماجور هادول مجيوبات من علاق.. قاله كان اللي راح ومجيوب من علاق كله للحكوما ماعنديش ما يخلصا وكان الحكوما سامحت في علاق وغيرها... قال الماجور هللي مدرّق سامحت فيه واللي قبالا نابيه... قاله أنا عارفا الملعب قهدي... قال قلته سبعا واللا ثمانيا من الخيل هادول شاريهم بفلوسي... قاله هللي شريت منه يعطيك فلوسك، قاله وين هوا ؟ واحد هرب مشي للسودان للفرنسيين وواحد مشي لتونس وواحد مشي لمصر وكيف الحكوما تخسّرني... قال الماجور قلت لك ما تركبش على خيل

الحكوما قدامها... المهم جانا في ادري جابوهولنا في ادري وطلقونا إحنا من الكتاف قبل لا يصل هوا طلقونا من الكتاف وداورلنا بطاطين فرشوها وطبسو الكرابينيري يديرولنا في الشاهي والكاكويه، هادا باش يطمان هوا ما ينخلعش يلقانا مكلبشين، خش كلم المارشال الطلياني وهوا داخل نسمعو فيه إحنا يكلم فيه عن طريق الترجمان قال هالناس المحابيس فاش؟ الحكوما ماتظلمش إذا تبو شي أنا سالم بن عبدالنبي أنا مولا السلاح أنا مولا الفوشيك أنا للحبس أنا للموت الحكوما هللي تبي إديرا إديرا فيا أنا، الناس المظاليم هادي فاش جت واحد صغير وواحد مسكين يخدم على عيالا، الحكوما ما تظلمش... الحاصل قاله باهي هادولا من هالساعا مطلوقين، دارو عماه حوالي خمسين نفر وتينينتي طلياني، دارو إسقدو عمانا، عندنا عين ونخل تبعد عن إدرى حوالي ثلاثا كيلوميترو هوا هادا وين كمّن السلاح وراهم وقاللهم إحفرو هنا وهنا طبسو يجهرو جبدو الكور والفوشيك فرحو، يعني قالو الراجل خلاص ما عادش عندا حيلا قولولا توا يعني عندك إذن تروح لعيالك يعني لنزلتك ولناسك، ولكن دايرين عمانا عسّا من خمسا وعشرين مهيريستا هادول حدانا ديما رسمي، قعدنا نهارين واللا ثلاثا وطلبو عليه الرحيل لبراك هادا توا أمتى الرحيل لبراك وكيف النجوع اللي عماك وخوتك وعيالك وبني عمك وأولاد بوسيف والناس اللي عماك كلهم الرحيل لبراك...قعد يترجا سبحان الله براك هادي موش بلادنا، براك ما فيهاش ما ياكل الحيوان إمتاعنا ما فيهاش كيف إنديرو، الحكوما كانها

مأملا فينا تخلينا هنا في إدري أو ترحّلنا للقريات أو ترحلنا لتاغرمين لبلاد الزنتان، قالولا هادا أمر الحكوما أمر القوفيرنو... قاللهم القوفيرنو قاعد في بالاس وما يدريش على البل شن تاكل وانتا الحاكم اللي عمانا تعرف مصلحتنا تكلم علينا... قاله أنا مانتكلمش، ممنوع...قال باهي خليني أنا انراجع بروحي... قاله ممنوع توا عندنا سايقين منا خمسا وعشرين جمل يجيبولهم في السبيزا من براك ...قاله عمي سالم نترجاك ما ترحلناش لين يجو الجمال من براك ونترجاك تعطيني إذن في الغنم جميع الغنم اللى عندي نبى نبيعها للعساكر ياكلوها...الغنم هادي تبي تموت مني في براك ماعندهاش ما تاكل وفي الشاطئ من هنا ليا قداش بلاد ما فيهاش مرتع ما تاكل البل لا الغنم نترجاك الرحيل يجي عما خط زلاف، زلاف هادي فيها ما تاكل البل، هادي خطا دايرها تبي الوسع لا تلاقيك كراهب ولا غيرها، أما الشاطئ كل بلاد فيها برقن وونزيريك وقطا ومحروقا والقرضا وآقار، الحاصل كلها ليا براك ما فيش بلاد فاضيا... قال هاداك المارشال باهي، اللي طلبا قال باهي وقاله بعد ثلاث أيام يجو الجمال هللي يجيبو في السبيزا للطليان وقال خشّو خوذو كراكم وكان الكرا ثمانيا فرنك للجمل وثمانيا فرنك لمولاه، خشّو خوذو كراكم وهاديك الغنم جبناها كلها بعناها للعسكر فضلو منها ست شياه لعمي وأربع شياه لى انا ذبحناهم قال لي أذبحهم للعيال خلي ياكلوهم.

سؤال، هل بعتوها بثمنها الحقيقى ؟

قال، لا لا النعجا اللي تساوي ستميا بعناها بخمسين فرنك، قال عمي بيع بللي يساوموك حتى بعشرين فرنك بيع إزقّمت خلاص، هادا كله ما زال ماخبرناش هوا جازم على لهروب لكن مايبّيش يخبرنا إلا ليلة نبو نهربو، توا نهار يجو الجمال ليلتها نبو نهربو، انباعت الغنم قبلها ونهار جو الجمال قاللهم برو اخلصو وبرو املو القرب بالميّا الحلوا راهو طريق زلاف ماه مالح، مشو ملو القرّب بالميّا وساوو أرواحهم .. قال خلاص غدوا نرفعو ونادا واحد منطاز ودار عماه أطناشن مهري وقاله أنتا تمشي عماهم، قال عمي سالم خلاص، توا نادانا وقال الليلا رانا نبو نهربو رانا نهار يوصلونا لبراك يجمعونا عما صالح والجماعا المحابيس ونهارتها يا نموتو ورزقنا للبيليك أو ننحبسو مدّت عمارنا ورزقنا للبيليك، وهادا ماهوش شغل حياة، الليلا الهروب يا كبادي كان نجانا ربي نجينا وكان ما هادا يلحقونا ونموتو سخونين خير من نموتو مشنقين...قلنا باهي إحنا زاهقا كبيداتنا من هاديك الحبا، أنا واحد ماعادش شاغلني لا سيدي ولا أمي ولا عيالي.

سؤال، كل العائلات خليتوهم؟

قال، الكل خليناهم العيال النساوين الأطفال

سؤال، خليتوهم في براك ؟

قال : لا، في ادري، الحال توا وين عيّن الايطالي عمانا هادوك الأطناشن مهري قال عمي هالأطناشن مهري هادول نبي نديرلهم حيلا كان إفتكينا منهم هوينا إفتكينا من سوّهم، وكان مشو عمانا نبو ندورو عليهم ميا في الميا، الليلا نبو ندورو عليهم يا نقتلوهم ونسوقو البنادق والمهاري يا نكتفوهم ونخلوهم مكاتيف، توا دارلهم دبارا عندا عين توا بعيدا شويا عن إدرى فيها القصب وفيها البلح كيف طايحا العيّنا في النخل (البلح ناضج) .. قال للمنطاز، يا منطاز انتا تروّح عمانا لاش للنزالي لاش انتا والمهري تقعدو في العين هادى فيها القصب لمهاراكم وفيها البلح شبّعو مهاراكم وكل شئ ليكم موجود، وإحنا الصبح نجوكم هنا للرحيل، المنطاز قال باهي، هادي خطّا فكنا ربي منهم مساكين هما، فكنا ربي من ذنوبهم، وقال معناها إذا كان هربنا وما قتلنا حد المحابيس يعفي عليهم ربي يعني ولده وسيدي والجماعا وإذا كان قتلنا هادول بينقتلو المحابيس ميا في الميا ينقتلو .

سؤال، هل كان يعني ابنه صالح والجماعة الذين معه ؟

قال: ايوا، الحاج صالح وسيدي وهادول قعدو ست شهور بعدنا مكلبشين عما بعضهم، الحاصل خذينا وجوهنا، ليلتها سلاح عاد توا ما فيش لكن منغدويكتها الضحا جينا للسلاح .

سؤال، السلاح كان مردوم أين ؟

قال: مكمنينا في الكاف .

سؤال، في أي مكان بالضبط ؟

قال: في كاف غربي إدري بين إدري وبين الدويسا .

سؤال، قداش كيلومتر ؟

قال: إيجي عشرين كيلومترا، الحاصل الساعا اللي جينا للسلاح كأنها جتنا محلا فيها ألف مسلح .

سؤال، كم كان عدد البنادق ؟

قال: عشر بنادق وإحنا عشر ترّاسا، فهمت جبدنا هاداك السلاح وبتنا .

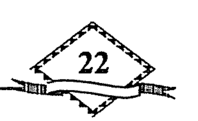
سؤال، هل تعرف أسماء العشرة ؟

قال: إي نعم، هما عمي سالم واحد هادا القائد والفقي حمد بن عبدالقادر زنتاني حتى هوا رجل كبير وفقي يحمل كتاب الله، والمهدي الدنقوز قديري هادا راجل عفريت حتى الألف مايعباش بيهم، وموسى الدعيس منا حتى هوا، وأنا العبدلله، وواحد يقولولا علي بن يونس ولد بنت الشيخ سالم، وبوبكر ابنه هوا توفى مات، وزوز عبيد واحد يقولولا بركا لينا إحنا وصيف مولّد وهوا خويا راضع عماي، وواحد وصيف للمرابطين يقولولا فرج يرعى لعمي سالم في البل، هادول العشرا وواحد من ورنزا الشرقيا يقولولا سي عبدالنبي بن عبدالسلام والعشرا حكّر هادا تنسى هادا كبيداتنا دم والله ما واقف علينا واحد طلياني أو مسلم كانش وإحنا ميتين لين نكملو كلنا، الساعا اللي وصلنا السلاح بدا واحد

يدير في الشاهي وواحد يدهن في البنادق أواحد يساوي في الحلاطات اللي داك تحزّم بحلاط مليان بالفوشيك، توا قلنالا الشور وين .

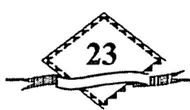
سؤال، السلاح اللي عنكم ما نوعه؟

قال: سلاح طلياني كله هوا اللي غانمينا من الطليان، فهمت توا الشور وين، قال الشور توا الطليان يبي يظهر من غات ويبي يخش الرملا على جرّت النجوع الأولين ويبي يظهر من غدامس ويخش الرملا ويبي يظهر من أوباري ويخش الرملا، الأمحال كلها ما يخطرش عليهم أن إحنا نبو نخشو وسط الطليان وانبّحرو امبحّر، توا إحنا نبو إنبقو على تونس هيا من هنا قريبا، قال نبو نتقو بين سيناون وبين وازن عما بارق النصف هنا وين مات محمد صالح التارقي فهمت، قلنا باهي اتكلنا على الله، وصلنا عوينت ونين وين جينا عوينت ونين تلاقينا إحنا وواحدين مسافرين هما زنتان هنا من طبقا، حياة السني الأحمر مات الله يرحما، وحياة سالم فنيك لاقونا مسافرين لفزان كمّن عمي سالم السلاح وقال ماتورّوش السلاح هادول ماشيين للطليان ويبو يخبرو هما مسافرين تجار، قالولا وين تبي يا شيخ سالم قاللهم طلبو علي الطليان الرحيل لبراك وعلى ما عالجت في قلّة الرحيل لبراك مابوش يقبلو مني سلّمت لهم في العيال وجاي نبى القريا وإذا كان يبو يجيبولي عيالي يجيبو وكيف ما يبو يديرو يديرو .



سؤال، هل هو قاصد القريه فعلا ؟

قال: هوا ماشي مغرّب لتونس إنما هادا من الخطّا، توا فاتو هادول ونهار ثالث يوم يبو يجو لإدري، وين وصلو نشدوهم الطليان منين جايين قالو جايين من طبقا والقريا قالوللهم وين ما لاقيتوش سالم بن عبدالنبي؟ قالو لاقانا.. وين لاقاكم ؟ قالو لاقانا في عوينت ونين، قالولهم وين ماشي، قالو قاللنا نبي القريا، نادو الطليان الناس اللي يخبرو الأرض وسألو قداش عوينت ونين من هنا؟ قالولهم مشي ثلاث أيام أو اربعا هما يبو يسبقو سالم بن عبدالنبي، ظهر المهر متاع درج عقبنا في الملاّحا توا وردنا إحنا الملاّحا القبليا وفتناها غادي وعقبونا على الملاّحا لقو عليها إبل للمشاشا نشدوهم ريتوش سالم بن عبدالنبي، إحنا تريس راكبين على مهارا كلنا ما حد يمشي على كرعيه ما عرفو الطليان شي، توا فيه باندا ظهّروها علخاطرنا من وازن كان فيها خمسا وسبعين نفر عسكر عماهم تينينتي على بغلة وعماهم شمباشي على بغلة ظاهرين قالولهم تبو تحجمو الطريق إلى سيناون سالم بن عبدالنبي هارب بالكش إتلاقو انتم وإياه، هما جاهم الأمر من وازن المغرب وخشو الليل وما مشوش واطو قياطينهم وإحنا نحوشو الليل كلّه، في القايلا إرتمينا عليهم هوينها القياطين والجمال يرتعو حداهم، قال عمي سالم خلاص هادا وين الكتبا، خلاص ياللا عقلو البل هنا واتتنا قرعاء فيها سبط وعروق رمل، القرعاء غارقا شويا وين برّكنا فيها البل أدرّقت عقلنا البل ولدنا بيها لود اللايد إحنا العشرا كل واحد انبطح في سبطا ما يبان منه شى وقال



إضربو لين تموتو كان هاجمونا، تريتهم مرقّدين كلهم ماروناش حكمة الله إذا كان الله تبارك وتعالى أراد قعدنا مرقّدين ليا قيس الظهر في الظهر جت سيارا كبيرا من متاعات الطليان ترينتاكواترو شكلها حمرا جت من نالوت تبي سيناون وين جت حداهم وقفت ناضو عرّشو عليها وفاتت الكهربا وبدو هما ولّعو النار يديرو في الشاهي، الحاصل بعد تالي بدو يلمّو في قياطينهم وطبّسو يرفعو .

سؤال، هل كنتم بعيد عنهم ؟

قال: لا، ياودّي ماناش بعاد، ما إيجيش حتى كيلومتر بيننا وبينهم لكن إحنا مردّقين لا البل قبالا ولا إحنا، إحنا في السبط راقدين، جا واحد عسكري قريب لينا ياسر قال المهدي الدنقوز القديري هادا اللي قلت لك عليه يضرب مليح، قال خلي يا عمي سالم نضربا هادا لابدا رانا .. قاله لا ماراناش لو كان رانا يهرب، خلي ما تتحركوش، الحاصل ما روناش رفعو وإسقدو وين إدّرقو عنا نضنا قال نوضو صلّو الظهر وصلّو العصر ولّعو النار وديرو الشاهي هادي بقعا طاهرا نجاكم ربي فيها، قعدنا في هاديك القرعاء لين صلينا المغرب بعد المغرب توكلنا على الله ليلتها ماشيين الليل وما طال وهوا السوط يرحي في البل وهي تقول أع أع (صوت خوار الأبل) من غدويكتها عند زروق الشمس جينا للنواظير اللي بين تونس وبين طرابلس .

سؤال، تعني الحدود التي بين البلدين ؟

قال: نواظير مكتوبات من وقت تركيا، من جاى عليها (ط)،أي طرابلس ومن غادي عليها (ت)، أي تونس، فهمت وين جينا غادي قال عمي سالم هادول الحدود توا الطليان ماعادش نبو نخافو منهم لكن الماء ماعندناش، المياه كملت وإحنا ما نخبروش المناطق ولا نعرفو كيف إنديرو، بعد شوي قتلنا العطش، توا خشينا وادي لرزوط ووادي جنين هادا وادي غارق فيه الأتل وفيه الرتم وفيه حقاف شينات، الحاصل قيّلت علينا القايلا والقبلي ينسف ويا من قضى ألطف... قال عمي سالم اليوم الماء مافيش وما يفكم إلا هالوادي البل خللي تقيل في هالأتل والرتم وأنتم خشو في هالحقاف وارقدو، عندا الزيت وعندا الفارينا، العوين هادا هوا وعندا السكر والشاهي، بدا يديريلنا روّينا نلحس شوي يعني ندهّن حلوقنا، حلوقنا يبسو من العطش .

سؤال، وأنتم ماشيين كيف كان وضع المياه؟

قال: الميا في القرب لكن كملو الله غالب، فهمت الحاصل العشيا نادانا أنا والمهدي الدنقور عندنا مهارا باهيات وقال ديرو زوز إقرب فارغات تحتكم وإتجهو هكي مغرّب إلى أن تغرب الشمس خوف ماعادش خايفين توا بدينا في الحدود إمتاع الفرنسيين حدود تونس، الحاصل مشينا غرّبنا إلى الليل وما لقيناش لا لقينا معطن ولا لقينا لايج (ناس) خلاص عطشنا إحنا بروحنا يبسنا، بتنا أنا والمهدي والصبح جيناهم وين جيناهم اللي تحكرا تلقى وجها أسود زي

الحمّاس وعيونا خاشات، تريتا بنادم وين يعطش عيونا يخشو ووجها يولّي أسود قال ما لقيتوش شي، قال: سبحان الله نجانا من الطليان ونموتو من العطش ياللا لزو البل إمبحّر ذهيبا قريبا، هوا يعرف ذهيبا قال نرتمو فيها ياحيينا ياميتنا، ياللا لزينا البل امبحّر مشينا شوي ولقينا معطن يقولولا بئر المنزلا لكن تريتا تماد منين يبدا الوادي ساير يكون فيه الماء، وين يبدا الوادي موش سايل ما فيه شي لقينا فيه شويا شربنا منه تحايينا، الحاصل ورجعنا جينا للجنين، الجنين هادا مركز فيه الفرنسيين والمخازنيا من المرازيق، المرازيق ناس باهيين المرازيق في جيهة تونس وهما ناس باهيين طيبين أحسن من ورغمّه الآخرين، وأحسن من أولاد دبّاب وأولاد شهيدا ومن التوازين، المرازيق ناس عرب ويسكنو في بر قبلي، وفي الرمل إلى الطويلا والقصيرا هادي مساكنهم، الحاصل جيناهم قالو شنو سببكم قلنا وصلنا لكن إبلنا راهي تبي تموت بالعطش، توا البل صار فيها الموت بدا كل خطوتين ثلاثا وتموت واحدا، قالو عندنا زوز تمد والوادي سبعا تمد لكن ماسالش وممنوع علينا من غير شراب الحصّنا إمتاعت المخازنيا وشراب العائلات، وقالو إذا كان نسقو زايلا نمشي للحبس مدت العمر، هادا الشاويش إمتاعهم، الحاصل قال عمي نرجوك بالمعروف تسقيلنا مهارانا هللي نحوشو بيهم في البل وتملالنا قربّانا، ناض مسكين هاداك الشاويش قال يا جماعا نوضو أملو قربّاكم وديروهم على المهارا، درنا المهارا ودرنا عماهم جملين عبيناهم بالقرب، الحاصل بعدها دار عمانا مخازني بمهريه وسقدا عمانا توا بين

الطويلا والقصيرا ماتولنا اربع نياق من العطش، توا النصارا مهناش إلا من الطويلا والقصيرا وبرا غادى، الجنين هادا فيه غير عسكريا عرب، وين جينا للطويلا والقصيرا قال عمي هاتو السلاح توا العشر بنادق علقهم على مهريه ورقا هوا والمخازني للقبطان الفرنساوي خبرا، حكالا، توا الطويلا والقصيرا سواني، الطويلا، طولها أربعطاشن قاما والقصيرا طولها سبع قامات، الطويلا مشى ساعتين والقصيرا تحت المركز، قال للمخازني تمشو غادي للطويلا والقصيرا هادي خلوها للطرابلسيا لين يسقو إبلهم قعد عمانا هاداك المخازني سقينا وروينا وعمي سالم طلبوه ساقوه لقفصا المراقب متاع الفرنسيين ناداه في قفصا، توا مشو عماه التراسا الكبار والآخرين وما قعدت غير انا، جانا القبطان وهادا كان ليه أربعطاشن عام في الطويلا والقصيرا وهادا يتكلم بالعربي زي الماء، كان عمي سالم شد طلياني في قاهرا وصنعا ما قتلاش وهادا الطلياني تلاقا عما القبطان الفرنساوي في غدامس وعطاه صورة عمي سالم وصورة سالم دنّه وصورة المهدي السني، فهمت، توا هاداك القبطان وين جا دزلي مخازني وين جيتا سلّم علي وعطاني كرسي قعمزت عليه وقالي سالم بن عبدالنبي واحد في الزنتان واللا إثنين، قلت له واحد.. قال: أنا ممكن نعرفا قلت له وين تعرفا وهوا ما جاش لتونس من قبل .. قال منين خذا قاهرا الطلياني اللي ما قتلاش تلاقيت أنا وإياه في غدامس وعطاني تصويرتا، وحط ايدا في جيبا وجبد صور الثلاثا عمي سالم ودنّه والسني وقال لي سالم بن عبدالنبي راجل باهي لكن يخدم في السنوسية

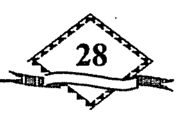
وإحنا السنوسية مانحبوهمش، شوف بالله الكفر امتاعهم ... قلت له السنوسية هادول ناس يدّعو البركا واحنا العرب اللي يجي يدّعي البركا حتى داير بندير نستعقدو فيه ونتبعوه، وقال لي جميع ما راح في قاهرا من سلاح وفلوس وعساكر وغيرها مكتوب عند الطليان على سالم بن عبدالنبي، وهيا رفعها محمد العابد وهوينا بيها في السودان، وهادا حق هاديك الغنيما كلها رفعها سي العابد، قعد عاد الشيخ والفرنسيين ردولنا سلاحنا وداورلنا فيه بيرميسّتو (ترخيص) وعطونا شرف كبير، وقعد عمي سالم لين ناضو الطليان وانا جاني حياة والدي قبل لا ينوضو الطليان وكان ترجا هنا في الطليان وقاللهم ولدي صغير ومشا عما عمه وأنا راجل شيباني وماعنديش من يخدم عليّ ونبي تعطوني بيرميستو نمشي نجيبا .. قالولا خلاص ولدك معفي جاني جابني قبل عمي سالم .

سؤال، كم سنة قعدت في تونس ؟

قال: أنا قعدت خمس سنوات وهوا قعد بعدي تسع سنوات يعني اربعطاشن سنة في تونس يعني هربنا سنة 1930م وروّح هوا سنة 1943م .

سؤال، كيف كانت معاملة الناس هناك في تونس للمهاجرين الليبيين؟

قال: معاملتهم باهيا التوانسا عطونا شرف باهي وعشنا عماهم، وعما فرنسا عطتنا شرف باهي وعطتنا حرّيا باهيا وإحنا ما اندموهمش أبدا.



سؤال، من تعرف من الرؤساء الكبار هناك في تونس؟

قال: الرؤساء الكبار الحاج محمد فكيني والشيخ سالم بن عبدالنبي ومحمد بن حسن وحمد عريقيب من مصراتة والزوام هادا حتى هوا مصراتي والشيخ حمد النالوتي وحمد بن مبارك هادا كان عمانا في فزان وجلا حتى هو إلى تونس، وهادا هو من جماعة بن عسكر وأنا من جملة المهاجرين هادوك الرؤساء حتى غادي يميعدو عما بعضهم، وفي الجمعيا هوينهم مسجلين كلهم وهادي حكاياتنا .

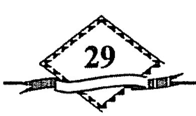
سؤال، أنتم هاجرتم من هنا 11 رجلا بقيادة سالم بن عبدالنبي والأسر متاعكم خليتوهم، كيف كانت معاملة الطليان لهم ؟

قال: الطليان جابوهم، قتل لا، لكن العازا طقت فيهم ورحلوهم من إدري وجابوهم لبراك، جابوهم وجابو عماهم الحاج صالح بن سالم ووالدي عماه محابيس جابوهم إلى القريا وين وصلوهم هنا للقريا قعدو أيام تحت النظارا (المراقبة) وبعدين طلقوهم وجو لبلادهم واللي عندا مطراح مشالا.

سؤال، ما قتلوش حد منهم وماذا عن أملاكم ؟

قال: القتل لا، لكن الأملاك كلها بيليكوها.. (انتهى)

بعد قصة رحلة الشيخ المجاهد وتفاصيلها نورد هذه القصيدة البليغة التي جاءت في كتاب سلسلة الرواية الشفوية رقم (4) للشاعر الشعبي حسين محمد الحلافي وهي مرثية رائعة بمناسبة وفاة المجاهد الكبير السيد أحمد الشريف



أقتطف منها أبياتا رأيت أنها تنطبق تماما على حال الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي، يقول:

ويا طول ما عانى مشقات السفـر ... وما من صحارى خاضها وسرير
سيوف رمل طول الدهر ما شافن مطر ... وبساط منطرح فيه الخبير يحير
ويا طول ما صام النهار وما فطر ... على جغمة ميّه وقرص شعير
على ما تعب لا لان لا طاع للكفر ... لا حط في كفه الطاهر لير
ويا طول ما كافح ويا طول ما صبر ... ولكن مراد الله وإيش إندير
جاهد وهاجر لين ميجاله حتر ... بجوار النبي بو فاطمه البشير

لقد أردت من إطالة هذه المقدمة بما توفر من معلومات عن رحلة الشيخ سالم بن عبدالنبي إلى تونس بعد أن قاد رفاقه في واحدة من معارك الجهاد الوطني الليبي وانتصاره فيها فقط (ربما) وضع حد لما تواتر من خلاف واختلاف حول تلك الرحلة وأسبابها، ومن الله التوفيق

د. عبدالوهاب محمد الزنتاني

بلدة الزنتان في 23 يوليو2009م

مقدمة الطبعة الأولى
ترى كيف ابدأ، ومن أين أتناول حياة هذا الرجل؟

رجل أشهر من القمر ومن نار على علم، إنه الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الناكوع الزنتاني، لقد قرأت وسمعت عنه الكثير الكثير، ووجدت نفسي حائرا لمدة ربما طالت قبل أن أجد الإجابة على هذا السؤال، إذ كانت أشياء كثيرة قد اختلطت في ذهني وقد اختل ما كان لدي من اعتقاد في نزاهة بعض من يكتبون التاريخ في بلادي وجعلت أستعرض ما قرأت، أو أغلب ما قرأت فلم أجد له كثير وزن ولا قيمة تاريخية أو علمية على اعتبار أنني اعتقدت أن استنطاق وثائق التاريخ لابد أن يكون فيها الكاتب موضوعيا ومحايدا، ولا يجوز أن يلجأ فيها إلى استعمال العمليات القيصرية، ولكم تمنيت أن يكون حاضرنا مرتبطا بماضينا مؤثرا إيجابا في مستقبلنا، وأن يكون سلوكنا وتعليمنا وثقافتنا مرآة تعكس حقيقة ذلك الماضي.

ولأن الحياة عمل وعبث وهي كذلك هزل وسخرية، وخطأ وصواب، كما أنها خداع وغرور وأمجاد وهزائم، فلقد صدق من قال (اللهم أعطني حياة عريضة ولا تعطني حياة طويلة)، فإن حياة الشيخ سالم بن عبدالنبي كانت طويلة وعريضة، وكانت عملا بلا عبث، وصواب وخطأ بلا هزل أو سخرية، وكانت

مثيرة فاعلة تخللها نهوض وهبوط وفشل ونجاح، ولأن الأمر كذلك فقد وجدت أنه من عين الصواب أن أسجل ما حفظته ذاكرة أقرب الناس إليه، إنهم أبناءه وبناته، عن سيرة حياته وجهاده، وأن أقتطف من ذلك أجمله لأجعل هذه المقدمة فاتحة كتاب شيّقة بإذن الله القدير العليم.

قالوا لي ما معناه، أن الله قد وهبه مزاجا هادئا لا تستثيره الحوادث، ولا يعبأ بالكوارث مهما كبرت طبيعية كانت أو غير طبيعة، وهو يقابل ما يحدث له بثبات ويقول أن الدنيا ألم وسرور وهي يوم لك ويوم عليك، كما أنها حياة وموت، ولهذا فإننا يجب أن نأخذها على حقيقتها بلا فزع أو جزع، وقالوا إنه يحب الحرية متمثلة في حبه للصحراء الرحبة، وله نزعة صوفية تتجلى في حب الخير ومساعدة الناس والدفاع عن الحق والحديث عن الإخضرار في الأرض والشجر والزهور والنبات لأنه يرى حكمة وقدرة الخالق فيها، وقالوا إنه جريء خطيب لا يتهيب الحديث في مختلف الأمور أمام أي عدد من الناس، كأنما خلق لكي يكون خطيبا، ولا يتردد في إبداء رأيه بصراحة إذا ما عرض عليه الأمر، وهو صلب كالحجر، مقدام كالأسد، رابط الجأش، شجاع القلب، متين الخلق، حازم متشدد في الحق مهما كانت الظروف .. ولقد وجدت كل ذلك وأكثر من خلال قراءتي لبعض أوراقه التي اطلعت عليها بعد محاولات وبحث وسفر عندما التقيت أبناءه وأقاربه في زيارتي (للقرية) أو (القريات) لأن هذا هو اسم البلدة التي ولد فيها، وكانت تسمى القرية الغربية ثم أضيفت إليها أخرى

عرفت بالشرقية (والبلدتان لا يفصل بينهما فاصل أرضي كبير)، وجدت أنه فعلا خلقه الله على تلك الصورة وصاغته الأيام والأحداث على ذلك النحو حتى آخر أيام حياته العامرة، وجدت أنه صاحب عزيمة وجرأة وصبر وثبات وتوكّل وإيمان وهو لا يبالي بالموت ولا يخاف الخطر ولا يعبأ بشؤون الحياة، في استقامته كأنه يمشي على الصراط، وفي إيمانه كأنه يلقى خالقه في الحين والتو، وذلك يمثل القوة في روحه، والعزيمة في نفسه، والاطمئنان في قلبه، وأذكر أن ابنته (عنايا) عندما سئلت عما إذا كان قد تزوج عندما هاجر وبقي طويلا بعيدا عن أهله، أجابت باستغراب، كيف؟ إنه ليس من ذلك النوع، ثم أضافت إنه يتّصف بالهدوء والسكينة والإخلاص مع استعداد دائم، عندما تراه يخيل إليك إنه يتهيأ للقفز، حليم في تعامله إلا إذا استثير فإذا غضب تحول إلى وحش كاسر، يحسن الإصغاء مثلما يحسن الكلام، خبر الصحراء وهو فارس، يحب الخيل كما لو أنه ولد على ظهورها، دقيق الملاحظة، بارع في التصويب واستخدام البندقية.

قال عنه أعداؤه من الإيطاليين الذين عرفوه في معارك الجنوب والقبلة، إنه كالذئب يشمّ الحديد تحت الأرض ويعرف ما تحتها، وكالنمر في تحفزه وقفزه، ولا يمكن التكهن بنواياه، وهو مخادع وحذر لا يفصح عن خططه ولا يستطيع أحد اقتفاء أثره أو أن يعرف طريقه أو يأمن جانبه، وقالوا هذا الرجل يظهر في عينيه بريق حاد ونفّاذ يشع بما ينمّ عن مكر وسعة حيلة، وعلى وجهه النحيل

المتناسق التقاطيع تبرز غالبا ملامحه التي تشبه في حدّتها ملامح العقاب، وهي التي تضفي عليه وقارا وهيبة، وهذه لابد أنها آتية من أصله العربي النجدي، له لحية مدببة خفيفة تظهره كناسك.

قال عنه صاحب كتاب (القبلة) العقيد الايطالي الذي عاصر الحرب الليبية الإيطالية (بيلاردينيلي) ما يلي: " الشيخ سالم بن الحاج عبدالنبي الناكوع من (الغناني) زعيم الزنتان الرحل، هو رجل حاد الذكاء رغم أنه أمي، جريء وشجاع وذو طاقة وحيوية هائلة فضلا عن قدرته الفائقة في تنظيم المحلات، وهو دائما على استعداد للكفاح حيثما كان هنالك دافع لذلك، وكلما سنحت الفرصة للغزو والسطو، ويقول العرب عن هذا الرجل الرئيس أنه (زي الغراب وين فيه جيفا يشمها)، في العهد التركي كان له نشاط مشبوه في دواخل القطر ظلت تطارده السلطة التركية بدون هوادة ولكنه استطاع دائما أن يفلت منها رغم المكافأة السخية التي خصصتها تلك السلطات لمن يقبض عليه أو يمكنها من ذلك، واسمه الذي كان مجهولا حتى وقت احتلالنا برز فجأة عند اقتحام (قارة) سبها في شهر نوفمبر سنة 1914م الذي كان هو مدبره ومنفذه، وكان مرتبطا ارتباطا وثيقا بأسرة السني ولم يتوقف أبدا عن محاربتنا وانشقاقه عن الحكومة".

هكذا قال أولئك وهؤلاء، وما قالوه يشرف الرجل وأهله وبلاده، ولأننا لا نريد الإطالة في التقديم نقول أن الشيخ سالم كان متمردا رافضا، متمردا من أجل

الحق والحرية، ورافضا للظلم والاستغلال، عاش في صحراء ليبيا الواسعة فعشق الحرية وكان أبيّا مقداما كريما مثل صحرائه، ولأنه كذلك فقد عانى هول الحبس والسجن وألم الغربة وبعد الأهل، لم يكن خاضعا منافقا ولا رعديدا في دنيا كانت وما زالت تطعم السمن والعسل للمنافقين والرعاديد والعبيد المزمّرين، وكان لبنة في بناء تاريخنا الشامخ وبطلا صنديدا من أبطال ليبيا، كان متعدد المواهب بالغ القدرات، شاعرا مبدعا وفارسا مغوارا، شغل وشغف بحمل البندقية وقد استخدمها كأحسن ما يكون الاستخدام فقد كانت سلاح الحق والدفاع عن الشرف والأرض والدين، وعلى كل حال فكما أن الحياة ليست كلها طمأنينة وسعادة وهناء وجمال، فإن التاريخ ليس كله مآسي وحروب وشناعة وقبح، في الأولى جمال، وفي الثانية مجد، ولذا فإننا نبحث في ثنايا التاريخ آملين الوصول إلى ما يعنيه التاريخ من مجد، وما تعنيه الحياة من جمال.

د. عبدالوهاب محمد الزنتاني

بلدة الزنتان، في 23 يوليو 1992م

لا يعاب على ابن البادية الذي يعيش في الصحراء المغامرة وعشق الفروسية، لأنه كذلك بفطرته مغامرا يعشق الفروسية والحرية لأن الأولى تمثل الرجولة ، والثانية مثل الصحراء واسعة بلا حدود......

الفصل الأول
على درب الحياة .. المولد والمنشأ

ولد الشيخ سالم بن عبدالنبي من أبوين ليبيين من قبيلة الزنتان وهما (عبدالنبي بن علي الناكوع الغناي الزنتاني، والسيدة سدينه البكوش الزنتاني)، وقد وقعت ولادة الطفل سالم في شهر يناير 1867م بمنطقة تقع جنوب بلدة الزنتان بمسافة ثلاثمائة كيلومترا وتسمى القرية الغربية، وعائلته (الغناني)، وكما حدث في الهجرات العربية وتحوّل القبائل أو نزوحها من الشرق إلى الغرب، جاءت قبيلة الزنتان في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، وهي قبيلة من عرب الحجاز فخذ عوف، قبائل بني سليم، وقد انتقل هؤلاء مع العرب الذين غزوا ليبيا وقتئذ، وكان يقودهم السيد الحسن بن المحسن الحجازي النجدي (وهم من وادي دواشر في منطقة نجد)، وكان لهذا الرجل أربعة أولاد هم (أبوالهول، أبوالقاسم، سليم، محمد) ومن أبنائه وأحفاده أولئك تكوّنت قبائل الزنتان الحالية والتي استوطنت بلدة (تاغرمين) في الجبل الغربي ومنها انتشرت في مناطق الوسط والغرب والجنوب.

تربّى سالم بن عبدالنبي في بيئة بدوية وبين عشيرة تمتهن الرعي والزراعة، وهي عشيرة محافظة إلى أبعد الحدود على التقاليد البدوية العربية متمسّكة

بالدين الإسلامي الحنيف، ونظرا لعدم وجود مدارس أو تعليم بالمعنى المعروف في تلك المنطقة فقد انتظم سالم مع عدد من أقرانه لدى (فقيه) يعلّم القرآن الكريم إلا أنه لم يكن ميّالا إلى الانتظام في تلك الدراسة فقد حفظ سورا من القرآن، لكنه انصرف إلى الرعي وحياة الصحراء، وكان منذ ذلك الوقت المبكّر مغرما بحياة الصحراء وركوب الخيل، وعندما بلغ عمره أربعة عشر سنة كان قد برع في استعمال البندقية وإصابة الأهداف بدقة وسرعة عجيبة، وحينئذ عُدّ رجلا، وبدأ التفكير في البحث له عن زوجة إذ كانت حياة أهله وقتذاك كبقية أهل الصحراء تتمثل في أن الرجل لابد أن يمتلك فرسا ويجيد استعمال السلاح ثم يتزوج، وهم عادة ما يتزوجون في سن مبكرة ذكورا وإناثا على السواء.

وكان سالم هذا متوسط القامة، ضيق المنكبين والصدر، حاجباه عريضان ووجهه ذو شعر كثيف، عيناه سوداوان حادّتا النظر زاخرتان بالحيوية، أنفه معقوف قليلا بحيث يضفي على وجهه مع تينك العينين وقارا وحزما، كان يحب النظام فهو برغم حاجياته القليلة من ملبس وغيره إلا إنه كان يضع كل شئ في مكانه، يصحو باكرا لصلاة الفجر منذ صغره، لا ينام كثيرا، إذا رغب شيئا لا يهدأ حتى ينجزه، كان صديقا صدوقا، يثور وينتقم إذا اتصل الأمر بأخلاقه أو شرفه وكرامته، وإذا كره يظهر الكره بشكل مثير، وعندما قرأت قصيدته التي يقول مطلعها: (صالح وسيده والحبيب الداني)، كنت أعرف أن صالحا هو ابنه الأكبر

الذي اعتقله الإيطاليون عندما لم يستطيعوا القبض على الشيخ سالم نفسه و(سيده) هو عمه أي شقيق الشيخ سالم ولم أكن أعرف ماذا كان يقصد (بالحبيب الداني) فقد تصوّرت أنه يقصد (زوجه) ذلك أن كبرياء هؤلاء الرجال يمنعهم من الحديث عن أزواجهم، وهذا ما ذكرته في كتابي المعنون (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي) إلا أن الحقيقة هي أن الشيخ كان يشير بكلمة الحبيب الداني إلى صديق عمره (أحمد المحروق الزنتاني) الذي كان رفيقه في الطفولة والشباب والجهاد وكان أقرب الناس إلى عقله ومن أعز أصدقائه وقد تركه معتقلا في سجون الطليان عندما غادر البلاد، ولقد عرفت ذلك من ابنه الحاج صالح رحمه الله عندما التقيته خلال شهر يناير 1993م، وكنت وقتئذ أجمع المعلومات لهذا الكتاب، وربما يكون مفيدا قبل أن ندخل في تفاصيل بطولات وجهاد هذا الرجل أن نرسم صورة له من خلال ما سمعناه من ابنيه اللذين ألتقيناهما في القرية وهما (صالح والمهدي)، وكان الثاني رفيقا لوالده طيلة فترة غربته في تونس التي استمرت أربع عشرة سنة، بينما كان الأول معتقلا لدى السلطات الإيطالية ولقد أردت أن أبدأ بما ذكره أبناء الشيخ سالم لأنني أعتبره ردا بليغا على مغالطات القشاط في كتابه (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) الذي قال فيه أن الشيخ سالم كان على وفاق مع كلب السيد (هاشم الزويّ) وكان ينفذ أوامر عابد السنوسي وأن أحمد الصيد وعلي الشنطة قد استقطباه للتعامل مع الطليان حيث أرسلاه إلى القبلة من أجل دعوة الناس للتسليم !!

قال الحاج صالح بن سالم: بعد أن استولى الإيطاليون على أغلب مناطق الجنوب وتعبت الناس من القتال وكان ينقصها الزاد، والطليان يشددون الحملات كان والدي يقود آخر حملة من المجاهدين، وكان قد اتجه بهم إلى الغرب، ولكن الظروف كانت صعبة، وقد لاحظ أن الناس والأبل وبقية المواشي قد تموت في الطريق، وأحس بمسؤوليته تجاه هؤلاء الناس، فقرر أن يتخذ موقفا ينقذ به الناس، فأعدّ رسالة إلى السلطات الإيطالية وكلفني بنقلها إلى الحاكم الايطالي في(براك) أعتقد أنه عقيد، ورافقني إليه (محمد الأقاري) وبعد أن سلمت الرسالة للطلياني أعطاني رسالة منه ردا على رسالة والدي، والرسالة كتبها محمد الأقاري وهي موجهة إلى مدير (إدري) قال له فيها سلم لابن سالم بن عبدالنبي الشعير والتمر الخاص بأسرة عبدالنبي، وسيدي (يقصد والده) مازال في منطقة الرملة، ما جاش، كان معي ابن عمي (البكوش) وكان معنا بوصاع ابن عمر بورقيبه الزنتاني، بتنا تلك الليلة لدى (الأقاري) وهو الذي كان مرافقا لنا ويعمل مع الطليان، جئنا للمدير في (برقن) واسمه (محمد التمتام البوسيفي) وأعطيناه الرسالة الموجهة إليه من الايطالي (وكنت قد فتحتها وعرفت ما فيها) غيّر الرسالة خلاف لما كان في رسالة الطلياني وذكر غير ما ذكر الطلياني، قاله سلموا لهم (السانيه) فقط، وعندما قرأت الرسالة قلت له أن الايطالي قال لي سوف يسلمك المدير كل شئ يخصّكم، ونحن (ناسنا) قاعدين في العراء ويحتاجون لكل شئ، وهنا قال لي، اذهب بلا رسالة وغدا نلتقي، سوف

ألحق بك، فذهبنا في اليوم التالي وكان معي (حصان والدي) وهو الذي ذهبت به من إدري، جاءني واحد حطماني وطلب أن يشتري الحصان وقد بعته له لأنني كنت أريد شراء ما يحتاجه الناس الذين مع والدي،الآخران اللذان كانا معي لديهما جملان، اشتريت دقيقا وغيره وذهبت إلى إدري، جاءني التمتام البوسيفي وأعطاني بعض القمح والشعير، واشترينا تمرا ثم غادرنا وذهبنا إلى أهلنا وعندما وصلنا بئر(إنسف) وجدناهم عائدين وهم كثار جدا أولئك الذين كانوا مع والدي ومن مختلف القبائل، طبعا كانوا في (الرمله) وكان من المتفق عليه أن يذهبوا إلى تونس ولكن قبل الحدود التونسية اجتمع بهم الشيخ سالم بن عبدالنبي وقال لهم أن الإيطاليين لا يطلبونكم كلكم وإنما هم يطلبون ثلاثة أو أربعة قد يسجنونهم أو يعدمونهم، ومن رأيي أن تعودوا إلى إدري ثم تذهبون إلى الشاطئ وأنا سوف أسلّم نفسي للحكومة، وكيف ما يحدث يحدث، وهكذا حدث فقد وافقوا بعد بعض المناقشات وعادوا إلى إدري.

وجه والدي رسائل أخرى بينما كان في (بئر أنسف) لترسل إلى القريات وكانت مع أخيه إبراهيم بن عبدالنبي وآخرون، وجاؤوا إلى القريات وكانت معهم إبل، وباعوا تلك الأبل واشتروا ما كانوا محتاجين إليه ثم عادوا، ولا أعرف بالضبط ماذا كان بالرسائل، ولكن الإيطاليين جهّزوا سيارات وعساكر واستعدادات وجاءوا بالسيد عبدالله بن لامين البوسيفي كمبعوث منهم ليرافق عمي إلى والدي، وليتحدث إلى أولاد بوسيف لأنه منهم، وذكر أن الإيطاليين

يطلبون تسليم السلاح، وهكذا جمع السلاح ووضع على ظهور الإبل، وبعدها نقلوا والدي ومعه بوجبيرة، وهو عالم من أولاد بوسيف ومعهما سلاحهما إلى القرية، وبعد مجيئهم إلى القرية بقوا بعض الوقت، يمكن يوم أو يومين، بعد ذلك نقل والدي في السيارة ومعه حمد الصيد والسيد البدوي والأخيران طلب منهما مرافقة والدي إلى بيته ولم يكن معه إلا (برنوس وفراش بسيط) وعند وصولهم ذهب كل منهم إلى بيته وبقى والدي في البيت عدة أيام كان يأتيه كل يوم من تلك الأيام ضابط ايطالي وبعد عدة أيام قالوا له أن الوالي يريده في طرابلس فذهب معهم إلى مزدة أولا، وفي مزده جاءه عدد كبير من الناس لأنهم يعرفونه، ثم نقل إلى طرابلس وأبقوه هناك مدة طويلة، وكان موقوفا في مركز شرطه يسمى (بوسته) لم يكن مسجونا بمعنى الكلمة ولكنه في المركز مع العساكر.

وبعد مدة جاءه (خليفه الجحيشي) وهو عسكري مع الطليان برتبة ما، وقال له أن القائد يريدك يا شيخ سالم، فرد والدي قائلا: لقد كنت أنتظر ذلك، وعندما دخل مكتب القائد الإيطالي قال له ذلك القائد وكان يقلّب في الملفات الكثيرة وقد عثر على ملفه، هل أنت الشيخ سالم بن عبدالنبي؟ فقال نعم.

قال له: هناك أوراق كثيرة في ملفك ومعلومات كثيرة لدى الحكومة، ولكن الآن نريد العفو عنك، وعندما خرج من لدى ذلك الضابط أعيد مرة ثانية إلى نفس المركز، وبقى مدة أخرى، ولما لم يأت إليه أحد طلب رؤية الجحيشي

وقال له أنني أريد مقابلة الوالي لأمر هام، وهكذا حدد له موعدا مع الوالي، ولما قابل الوالي قال له أنا الآن بين أيديكم وأريد أن أبدأ معكم صفحة جديدة، ولقد فكرت كثيرا وقررت أن أسلمكم الأسلحة الموجودة لدي، فرد الوالي قائلا، هذا كلام طيب وجيد، ولكن أين توجد الأسلحة فقال له إنها في إدري... فرد الوالي: إذن اكتب رسالة لابنك كي يسلم الأسلحة، فقال أن ابني لا يعرف أين توجد تلك الأسلحة، قال الوالي: إذن أخيك، فقال هو أيضا لا يعرف مكانها، قال الوالي: هل يجوز أن نصدق أنه لا أحد يعرف أين يوجد السلاح؟ فقال والدي: لا أحد غيري يعرف أين يوجد السلاح، ولقد حاول الوالي بكل الطرق دون جدوى، وكنا نحن معتقلين ومكبلّين بالحديد فجاءوا يسألون ولكنهم لم يحصلوا على شئ، ولهذا نقلوا والدي بالسيارة من طرابلس إلى الخمس ثم وصلوا (القارة) وعندما وصلوا القارة سمعت أنهم أدخلوه هناك وقالوا له أرينا كيف استطعت أن تقتحمها فقال للضابط الايطالي، منذ متى أنت هنا؟ أجابه منذ حوالي سبعة شهور، فقال والدي ألم تجد أحدا تسأله هذا السؤال غيري طيلة هذه المدة؟ فقال الضابط: إنما أنت كنت القائد، فأجابه أعتقد أن الحكومة عفت عن الماضي.

ومن هناك نقلوه إلى (براك) وكنت أنا وعمي مسجونين في مكان غير الذي سجن فيه المجاهد أحمد المحروق، أنا وعمي كنا مسجونين في براك والمحروق في القارة وأسباب ذلك يقال أنه من أجل قتلنا ونحن بعيدين عن بعضنا، جاءنا

والدي ونحن في السجن ولكن قبل أن يأتي كانوا قد نقلونا إلى حجرة أخرى ووضعوا فيها فراشا نظيفا وعندما جاءنا سلم علينا، ثم نقلوه إلى إدري وكان قد طلب أن يطلقوا سراحنا، إلا إنهم قالوا له ليس قبل تسليم السلاح وتعود إلى هنا حيث يتم إطلاقهم، وعندما ذهب معهم إلى إدري قالوا له أن هناك أمرا بأن تذهب أنت وكل العرب الذين معك إلى براك فقال لا بأس، ولكن لا أستطيع السفر عبر الشاطئ لأن لدي حيوانات كثيرة ولا يوجد في الطريق مرتع، وأرغب في السفر عبر زلاف فقالوا له لا مانع من ذلك وقرر أن يبيع بعض الحيوانات.

عندما جهّز نفسه جاء إلى الضابط الايطالي المسؤول وقال له، أنا جاهر للسفر وهكذا أعدوا له الحراسة اللازمة وتقرر أن يسافر إلى براك عن طريق زلاف وكانت له مزرعة قريبة من البلاد، وهناك أعد بواسطة الرجال الذين معه الأكل والشرب، وقال لحراسه غدا نسافر، والآن استريحوا وأمر بذبح شاة وإعداد الشرب المطلوب، وعندما تركهم في المزرعة وكان رفاقه قد أعدوا الإبل والماء اللازم اتجهوا فورا في الطريق إلى تونس، ولم يكن لديه أو رفاقه أي سلاح وقت مغادرة المكان، وكانت لديه أسلحة في مكان يبعد مسافة خمسين كيلومترا، وفي طريقهم مروا على حمد بن عبدالقادر الزنتاني وقالوا له، إنك إذا بقيت فإن الطليان سوف يتعبونك لأننا مررنا عليك فقرر مرافقتهم، وفي اليوم التالي وصلوا المكان الموجود فيه السلاح، وهناك تجهّزوا بالسلاح اللازم الذي لم يكن لديهم، وفي هذه الفترة قال والدي:

إبجاه الله والرسول إفبيتا ... تنجيه منهم كيف ما نجاني
يكروه كر الدلو بالسميتا ... إيبّزع لبره من طويل سواني
صالح اوعمه والحبيب عماهم ... مشينا إفحال الكدر خليناهم
تلفتت ضحضاح السراب غطّاهم ... ما قابلوا خوتى ولا جيراني
جيت ما ليا إنطول نباهم ... على دوز مكتوب الزمان رماني
حطّيت بر قبّلي ثلاثين ... وجبه مشى دون محلي
والحي على طول الزمان يولّي ... ساهل إذا كان الكريم عطاني
بلادى شهيرا وقصرها متعلّي ... أو قصبت عزال وبنيها روماني
أودّى أوهيبا أومركب الورفلّي ... على ناسهم يا موعر النسياني
أوريت يا غمامت خاطرى تجّلي ... إيجي نصر فاجئ ناخذوهم ثاني
ويا رجل تبدي في البلاد اتطلّي ... إفكل خرمه يلاطمك زنتاني
إيلاطمك يساير عقاب ... خيلهم مثل القطا اللى طاير
إيطرّب ليا جاهم كلام ندايـر ... ربّاط يصبّح وراء الحيواني
أو في كل وطن معقبين جراير ... حزينات وإينوحن كما نوحاني
حطيت قور الميدا تقاصيت ... وإبلادي على بعيدا
مكاتيب صالح حاربوه إفسيدا ... أو حازت عليه حكومت الطلياني
والقفل يصبح والسلاسل ... إوقّاف بالسينقى عليهم ثاني
صالح أوسيدا والحبيب الداني ... مشينا إفحال الكدر خليناهم
صبرت صبر جمال عالفرقاهم ... إصرّم علي الغزل وإيش نعاني
ليا دوّسو ليام شين صداهم ... درياق ولّت بسرت
ثلاثين وجبه مشى طبّقناهم ... سمار الغديد إبنومهم ما جاني

وفي طريقه عندما وصل (عوينت ونين) التقى بعض الناس بينهم السني الأحمر وقد سألوه فقال إنه لم يجد في فزان تعليمات الوالي ولهذا فهو ذاهب إلى الطابونية ليترك الإبل هناك وبعدها يذهب إلى طرابلس ونصحهم أن يبلغوا السلطات الإيطالية في (ونزريك) وهكذا فعلوا فقد قالوا أنهم التقوا الشيخ سالم في الطريق، وقال لهم أنه في طريقه إلى الطابونية ومنها إلى طرابلس وقد انطلت الحيلة على السلطات هناك، وبذلك تمكّن من دخول تونس دون أن يلحق أو يعثر عليه أحد رغم كل الإمكانيات التي لجأت إليها واستخدمتها السلطات الإيطالية بعد أن عرفت باعتزامه الخروج إلى تونس(انتهى كلام صالح بن سالم بن عبدالنبي عن رحلة والده).

ونسأل ابنه الثاني الذي رافقه في الرحلة كلها وبقي معه إلى أن عاد من تونس إلى أرض الوطن، إنه الحاج المهدى بن سالم بن عبدالنبي، فيقول:

عندما دخل الشيخ سالم إلى الحدود التونسية لم تكن هناك اتصالات بينه وبين السلطات الفرنسية، إلا أنهم بالتأكيد كانوا يعرفون عنه الشئ الكثير، وقد تواصلت جمعية التودد بين المجاهدين الطرابلسيين مع الشيخ سالم بعد وصوله إلى تونس مباشرة، وكان الشيخ سالم دائم التنقل بين تطاوين ورمادا ودوز، والذين دخلوا تونس كانوا اثنى عشر رجلا مسلحا منهم والدي الشيخ سالم والحاج البكوش بن إبراهيم وموسى الضعيفي والمهدي الدنقوز وعلى بن يونس واثنان من العبيد وشقيقي أبوبكر وأنا، وهؤلاء كانوا معنا منذ غادرنا

إدري وكان الشيخ سالم قد استشار عددا من رفاقه منهم الحاج البكوش والمهدي الدنقوز والشيخ علي، وعندما تقررت المغادرة رأى الشيخ سالم ألا يأخذ معه أحدا من بناته أو زوجته لأنه قال (أننا ربما نموت في الطريق) كنا نسير بين سيناون ونالوت تبين لنا أن الإيطاليون يرابطون في الطريق وقد أوقفنا الإبل وكانت (متحفّية) تماما (بمعنى أن الإبل قد أدمى خفوفها السير) ولم يبق لدينا ماء، والمياه التي كانت لدينا مالحة جدا ومّره، إلا أنها تساعد على تبليل الشفاه، ولم يبق لدينا أكل على الإطلاق، إذ كان لدينا بعض الدقيق الأبيض الذي كنا نخلطه بالماء ونأكل ظهيرة كل يوم، والطقس كان شديد الحرارة والريح قبلي، وهكذا فقد كان أحد احتمالين لابد أن يحدث، إما أن نقتل بواسطة الإيطاليون أو نموت بالعطش، وكان الموت عطشا أهون.

سلك الشيخ سالم واديا قريبا، وبعد برهة تبين أن به بئر ماء، وإن لم يكن كافيا لنا وللإبل وإن بعث فينا الأمل، وقد وصلنا بعد صعوبة كبيرة وكان أول مركز حدودي وصلنا إليه في تونس قد استقبلنا الناس الذين فيه بحرارة، ووفروا لنا الماء والأكل، ثم جعلوا لنا حرسا ليرافقنا إلى المكان الذي نريده، وطلب الشيخ سالم أن يقيم في المكان الذي يقيم فيه أهل الإبل والغنم، وهكذا أقمنا في أراضي المرازيق وأولاد يعقوب وغيرهم من العرب، وكنا نتنقل بين تطاوين ودوز.

ومرت السنوات الأربعة عشر لم يدخل خلالها الشيخ سالم المدن وقد رجع بعض الذين كانوا معنا ولم يبق إلا أنا ووالدي بينما توفي أخي أبوبكر، وفي

السنوات الأخيرة صعبت المعيشة، حتى أنني اضطررت إلى العمل مع الفرنسيين كعسكري، وعندما انتهى حكم الطليان رجعنا، وكان الشيخ سالم قد اختير رئيسا شرفيا أثناء وجوده في تونس لجمعية التوادد الخاصة بالمجاهدين الليبيين، وكنا جميعا نعرف باسم الطرابلسيين.

في العودة جاء عن طريق درج ثم وادي حركات حيث أقمنا عدة أيام وقد رفض أن يعود إلى القرية مباشرة حيث توجد أسرته، وبعد بحث ونقاش طلب مني أن أعود إلى القرية بينما ذهب هو إلى إدري، ثم جاء إلى القرية في آخر أيامه ومات بعد عودته مباشرة أي بعد أقل من شهر من تلك العودة، ودفن في القرية الغربية، عاد سنة 1944م ولم يمرض طويلا وكان حتى يوم وفاته قادرا على استعمال البندقية بشكل جيد.(انتهى كلام الابن الثاني للشيخ سالم بن عبدالنبي).

ثم جاء دور أحد أحفاد الشيخ سالم، فقال: اسمي على بن يونس عبدالرحمن الناكوع، قبل أن نغادر إلى تونس سمعنا بالاعلان الذي أصدره الوالي الايطالي أو الحاكم الايطالي، وأظن أن اسمه (بادوليو) والذي يطلب فيه من المجاهدين الاستسلام، فبدأ الشيخ سالم وآخرون يعملون من أجل القيام بعملية جهادية يمكن أن تعتبر ردا على ذلك الإعلان، ومن هنا قاموا بعملية علاق، ولقد كنت أحد الحاضرين لتلك العملية، المعركة، التي جرت في شهر إبريل 1929م (الواقع أنه شهر مارس وليس إبريل) ومعلوم أن الإيطاليين ردوا ببعض العمليات العسكرية منها واحدة على القرية وكأنها كانت موجهة إلى الشيخ سالم

الذي كان يعيش في القرية التي ولد فيها أيضا كما هو معروف، وعلى ما أذكر كانت المعركة قد بدأت حسب ما قال الشيخ سالم أي أنه هو الذي خطط لها، وكان معه في تلك المعركة قادة آخرون، كان هناك فكيني وكان هناك محمد بن حسن وغيرهما (وقد صحح قائلا: فكيني الذي أقصده هو الأمين)، والواقع أن القادة هم ثلاثة (سالم بن عبدالنبي الذي قاد المعركة والحاج محمد فكيني ومحمد بن حسن، أما الأمين فهو ابن الحاج محمد فكيني وكان حاضرا)، ويضيف حفيد الشيخ سالم قائلا: بالنسبة للمعركة في علاق فقد كنا نمر في الحماده وبئر الغزيّل ثم سوينت الرجل لأن الشيخ سالم قال إننا سنجد ناس هناك وسوف نستطلع الأمر، وعندما وصلنا غرندل وجدنا ناسا هناك وقالوا لنا أن هناك حملة من الطليان على بئر علاق ويمكن يكونوا حوالي خمسين فارسا أي خيّاله 50 سرز، فقال الشيخ سالم هذا نهار مبارك وأرسل الأمين فكيني والبكوش بن عبدالرحمن للاستطلاع وقد ذهبا وعادا ليؤكدا وجود الإيطاليين؛ فقال الشيخ سالم نهاجمهم بعد منتصف الليل أي قرب الفجر بحيث نباغتهم، وعندما ذهبنا إليهم أحسوا بنا، كانت لديهم خفارة، حرّاس، وقد نبهوهم ولهذا تحصّنوا في الحفر التي كانت معدّة لهذا الغرض حول الموقع وقاتلوا ببسالة، قتل في المعركة عشرة من المجاهدين كانوا من الزنتان والرجبان والمشاشية وغيرهم، وجرح عشرون مجاهدا ثم استولينا على الموقع وأسرنا من كان حيا.. كان المجاهدون الذين استشهدوا حسب ما أذكرهم (محمد محمد البكوش

وجمعة المحروق من الزنتان، وولد التائب القريد من الرجبان وآخرون)، وقد استسلم بياله ومعه اثنان آخران أخذهم عمر بن الفلّس الرجباني، وكان من المقرر أن يقتلهم إلا إنه قال لهم سوف أطلق النار فقط ولن أقتلكم وهكذا تركهم، أما الآخرون وعددهم ثلاثة فقد قتلهم المحروق على الفور لأن ابن عمه كان قد قُتل في المعركة، والحقيقة أنهم في بداية الهجوم قاتلوا بشجاعة (هناك الرجال) ومن هنا ذهبنا إلى (قرارت غريندا) وهناك تقاسم المجاهدون الغنائم، وبعد ذلك تقرر أن يسلك الفرسان طريق الحمادة أما المشاة فيسلكون طريق الملاحة لملء القرب بالماء ثم يتم اللقاء في (هبيط التمر) الفرسان كانوا يستطلعون المنطقة وقد ذهبوا حسب الإتفاق، وذهبنا نحن إلى الملاحة حيث التقينا في اليوم الثاني وهناك كان البعض يطالب بمهاجمة مزدة، فقال الشيخ سالم: أنا لا أوافق على هذا الرأي وحدث الخلاف فاتجهنا نحن مع الشيخ سالم إلى فزان والبقية اتجهوا إلى (قرعات الحطب وبوالقلوب) وهناك هاجمتهم الطائرات الإيطالية وكانت المعركة غير متكافئة طائرات وأسلحة وجنود فانهزم المجاهدون وكان الشيخ سالم قد تنبأ بذلك.

وبعد معركة علاق (بئر علاق) رجع البعض إلى الجبل والبعض الآخر إلى القرية والذين عادوا إلى القرية استقروا هناك وبعدها عيّن حمد الصيد مديرا للقرية وكان ضمن العائدين إلى القرية، البعض الآخر، زنتان وورفلّه ورجبان وآخرون سلكوا طريق وادى الآجال، ونحن مع الشيخ سالم ذهبنا إلى الرملة عن

طريق إدري وبقينا هناك سنة كاملة (حول) والطليان لم يعرفوا عنا شيئا في هذا الوقت ولا عرفوا مكاننا إلا بعد انقضاء سنة كاملة، وكانوا يسألون عنا بالطبع، ونحن بقينا في بوعيشه (كنا نجوع والناس كثيرة) كنا بين (بو رحا وبوجرارة وبوخوسه ثم دنباو)، علمت إيطاليا من خلال عيونها الكثيرة في البلاد بوجودنا في الرمله فأرسلوا إلى هناك حياة (سي خليل) ولا نعرف ما إذا كان يقبض من الطليان أم لا، وبقي معنا يومين أو ثلاثة، لم يبق مع الناس ما تأكل بعد إقامة سنة كاملة في الرملة ولم يكن يأتينا أي شئ من أي مكان؛ ومعروف أن الرملة تمتد من (دنبابا إلى أنسف هناك بوعيشه وبو جراره وبوخوسه ثم دنبابا ثم أنسف) وأنسف قريبه من تيسان الواقعة قرب (عوينت ونين).

أما علي الشنطة لم نره على الإطلاق وكذلك حمد الصيد في ذلك الوقت، بعد ما علمت إيطاليا بوجودنا في الرملة جاء حمد الصيد ومعه ضابط ايطالي عندما وافق الشيخ سالم، كان قد وافق على تسليم السلاح لأن الناس لم يعد لديها أي أكل، وكان قد أرسل يقول لهم نلتقي في مكان حدده هو وكان في (عوينت اللقى) وهي تقع غربي (عوينت ونين) هناك نصبت خيمة وجاء حمد الصيد والسيد البدوي والضابط الايطالي، وقد اجتمع هؤلاء وتم الاتفاق على ذهاب الناس إلى إدري، أما الشيخ سالم فقد طلبوا منه أن يذهب معهم إلى طرابلس، وهكذا نقلوه من عوينت ونين إلى القرية وبعدها إلى طرابلس وبقي هناك، أما نحن فقد رجعنا إلى الشاطيء وقام الطليان بتجميعنا في (قرباجه) وأحاطوا بنا من كل جهة، كانت

لدينا إبل كثيرة، وبعد فترة وصل ضابط ايطالي ولم يكن ممكنا لأحد أن يتحرك من مكانه، ولم نكن نعرف لماذا جمعونا في ذلك المكان بعد أن تركونا ولا لماذا وضعونا في ذلك المكان، بعد ذلك نقلونا إلى قرب (حطية الويّة) قرب إدري، توقفنا هناك وقاموا بجمع الرجال ونقلوهم إلى المكان الذي يوجد به الضابط الايطالي، وأخذونا نحن الستة من الناس ووضعونا قرب نخلة في مواجهة الشمس، وكنا أنا والبكوش بن إبراهيم وواحد سبيحي ومحمد بن سالم وعبدالحفيظ رأس الثور وآخر، أي إننا خمسة من الزنتان وواحد من ورنزه، وقد طلبوني أنا الأول وقالوا لي أين السلاح الخاص بالشيخ سالم؟ فقلت: إنني لا أعرف إلا الإبل، فقال الضابط اطرحوه على الأرض جنب النخلة وأجلدوه خمسين جلدة وقد فعلوا، وبعدها وقفت وسألوني مرة أخرى أين السلاح؟ فقلت: لا أعرف، وهنا أتوا بالورنزي وسألوه نفس السؤال أين سلاح الشيخ سالم ؟ ولأنه لا يعرف فقد طرحوه أرضا وجلدوه خمسين جلدة، وفي المساء نقلونا نحن الستة إلى(إدري) وعندما وصلنا كبّلونا بالحديد، وكان من المقرر نقل كل الرجال إلا إنه حدث فجأة أن تم الإتصال بهم من طرابلس حسب ما علمنا وقالوا لهم سوف يأتيكم سالم بن عبدالنبي، واتضح أنه قال لهم أن لديه سلاح مخبأ ولا يعرف مكانه أحد إلا هو ويريد تسليمه لهم، وكان يتكون من رشاش ومدفع وستة صناديق من الرصاص، وأرادوا نقله إلى مكان ذلك السلاح، ولولا أنه قال لهم إنه لا أحد يعرف مكان السلاح لكانوا قتلوا الجميع.

وعندما جاءوا بالشيخ سالم ذهبت معه وقد سلمنا السلاح ورجعنا إلى (قرباجه) وكانوا يأتون كل يوم إلى الشيخ سالم وبعد فترة نقلونا إلى (حطية الزوائد) وهناك قالوا لنا اذهبوا كلّ إلى مكانه، وأخذوا خمسة وعشرين جملا لأنهم قالوا أن الحكومة تريدها لنقل المؤن حيث لا توجد سيارات للنقل، وقد رغب أغلب الناس الذهاب إلى (ونزريك) لأنهم لا يريدون البقاء قرب (إدري) كان المحروق وإبراهيم وصالح مازالوا في السجن (المجاهد المحروق هو رفيق الشيخ سالم، وصالح هو ابنه، أما إبراهيم فهو أخاه) وكانوا قد قالوا للشيخ سالم أن الحكومة تريدك أن تنتقل إلى براك بكل من معك، ويظهر أنهم كانوا لا يقصدون في الحقيقة (براك) وإنما إلى معتقل في مكان آخر، حاول كثيرا أن يتملص منهم إلا أنهم أصرّوا، ولما يئس قال لهم لا مانع لكنني أرغب في بيع بعض المواشي، وكان القديري يرغب في الذهاب مع الناس الذين ذهبوا إلى (ونزريك) لكن الشيخ سالم وقد انتوى شيئا في ذهنه طلب منه البقاء معه لأنه كان يعرف أن القديري يعرف الطريق إلى تطاوين، فوافق على البقاء وكنت معه أنا وشخص آخر ورنزي، ولقد طلب مني أن أجهز كل شيء للرحيل.

غادرنا المكان وكانت لدينا إبل كثيرة ومررنا على الفقي حمد فقلنا له ليس أمامك إلا الذهاب معنا لأن الطليان سوف يقبضون عليك إذا بقيت بسبب أننا مررنا عليك في الطريق، وكنا نريد الذهاب إلى المكان الذي فيه البنادق ولا أحد يعرف المكان غير الشيخ سالم نفسه، كانت البنادق مخبأة وهي عشر بنادق

وكثير من الذخيرة، وعندما وصلنا المكان أخذنا السلاح وتجهزنا وتوكّلنا على الله متجهين إلى بلد آخر، علمت أن هناك حراسا وكانت هناك إجراءات مراقبة إلا أن الشيخ تخلص منهم وربما لم يكونوا يعتقدون أنه يمكن لأحد أن يفلت منهم.

خلال اليوم التالي كنا في (عوينت ونين) هناك توقفنا قليلا وكانت معنا إبل تخص المحروق فطلب الشيخ سالم فرزها عن الإبل الأخرى، وبعد ذاك تركها مع راعيها لأنه قال لا لزوم لأن نأخذها معنا، قابلنا في الطريق بعض الأقارب وأناس آخرين فقال لهم الشيخ سالم عندما تصلوا بلغوا السلطات الإيطالية أنكم التقيتم بنا وأننا قلنا لكم أننا نتجه إلى القرية ومنها إلى طرابلس لأنني أريد مقابلة الوالي هناك؛ ومن هناك اتجهنا رأسا إلى الملاحة التي وصلناها اليوم الثالث، في الملاحة تجهّزنا بالماء وهو مالح ومر، ومنها غادرنا ولم نتوقف إلا في اليوم التالي، وفي اليوم الذي يلي ذلك لم نتوقف أبدا لأن القديري وهو الذي يعرف الطريق قال لنا لا يجب أن نتوقف لأن الطريق الرئيسية ليست بعيدة، وكان الجو في غاية الحرارة، لم نتوقف لمدة ثلاثة أيام كاملة ولم يبق لدينا ماء كاف، وكنا نسير طول الليل وعند انبلاج فجر اليوم التالي توقفنا لأداء صلاة الفجر، وبعد أن أشرقت الشمس تراءت لنا نقاط المراقبة الفرنسية في الحدود التونسية، وهناك قال لنا ها قد وصلنا وفي الطريق دخلنا واديا اسمه (وادي المنزلة) وكان الماء قد نفذ تماما، فبدأنا البحث أملا أن يكون في الوادي ماء ولكن بعد بحث طويل لم

نجد شيئا، وهنا قررنا أن نواصل السير لأننا لابد أن نجد أحد يدلنا على مكان الماء، وقد حدث أن وجدنا رعاة فسألناهم وقلنا لهم إننا من طرابلس هاربين من السلطات الإيطالية في ليبيا، فدلونا على بئر ماء، كان قريبا ولم يكن لدينا أي طعام غير بعض الدقيق الأبيض الذي كنا نعجنه وقت الغذاء لنتناول منه لقمة، لم يكن الماء وفيرا في البئر، في اليوم الثاني ذبحنا جملا وأكلنا لحمه، وبعد فترة وصلنا نقاط التفتيش الفرنسية وكان هناك برج كبير وعالي وعدد كبير من الجنود وكانوا يراقبوننا من بعيد، قال لهم الشيخ سالم من نكون ولماذا جئنا ثم قال، لقد جئنا إلى السلطات الفرنسية ولها أن تفعل ما تشاء بنا، ومن الحدود ذهبنا إلى منطقة تسمى (القصيرة) وهي سانية حولها عدد من المباني ومركز شرطه وكانوا قد أرسلوا معنا حراسا وهناك عاملونا معاملة طيبة ووفروا لنا الماء للإبل وكانت عطشى، وبقينا حتى اليوم الثاني حيث جاء بعض الضباط وقد قاموا بتفتيش ما معنا ثم نقلونا إلى مكان آخر يسمى (الطويلة) وهو أيضا سانية حولها مباني وهناك بقينا.

وبعد أن انتهى الحاج علي بن يونس الناكوع من سرد قصة هجرة الشيخ سالم، وهو جدّه، سألته عن علاقة الشيخ سالم بالسيد علي الشنطة وما إذا كانت هناك اتصالات بينهما عندما كان الشيخ سالم في منطقة الرملة أو عندما كان في القرية؟ أجاب، ليس هناك علاقة على الإطلاق وأذكر أنه عندما كان الشيخ سالم في القرية ذات مرة أرسل إليه علي الشنطة رسالة يقول له فيها "إننا نريد أن نكاتب

الطليان"، بمعنى أنه يطلب الرأي في الإتصال بالسلطات الإيطالية إذ بدأ في ذلك الوقت بعض الزعماء يكاتبون الطليان أي الحكومة الإيطالية من أجل التسليم فرد الشيخ عليه قائلا: لا، لن أكاتب ولن أتصل، وما بيني وبينهم إلا السلاح إلى أن أموت، وبعث قصيدة أذكر منها البيت التالي :

(أنا ما نقول بنجور وأنتم قولوا   نشابحوا وين الأحكام إيدولو)

وبعدها أقسم بالله أن من يقول أن علي الشنطه قد اتصل بالشيخ سالم فإنه كاذب، ألف كاذب.. ثم سألناه، عن معركة القاره (قارة سبها التي اقتحمها الشيخ سالم مع المجاهدين سنة 1914م) فقال: لا، لم أكن أعرف عنها شيئا في ذلك الوقت إلا أنني سمعت من الشيخ سالم بعد معركة المحروقه أن الناس تشتت بعد تلك المعركة التي قتل فيها المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي وقد عمل هو (أعني الشيخ سالم) على تجميعهم، وأنه قال لابد أن يكون الهجوم في (المفصل) بحيث (نقسم ظهر أيطاليا) ويقصد بذلك (القارة في سبها) وأنه عندما اقتحمها كان قد دخل من الباب الغربي وطلب رفع (الآذان) مع أول طلقة رصاص.(انتهى)

نفهم مما تقدم أن الشيخ سالم عندما أخرج من سجنه في طرابلس ونقل إلى (القارة) في سبها ثم إلى المكان الذي ذكر أنه يخبيء فيه السلاح كان من المقرر أن يعيده الإيطاليون إلى السجن (المعتقل)، أو ربما إلى المشنقة ولهـ فكّر وأدرك ما كان يخطّط له وبذكاء وحكمة وحنكة خطّط للإفلات من حراسه،

وغادر البلاد إلى تونس في رحلة مثيرة وشاقّة، كان معه إبل كثيرة واثنا عشر رجلا منهم اثنان من أبنائه وهما (أبوبكر والمهدي) وهذان كان طليقين لأنهما كانا صغيري السن، بينما كان ابنه صالح وأخوه في المعتقل، واستبقى معه (القديري) الذي كان يخبر الطريق إلى تونس، وعندما رجع بعد انتهاء الاستعمار الايطالي لم يرجع مباشرة إلى القرية حيث توجد أسرته، وإنما ذهب إلى إدري وطلب من ابنه المهدي أن يذهب إلى القرية؛ وتفسير ذلك أنه لما كان قد غاب كثيرا عن البلاد (14 سنة) فقد كان الواجب الديني والوطني يقتضيه أن يعلم ويعرف أولا وقبل أن يعود إلى أهله ماذا حدث لهم ومعهم لكي لا يفاجأ بشئ ولا يضعف أمام أي طارئ قد يكون حدث في غيابه، ونعرف أنه لم يعش إلا قرابة ثلاثة أسابيع بعد عودته إلى موقع رأسه (القرية) وأنه بعد أن قاد معركة علاق (بئر علاق) ذهب إلى الرملة وبقي هناك مع من كان معه من المجاهدين مدة سنة كاملة، ولقد حدثت معركة بئر علاق في (9 إبريل 1929م) وبعد سنة من تلك المعركة اتصل به المدير حمد الصيد الذي كان مديرا على القرية، ولأن الناس (المجاهدين) لم يبق لديهم من الزاد شيئا يمكن أن يعتمدوا عليه في حياتهم فقد رأوا أن يسلموا السلاح بعد قرابة عشرين سنة من الجهاد والتنقل والمعاناة، وكانوا يتنقلون مشيا وأحيانا على ظهور الإبل، بينما تتنقل قوات العدو بالسيارات والطائرات والخيول، وهكذا حدث لقاء مع المدير حمد الصيد وضابط ايطالي للتفاوض من أجل تسليم السلاح للسلطات الإيطالية (ولقد

حدد الشيخ سالم بنفسه مكان اللقاء)، ورغم تسليم السلاح والاتفاق على عدم معاقبة الناس على ما مضى فقد تم تجميع أولئك الناس بالقوة في أمكنة محددة ونقل الشيخ سالم إلى طرابلس (أي أنه اعتقل) ولولا الحيلة التي لجأ إليها عندما ذكر للوالي أن لديه أسلحة مخبأة لكان قد بقي في سجن طرابلس أو ربما كان قد أعدم، وحتى عندما ذكر أن لديه أسلحة مخبأة عمل الإيطاليون على (جلد) أقاربه الذين كانوا ضمن الناس المعتقلين (تجميع الناس في معسكرات) وكذلك جلد أبنائه ومن معهم عندما أرادوا أن يعرفوا مكان السلاح المخبأ لمجرد أنهم لا يعرفون أين يوجد ذلك السلاح، أما سياسة تجميع الناس في المعسكرات أي المعتقلات فهي سياسة لجأت إليها فيما بعد السلطات الإيطالية في كل مكان في ليبيا (ومعتقل العقيله) قرب منطقة البريقه أشهر تلك المعتقلات التي كانوا يعذبون فيها الناس ويقتلون البعض منهم دون تمييز، وكانت أسبابهم في ذلك كما يدّعون هي إما الحصول على المعلومات أو تهمة مساعدة المجاهدين الذين يسمونهم (فلاّقا) أو بلغتهم (ريبيللو) أي ثوار.

والشيخ سالم عندما غادر لم يكن معه سلاح ولم يحصل على السلاح للدفاع عن نفسه هو ورفاقه إلا خلال اليوم الثاني من هروبهم، وكان السلاح ذاك مخبأ في مكان لا يعرفه إلا هو وذلك من حكمته وحذره بحيث كان يحتاط لكل شئ، وعندما كان في الرملة بعد معركة علاق لم يوافق على اللقاء والتفاوض مع الطليان إلا بعد أن نفذ الزاد من المجاهدين وعائلاتهم الذين كانوا معه ولأنه كان

مسؤولا عنهم وقد رأى النساء والأطفال يتضورون جوعا مهددين بالموت وهم في ذلك المكان مقطوعين عن أي إنسان في العالم، فلا موارد ولا تموين ولا مواصلات بمعنى أنه لا ضرع ولا زرع، كما أن علي الشنطة لم يتصل إطلاقا وإنما الذي اتصل هو المدير حمد الصيد، بعد معركة بئر علاق وكان مكلفا من السلطات الإيطالية، ومن المعروف أن السلطات العسكرية الإيطالية كانت تتصل بالمجاهدين عن طريق بعض الليبيين الذين قبلوا بعض الوظائف عندما اقتنعوا بأن القوة العسكرية وحدها قد تنهي الحرب.

وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي يعرف تماما ما يحس به الناس، هؤلاء المجاهدون الذين زهدوا في كل شئ عندما التحقوا بقافلة المدافعين عن الشرف والوطن والإسلام، وللإنسان طاقة محدودة على الصبر في الويلات وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق بالعائلات، فالأطفال وهم صغار يطلبون الغذاء والماء ولا نقول الحليب، كان يعرف أن الشرائع السماوية أوجبت الدفاع عن الدين والوطن ضد المعتدين ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة:41] كما أن القوانين الوضعية هي لكل الأمم، ويعرف كذلك أن الجنوح للسلم في شرعة المسلمين واجب إذا توفرت النوايا الطيبة الصادقة، وعلى القائد أن يبحث دائما عن سبل تحقيق أغراض ومصالح أهله وتابعيه بكل الطرق التي يراها، الحرب

أو التفاوض والسلم، وهكذا استجاب الشيخ سالم عندما سنحت الفرصة للتفاوض، ورغم كل شئ، رغم ما كان يتهدد الناس من قلّة المؤن وجدب الأرض فإنه تفاوض من موضع القوة والإيمان بالواجب الوطني والديني، كان هو الذي حدد مكان اللقاء وطريقة التفاوض، قال لقد غلبتم بقوة السلاح وبالعدد والعدّة ولكننا نستطيع أن نصبر، ولقد بقينا في هذه الأرض القاحلة، في الرملة، سنة كاملة دون أي مورد ولا مساعدة ونستطيع أن نبقى كذلك مدة أخرى، وهو يعرف أن الطليان لا يمكن أن يتركوه حرا ولما تمضي على معركة علاق (بئر علاق) التي خطّط لها وقادها سوى سنة واحدة.

قال الشيخ سالم في أول لقاء: لقد حاربت في كل معارك، القبلة والجنوب ومنذ معركة (سوانى بن يادم) لم أترك سلاحي ولكني أعرف أن الأهالي لا يمكن أن يستمروا في مقاتلة الحكومة، وأعرف أيضا أن الذين سلّموا أسلحتهم عوملوا معاملة سيئة، وهذا ما لا نرضاه لأهلنا، ولا نقبل اعتقال النساء والأطفال واحتجازهم في أمكنة محددة لا يغادرونها لأن ديننا يقول ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:164] ورغم أننا لا نعتبر ما نقوم به وزرا فإننا نقبل بتحمل مسؤولية ما قمنا به، وإذا أرادت الحكومة أن ترتاح فإننا الآن على إستعداد لأن نبحث معكم ما تريدون، هكذا كان اللقاء الأول، ورغم الوعود فإن الإيطاليين ما كانوا ليحافظوا على وعد أو عهد لأن الرجل في نظرهم كان سبب ثورة

الجنوب وبالتالي فهو سبب هزيمة جيوش إيطاليا وجنرالها (مياني) ومن الغريب أن نجد أن السيد القشاط يقول في كتابه (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) ما لم يقله أحد وينقل أخبارا لا أساس لها من الصحة أو الواقعية عن هجرة الشيخ سالم بن عبدالنبي ويقدم معلومات عن عدد الذين اشتركوا في معركة (قارة سبها) لا نعرف من أين أتى بها !! ولعله اعتقد أن الناس قد فقدوا ذاكرتهم عملا بالقول أن أهل البادية عندما يتركون بداوتهم تلين جلودهم وتهن سليقتهم، وبالتالي فقد استعمل جراب الحاوي لاصطناع أحداث لا وجود لها، وتاريخا لا يقف على رجلين من الحقيقة اعتقادا منه أن الناس فعلا قد لانت جلودها ووهنت عزيمتها بحيث تنسى وتتقبل ما يستخرج من جراب الحاوي؛ ولأننا نود أن نتحدث عن أغلب المعارك والمواقع التي خاضها ومر بها هذا المجاهد الفذ، فقد استوجب سرد معلومات هذا الفصل أن نأتي على كلام السيد القشاط المتصل بهجرة الشيخ سالم وقيادته لمعركة كانت الفصل والفيصل بين مرحلتين من تاريخ جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي الذي بدأ في نوفمبر سنة 1911م وانتهى في يناير سة 1932م، يقول القشاط: " سالم بن عبدالنبي الناكوع من الزنتان ويعدّ من رجالاتهم الشجعان، حارب كغيره من المجاهدين في المعارك الأولى 1911- 1912م وبعد معركة الأصابعة (مارس 1913م) اتجه إلى القبلة تحت قيادة محمد بن عبدالله البوسيفي وفي عام 1914م بعد وصول محمد المهدي السني إلى فزان انضم سالم بن عبدالنبي إلى السني وأمره باقتحام قلعة

سبها (القاهرة) على رأس 220 مجاهدا:12 (أولاد بريك) يرأسهم محمد بن أحمد، 25 (غنايمه) يرأسهم محمد بن عمر، استشهد 28 (زنتان) يرأسهم الشيخ سالم بن عبدالنبي، 30 (حساونه) يرأسهم الصديق، 25 (قوايد) يرأسهم علي بن حمد، 30 (قديرات) يرأسهم الشويشين وعلي بن صالح، 15 (مقارحه) ويرأسهم بلقاسم المخبول، 25 (حطمان) ويرأسهم على الهمالي، 15 (زوايد) ويرأسهم خليفه بن محمد ، وفي الساعة الرابعة وعشر دقائق صباحا من يوم 28 نوفمبر 1914م استطاعت هذه القوة اقتحام قلعة (القاهرة) والسيطرة عليها.

وقد لمع اسم سالم بن عبدالنبي بعد هذه الحادثة، كما حاول عابد إعدامه شنقا ولكن محمد السني استطاع أن ينقذه من الإعدام في (واو) بسبب الغنايم التي يطمع عابد في الاستحواذ عليها جميعا، ولقد ساهم سالم بن عبدالنبي في معارك الجبل ووصل إلى نالوت واختلف مع ابن عسكر نتيجة لأن سالم ينفذ أوامر عابد السنوسي وسجنوا ابن عسكر بسبب هذا الخلاف، وكان سالم على اتفاق حينذاك مع كلب السيد (هاشم الزوي)، وبعد سقوط الجبل 1922م واستسلام علي الشنطة مع مجموعة كبيرة من الزنتان استطاع الطليان عن طريق حمد الصيد الزنتاني استقطاب سالم بن عبدالنبي الزنتاني وابن سلمى البوسيفي ومجموعة أخرى وارسالهم إلى القبلة لدعوة الناس للتسليم، ولكن الشيخ محمد بن بشير البوسيفي هاجمهم وطردهم فتراجع ابن سلمى وهاجر إلى تونس، أما سالم بن عبدالنبي الزنتاني فوصل إلى طرابلس مستسلمًا للطليان فقبضوا عليه

وأودعوه السجن، فلما عرف بذكائه النتيجة المرتقبة له استخدم ذكاءه وخاطب المسؤول الإيطالي طالبا منه مقابلة الوالي ليفشي له سر الغنايم التي تركها الطليان بسبها عام 1914م، وأرسلوا برفقته مجموعة من الجند إلى سبها ليطلعهم على المخبأ الذي ترك به الغنايم، ومن فزان تمكن من الهرب بمساعدة الشمباشي محمد بن أمين فهرب إلى تونس، وبقي هناك إلى أن خرجت إيطاليا فعاد إلى موطنه القريات وتوفي هناك عام 1944م عليه رحمة الله".

هكذا قال القشاط !! ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات:6]، قال يا أيها الذين آمنوا....... ترى أيها القارئ الكريم، محاولات الدّس والتقليل من شأن رجل جاهد بماله وذريته ونفسه في سبيل الله والوطن، محاولات بائسة مفضوحة كالقول (حارب كغيره من المجاهدين)، أي أنه ليس قائدا مقداما، ثم نرى القشاط يصف اقتحام (قاره) بأنه (حادثة) وهي العملية الجهادية التي أجمع كل المؤرخين على أنها الفيصل والفصل في هزيمة جيوش إيطاليا وجنرالها (مياني) من الجنوب وعودتهم مهزومين إلى الشاطئ بعد أن أسس الجنرال الايطالي (ميانى) قيادته العسكرية في (مرزق) عاصمة الجنوب آنذاك، وعندما اقتحم سالم بن عبدالنبي مع بقية المجاهدين كان السني قد أمره بذلك كما أراد القشاط !!

ويقول أن العابد كان يريـد إعدامـه بـسبب الغنـايم، وهـذه دسيـسة يـراد بهـا الإيحاء على أن هناك غنائم حدث بـسببها الخـلاف، والحقيقـة أن هنـاك غنـايم ولكن ليس هناك خـلاف، لأن هـؤلاء الرجـال لم يكونـوا يجاهـدون مـن أجـل الغنايم وهذا ما تؤكده الوثائق المنشورة في هذا الكتاب.

ويقول اختلف سالم مع ابن عسكر لأنه كان ينفذ أوامر عابـد الـسنوسي وكـان على اتفاق مع كلب السيد (هاشم الزوّي)؟ فكيف يستوي الأمر في هذه الحالـة؟ عابد كان يريد إعدام سالم وكان هناك خلاف حول الغنايم، وبعدئذ سالم يختلـف مع آخرين لأنه ينفذ أوامر عابد!! ثـم أن سـالم بـن عبـدالنبي كـان قـد اسـتقطب وكلف بالإتصال مع المجاهدين من أجل التسليم ومعه البوسـيفي، ولمـا فـشلا هاجر البوسيفي واستسلم سالم للطليان حيـث سـجنوه، فـإذا كـان قـد استـسلم (وتعبير استسلم مسئ جدا) فكيف يمكن أن يسجن، ثم إنه استخدم ذكاءه ليخبر الوالي عن الغنايم التي تركها الطليان في القاهرة ! شئ غريب عجيب، الإيطـاليون لا يعرفون ماذا تركوا في القاهرة هذا أولا، وثانيا فهي غنايم بمعنى أن الشيخ سالم ومن معه حاربوا من أجل الغنـايم وسـجنوا كـذلك مـن أجلهـا، لمـاذا ؟ لأنهـم خباؤها في الرمال!! ماذا يمكن أن يقول الإنسان؟

نعم لقد حدث أن الشيخ سالم سجن وقد استخدم حيلته وذكاءه فعـلا ليفلـت من الطليان، وليس بسبب الغنايم إنما بسبب الـسلاح الـذي اسـتخدمه للجهـاد وكان يودّ أن يستخدمه في معارك أخرى لو لم يقبض عليه.

ونعم أنه سلّم ولكنه لم يستسلم ولم يوافق على أي صفقة ولا استقطب بواسطة أحد ولكنه والـمجاهدون الذين معه قد غلبوا على أمرهم بعد أن بقوا سنة كاملـة في منطقة (الرملة) دون أن يكون لهم اتصال مع أي كائن ودون أن يتزوّدوا بـشئ من الغذاء، وكان ذلك قرب نهاية الحرب وبعد أن قاد سـالم بـن عبـدالنبي أجـرأ عملية جهادية ومعه أبرز اثنان من القادة هما الحـاج محمـد فكينـي ومحمـد بـن حسن في معركة علاق خلال شهر (ابريل 1929م) بعد هذه العملية وقد نفذ منـه ومن المجاهدين الذين يقودهم كل شئ وحتى (المـاء والغـذاء) وكـان ذلـك في سنة 1929م) بينما كانت عملية أو كما سماها القشاط (حادثة) القاهرة في سـنة (1914م).

يرى القارئ الكريم ليس فقط التزوير وإنما الخلط حتـى في التـاريخ، فكيـف يكون سالم بن عبدالنبي قد ذهب إلى طرابلس مستسلما بينمـا تؤكـد كـل وثـائق التاريخ بما فيها الإيطالية أن سالم بن عبدالنبي هو الذي قـاد معركـة (بئـر عـلاق سنة 1929م) ثم بعدها فعلا هاجر إلى تونس.

ثم يقفز السيد القشاط إلى موضوع آخر فيقول، عمر محمـد بوغباقـة الزنتـاني خاض معارك القبلة وكان مـن الـشجعان الهـدّافين وفي عهـد الإدارة البريطانيـة انقلب إلى قاطع طريق!!

ويضيف: التقيت به بمنزلي بطرابلس وحدثني عن المعارك التي خاضها وعن معارك الجبل .

تصور أيها القارئ الكريم، كان بوغباقة مجاهدا وكان هدّافا وحدّثه عن معارك الجبل ثم أصبح قاطع طريق! ومتى؟ في عهد الإدارة البريطانية! وماذا كان عنوان كتاب القشاط؟ وعن ماذا يكتب؟ كتابه عنوانه (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) وهو يكتب عن الجهاد ضد الطليان! ومتى كان ذلك؟ إنه في سنوات الحرب التي ابتدأت من سنة 1911م إلى 1929م في مناطق جنوب غرب ليبيا، وهنا نسأل ما علاقة المعارك ضد الطليان بالإدارة البريطانية، أي ما علاقة سنة 1911م أو ما يقاربها وسنة 1950م؟ الأمرمتروك للقارئ الكريم ليدرك مدى الخلط والتزوير

فلسنا ورب البيت نسلّم أحمدا   لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولسنا نملّ الحرب حتى تملّنا   ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى   إذا طار أرواح الكماة من الرعب

الفصل الثاني
الوضع العسكري قبل معركة القارة بسببها

نعرف جميعا تفاصيل الهجمة الإمبريالية الغربية على الوطن العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وكيف قطّعوا وفتتوا وقسموا دون أن يكون لأصحاب الأرض أدنى معرفة أو رأي في ذلك، ولم تكن الحرب العالمية الأولى هي السبب أو المبرر ولا كان وضع الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) هو المشجّع لهؤلاء الغزاة، لكنها المصالح والمواد الخام والأيدي العاملة الرخيصة، فقد كانت الثورة الصناعية، وكان لابد لها من مواد خام وأسواق احتكارية وأيد عاملة رخيصة، والويل لمن لا يدرك تلك الحقيقة، حقيقة أنه لا سياسة دائمة وإنما هناك مصالح دائمة.

كانت إيطاليا الدولة الفتية الطامحة المتطلعة والتي قفزت فجأة لتحصل على حصتها من الغنيمة، ولكن قفزتها جاءت في الهواء حيث احتلت أثيوبيا وأريتريا وهما بلدان فقيران تكاليف احتلالهما أكثر من فائدتهما، وكان لابد لها من تعويض تلك الخسارة على حساب واحدة أو اثنتين من البلدان المجاورة، كانت هناك تونس وكانت هناك ليبيا، وكان الجار الأوربي قد سبق فتربّع على أرض تونس ولم تبق إلا ليبيا، فرنسا احتلت تونس وبذلك اضافت إلى حيازتها بلدا

عربيا أفريقيا آخر، ولأنها لم تعد في حاجة إلى زيادة أو هي أرادت تطمين إيطاليا المتحفّزة، فقد وافقت على أن تترك لها ليبيا، وبدأت السلطات الإيطالية في الإعداد والإستعداد، صحافة وإذاعة وسياسة واقتصاد وخبراء وقوات، ولم تكن تحسب أي حساب (كغيرها من الدول الأوربية) لأهل البلاد، ذلك أنه في مؤتمر برلين الذي عقد سنة 1878م وافقت كل من ألمانيا وبريطانيا على إطلاق يد فرنسا في تونس، وكان ثمن ذلك لكل منهما أن تقف فرنسا مع بريطانيا في إحتلالها لقبرص وأن تستفيد ألمانيا من أي توتر واحتكاك بين فرنسا وإيطاليا (وذلك يمثل لعبة الهر بيسمارك المفضّلة) ومع ذلك فقد حدث الإتفاق بين إيطاليا وفرنسا، ويقول ذلك الإتفاق: " إن الفضل في التقارب الفرنسي الايطالي يعود إلى روح المصالحة الذي أظهرته فرنسا، فبدلا من الرد على التحيات الإيطالية ألتزمت حكومتنا على العكس بالبحث عن أرضية للاتفاق، فاقترحت على حكومة روما احتلال طرابلس التي ليس لنا فيها أهداف"، وفي منتصف يوليو 1880م صرح (دي فرنسييه) الذي كان رئيسا لمجلس وزراء فرنسا، صرح للجنرال (تشالديني) قائلا : "المصالح الكبيرة التي أقمناها في الجزائر لا تسمح لنا بترك دولة أخرى توطّد نفوذها مقابل نفوذنا في إقليم كتونس وهو ملحق طبيعي ومدخل عسكري لممتلكاتنا في أفريقيا ولكن (دى فرنسييه) أكد من جهة أخرى للسفير الايطالي أن حكومة روما إذا توقفت عن التفكير بتونس

والتفتت إلى طرابلس فإنها لن يكون عليها أن تحارب أحدا[1] هكذا بالطبع، لن يكون عليها أن تحارب أحدا، فرنسا قررت ذلك لإيطاليا!! ولقد صدقّت ايطاليا ما أشارت به فرنسا وتدخلت، ولكنها لم تجد من وعد فرنسا شيئا، فقد كان عليها أن تحارب أصحاب الأرض، أن تحارب الليبيين الذين كانوا على استعداد للدفاع عن بلادهم والذين لم تحسب حسابهم لا هي ولا ناصحتها فرنسا، ولأن معركة (قاره في سبها) واحدة من معارك الليبيين الفاصلة في تاريخ الجهاد الليبي ضد هذا الغازي الأجنبي المتغطرس فلابد لنا من أجل أن نعرف كيف كانت تلك المعركة وما مدى تأثيرها العسكري والمعنوي على قوات العدو الايطالي أن نبيّن الوضع العسكري قبل حدوثها، فبعد اتفاقية (أوشي-لوزان في 18 أكتوبر 1912م) التي خرجت بموجبها عمليا تركيا من ساحة الحرب في ليبيا، انتهزت إيطاليا الفرصة لاحتلال أهم المناطق من الناحية العسكرية والسكانية في ليبيا، وتحديدا في المنطقة الغربية والجبل بأكمله (غدامس ومزده وسوكنه وترهونه وبنى وليد) وقبل ذلك مدن الساحل الليبي جميعها، ولم يبق إلا احتلال مناطق الجنوب، وكانت قواتهم التي حشدوها لغرض القيام بتلك الحملة تبلغ 120 ألف جندي وهكذا بدأت حملة العقيد (مياني) من سرت فسوكنه ثم براك فمرزق، ولقد حدثت أثناء حملة مياني هذه معارك عديدة وهجمات خاطفة قام بها المجاهدون الليبيون، ولكن نظرا لعدم تعادل القوى والقوة في العدد والعدة،

---

(1) المسألة الليبية فى تسوية السلام، تأليف : جاك بشوى، ترجمة: علي ضوى

فقد شقّت الحملة طريقها إلى أن احتلت آخر نقطة في الأرض الليبية جنوبا وهي (مرزق) وكان ذلك في (3 مارس 1914م) كانت المعارك قد وقعت في الشب وأشكده والمحروقه، تلك التي تكبد المجاهدون فيها خسائر كبيرة كما كبدوا العدو أيضا خسائر في العتاد والأرواح، وفي النهاية استقر الحال بالقوات الإيطالية حيث سيطرت بالكامل على المنطقة، وأنشأ الكولونيل (مياني) مركز قيادته في مرزق إذ كانت عاصمة الجنوب وقتئذ، وبحلول شهر مارس سنة 1914م كانت القوات الإيطالية تحكم السيطرة التامة في المناطق الغربية من أرض ليبيا وعلى الشاطئ من سرت إلى زواره، وفي الغرب على طول من سواني بن يادم إلى جبل نفوسة إلى نالوت، وفي الوسط والجنوب من سرت إلى مرزق، ولم يكن أمام المجاهدين من ملجأ إلا القبلة وضواحي زلّة ورواوس ووادي بي وجبال الهروج والنوفلية ومراده، وهذه في الغالب مناطق قاحلة موحشة وإن كانت قد مثلت حصنا يحتمى فيه وبه أولئك المجاهدون.

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن الخلافات التي ظهرت بين قيادات الجهاد في المنطقة الغربية من ليبيا بعد توقيع المعاهدة بين تركيا وإيطاليا وهي التي تخلّت بموجبها تركيا عن الساحة الليبية (على الأقل من الناحية الرسمية) وعرفت تلك المعاهدة بمعاهدة (أوشي لوزان) سببها أن القيادة لم تكن واحدة كحالة الجهاد في برقة، وبالتالي فقد اختلفت الآراء والاجتهادات بين من يقول بوجوب القبول بالأمر الواقع والركون إلى الهدوء تحت الحكم الايطالي إذ ربما

تحصل البلاد على نوع من الحكم الذاتي، وبين رافض للاتفاقية تلك وللحكم الايطالي مهما كانت الآمال والتطمينات، وحتى هؤلاء القادة الذين رفضوا الخضوع لم يكونوا موحّدين، فقد كان كل زعيم ينظر إلى مصلحة قبيلته أو منطقته، وقد تم عقد مؤتمر وطني عرف باسم مؤتمر (العزيزية خلال شهر نوفمبر 1912م)، بينما أسرعت القوات الإيطالية إلى السيطرة على المناطق التي ترى أنها هامة كمفاتيح للسيطرة وفرض الأمر الواقع، (سواني بن يادم 15 نوفمبر 1912م، العزيزية 16 نوفمبر 1912م، بن غشير 17 نوفمبر 1912م، العجيلات 3 ديسمبر 1912م، الزاوية 4 ديسمبر 1912م، القصبات 14 ديسمبر 1912م، ترهونة 18 ديسمبر 1912م، سرت 30 ديسمبر 1912م، بن وليد 15 فبراير 1912م) ، وبعد فترة هدوء أو هي استعداد في هدوء من الطرفين حركت إيطاليا قواتها للسيطرة على منطقة الجبل الغربي، ولم تكن قد تقدمت في هذا الإتجاه، وحدثت معركة جندوبة يوم 23 مارس 1913م وكانت واحدة من المعارك الدامية أبلى فيها المجاهدون وضحّوا، وفي النهاية كانت الغلبة للقوات الإيطالية نظرا لتفوقها في العدد والعدة، وباحتلال يفرن في 27 مارس والزنتان في 5 أبريل وجادو في 6 أبريل ونالوت في 12 أبريل، تكون القوات الإيطالية قد سيطرت سيطرة كاملة محكمة على الجبل الغربي وفيما بين الشاطئ والجبل، حيث استولت على بئر الغنم والجوش، ثم استولت على غدامس، وعلى إثر هذه التطورات لم يكن أمام المجاهدين الذين رفضوا القبول بالأمر الواقع إلا أن

يتحوّلوا إلى مناطق بعيدة بحيث يعدّوا أنفسهم للمقاومة الطويلة، ولهذا انتقلوا إلى القبلة والحمادة الحمراء وعندما انتقلوا اعتقد الإيطاليون أن الأمر سوف لن يستقر لهؤلاء البدو الذين هربوا وبالتالي لابد أن يطلبوا المساعدة والرحمة من إيطاليا بعد أن يلدغهم الجوع وتضيق بهم الحياة في تلك الفيافي.

وإذ كانت القوات الإيطالية قد احتلت الساحل والغرب، ثم احتلت الجبل وسيطرت على الوسط ورسخّت نفوذها في الجنوب فهي عمليا احتلت البلاد بكاملها، وعلى هذا فإن أهل القبلة قد أصبحوا معزولين تماما في الصحراء وهي صحراء قاحلة قاتلة لا تتوفر فيها سبل الحياة، ومن لم يمت بالجوع قتلته الأفاعي السامة وعلى اعتبار أن الجهاد الليبي سلسلة متصلة الحلقات فقد فعل الإيطاليون نفس الشئ في شرق ليبيا، وسلك المجاهدون هناك المسلك نفسه إذ تحصّنوا بالمناطق الصعبة البعيدة عن السواحل والمدن وكانت حملة إيطاليا على الجنوب بعد إحكام السيطرة على الشمال والغرب تعتمد على عدة عناصر:

أولها: أن الوضع الدولي لا يسمح بأي تأخر في عملية احتلال ليبيا بحيث لا يكون هناك فرصة لقوة أخرى ربما تشارك إيطاليا في غنيمتها الليبية.

وثانيها: إيطاليا عندما تتمركز في الجنوب يمكن لها أن تخلق بعض المشاكل والتعقيدات لغريمتها (فرنسا) في الجزائر إن هي أرادت،وذلك يتوقف على مقدار احترام مصالح إيطاليا من قبل فرنسا، كما أنها يمكن أن تخلق نفس المشاكل للغريم الآخر (بريطانيا) في السودان وغيره.

وثالثها: أن وجودها في الجنوب سيعني أنها تستطيع أن تضغط وتضع بريطانيا بين فكي الكماشة الإيطالية التي يعتمد طرفاها على فزان وأثيوبيا.

ورابعها: أن منطقة فزان كما هي معروفة لا تتوفر فيها امكانيات الدفاع والكثافة السكانية وأهلها مسالمون ويمكن احتلالها بسهولة (ما نذكره هنا هو رأي السلطات الإيطالية) .

وعلى حسب هذه التقديرات بدأت حملة الكولونيل (مياني) وهكذا فقد احتلت القوات الإيطالية أبونجيم في يونيو 1913م ومزدة في يوليو 1913م وسوكنه في آخر يوليو 1913م ولقد أراد القائد الايطالي بإحتلال هذه المناطق أن يضمن سلامة طريق تقدمه، فاحتلال مزده يقطع الطريق بين الجبل من ناحية غريان وبين الجنوب، واحتلال أبو نجيم يقطع الطريق بين الجنوب والساحل وما بين سرت ومصراته، أما احتلال سوكنه فهي يمكن أن تكون مركز تجمّع وانطلاق إلى الجنوب مباشرة كما أنها تنفع لكي تكون نقطة مراقبة على المجاهدين في الشرق، وما يؤكد أن سوكنة قد استخدمت كنقطة تجمع للقوات الإيطالية أن تلك القوات قد بقيت فيها قرابة ثلاثة شهور كاملة قبل أن تتقدم لتنفيذ مخططها لاكمال احتلال الجنوب، وكان المجاهدون قد علموا بتجمع تلك القوات ورأوا أن احتلال مزده في 5 يوليو 1913م مع تقدم القوات الإيطالية عبر سوكنه قد يؤدي إلى تطويق منطقة تجمع المجاهدين إذا ما قررت القيادة الإيطالية الهجوم على تلك المنطقة، وهكذا تقدموا إلى منطقة الشاطئ

ليواجهوا القوات المتقدمة إلى فزان، وبعدئذ أصبح تجمّع المجاهدون في أربع مناطق (القبلة، الجفرة، صحراء سرت، الشاطئ)، فتقدمت القوات الإيطالية بعد فترة من الإنتظار في سوكنه إلى فزان بتاريخ 6 ديسمبر 1913م والتقت بطلائع المجاهدين في الشبّ حيث دارت معركة عنيفة، ولكنها لم توقف تقدم تلك القوات التي تستخدم أحدث وسائل القتال العسكري من مدافع وشاشات وسيارات مصفحة ووسائل استطلاع سريع بينما لا يملك المجاهدون إلا بنادق خفيفة وهم إما يسيرون على الأقدام أو يستخدمون الخيول والإبل.

ثم حدثت معركة ثانية في منطقة (إشكده) وكانت أيضا معركة عنيفة وغير متكافئه، وبعد القتال المتواصل توزّع المجاهدون في مناطق مختلفة حول (إشكده) وذلك رغبة في تنظيم الصفوف والقيام بهجمات خاطفة بواسطة مجموعات صغيرة، ولكن الإيطاليين لم يتركوا الفرصة تفوت لأنهم يخشون أسلوب القتال ذاك الذي قد يتبعه المجاهدون عقب كل معركة فيما بعد إذا ما رأوا أنه ناجع ويكبد العدو خسائر كبيرة، ولهذا جهز الإيطاليون قوات كبيرة لمطاردة المجاهدين بعد معركة (إشكده) وهكذا وقعت معركة (المحروقه) وهي أكبر معركة حدثت أثناء تقدم قوات الكولونيل (مياني) نحو فزان وحدثت فيها خسائر كبيرة في صفوف المجاهدين حيث استشهد في هذه المعركة المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي وهو الذي كان يقود المجاهدين خلال

هذه الفترة الحرجة ولقد كان من أقوى زعماء الجهاد الوطني في هذه المرحلة وأكثر إلتزاما وصدقا في الجهاد.

بعد ذلك تمكنت القوات الإيطالية من احتلال سبها في شهر فبراير 1914م واحتلت مرزق في أول مارس 1914م واحتلت القريات في نفس الوقت الذي احتلت فيه مرزق عاصمة الجنوب، واحتلت زويلة وغات وأوباري، وهكذا تم الإحتلال ونفذت خطة (مياني) بالكامل وما كان منه إلا أن أقام قيادته العسكرية في مرزق لكي يتفرغ بعدئذ لتنظيم أمور البلاد المدنية بعد أن رتبّها عسكريا وأعتقد أن ليبيا جميعها خضعت أو هي أخضعت ولم يبق إلا قلّة من المشاغبين التائهين في الصحراء سوف لن يطول الوقت بهم لأنها صحراء طاردة قاحلة، فإما أن يموتوا أو أن يستسلموا ويطلبوا الرحمة من إيطاليا وقواتها الظافرة.

والحقيقة أن الوضع من وجهة النظر العسكرية البحتة، ومن وجه نظر من لا يعرف أهل البلاد ميؤوس منه تماما، فإذا كانت القوات العسكرية الإيطالية وهي تتمتع بجميع المزايا والإمكانيات العسكرية قد سيطرت على الشمال والغرب والجنوب فكيف يكون حال هؤلاء الناس الذين عزلوا تماما في صحراء لا يتوفر فيها شيء للعيش، وما كان لأحد أن يتصور أن تلك القوات المدججة بالسلاح ووسائل النقل والتموين سوف تنقطع بها السبل وتجد نفسها وقد حوصرت بحيث ينقطع الاتصال والمواصلات بينها في الجنوب والشمال وأنها سوف تتعرض لهجمات خاطفة لا قبل لها بها، وبالتالي سوف تنهزم، وإذا كانت إيطاليا

قد اعتقدت وقد احتلت أغلب مناطق ومدن ليبيا أنها قد كسرت شوكة المجاهدين الليبيين فإنها قد أخطأت تماما كما كان خطؤها عندما تصور قادتها السياسيون والعسكريون أنهم هيأوا الساحة الدولية حالما بدؤوا عملياتهم العسكرية وكان هناك ما لم تحسب له السلطات الإيطالية أي حساب وهو أولئك الناس البسطاء الذين لجأوا إلى الصحراء لا يمكن أن يستسلموا أو يطلبوا الرحمة منها، وأن الظروف الدولية قد تتغير.

بقيام الحرب العالمية الأولى تغيرت الموازين والتحالفات وانتهت الإتفاقات وبدأ المجاهدون الليبيون يعدّون العدّة للقضاء على الوجود العسكري الايطالي في بلادهم، وإذا كانت القوات الإيطالية قد حققت بعض الانتصارات الحربية فإنما السبب هو عدم التكافؤ في العدّة والعتاد، وطالما أن هناك جبهات جديدة ستفتح بتلك الحرب العالمية فلابد أن يكون ذلك عاملا مساعدا على قهر القوة الجهنمية الإيطالية، وعلى تلك الظروف الدولية كان لابد لتركيا التي خرجت من ليبيا متخلية عن التزاماتها الرسمية تجاه الشعب الليبي (وربما كانت لها ظروفها التي أرغمتها على ذلك) لابد لها أن تعود مرة ثانية لمساعدة هؤلاء الناس الذين تخلّت عنهم رغبة في تحقيق بعض مصالحها الوطنية وجزء من تحالفاتها، وكان على تركيا التي خرجت من الباب أن تعود من الشباك، والليبيون الذين كانوا ينظرون بتقدير بالغ إلى أعمال وبطولات بعض رجال تركيا الذين قاتلوا معهم وساعدوه في أحلك الأوقات رغم تخلي حكومتهم عن ليبيا لابد أن يرحّبوا

بعودة التعاون التركي، وفجأة وبدلا من أن يستسلم المجاهدون الليبيون (كما كان التقدير الايطالي أو الغرور الايطالي) بدلا من أن يستسلموا ويطلبوا الرحمة من روما كان على قوادها وعساكرها هم الذين يطلبوا الرحمة وأن يهربوا ليلا تاركين كل شيء، فجأة قام الليبيون بأجرأ عمل عسكري لم يكن متوقعا ولا حتى محتملا، فلقد قام عدد من المجاهدين بقيادة الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع بمهاجمة واحتلال أقوى وأحصن قلعة في سبها (قارة سبها) فجر يوم 28 نوفمبر 1914م واحتلوها رغم ما فيها من قوات وتحصينات عسكرية ورغم كل الاحتياطات الأمنية التي أعدها الكولونيل (مياني) وضباطه وكانت تفاصيل تلك العملية الجريئة كما يلي:

كان الشيخ سالم بن عبدالنبي قد اشترك في أغلب المعارك التي دارت بين القوات الإيطالية وبين المجاهدين الليبيين، وكانت أكثر قسوة وإيلاما تلك المعركة التي جرت في المحروقه وقد تكبد فيها المجاهدون خسائر كبيره وانتهت بتشتيت قواهم، وكان عليه وهو أحد قادة تلك المعركة الذين ساعدوا المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي، كان عليه أن يجمع المجاهدين مرة ثانية، وأن يخوض بهم معركة قد تكون يائسة ولكنها إذا نجحت سوف تعيد الثقة إلى النفوس خصوصا أن المعارك الثلاث التي جرت في الجنوب الشرقي بعد سوكنة كانت مثبطة للعزائم، فقد هزم المجاهدون في الشب وفي إشكده وفي المحروقة وتمكّن الكولونيل (مياني) على إثر تلك المعارك من أن يصل إلى آخر

نقطه في خطتّه حيث احتل مرزق وأنشأ هناك قيادته العسكرية، ولقد فكّر الشيخ سالم كثيرا في مكان ووقت تلك المعركة التي يعتزم القيام بها والتي يرى أنها ستكون فيصلا وفاصلا في تاريخ الجهاد الليبي خلال هذه المرحلة القاسية، وكان لابد من اختيار المكان والزمان والرجال بعناية فائقة، ووجد أن أصعب الحلقات في السلسلة ربما هي أسهلها، ذلك أن الإيطاليين في مكان مثل (القارة) وهي قلعة حصينة تقع فوق ربوة عالية محاطة بجميع وسائل الدفاع كالحيطان والأسلاك الشائكة لابد أنهم يعتقدون أنه لا يمكن لأحد أن يتجرأ على مهاجمتها وخصوصا إذا كان هذا الأحد من مجاهدين أنهكوا في معارك ثلاث متتالية وقد منيوا فيها بخسائر كبيرة، وقرّ قراره على مهاجمة تلك القلعة الحصينة ليكسر أقوى حلقات التماسك في الوجود العسكري الايطالي.

جمع الرجال، بل هو انتقاهم، وفي الوقت المناسب ذكّرهم بأن المهمة صعبة وهي لابد أن تكون فاتحة خير ومرحلة جديدة في الجهاد الوطني، وقال لهم إننا إذا اقتحمنا القارة ونجحنا في ذلك نكون قد كسرنا العمود الفقري الذي يعتمد عليه القائد الايطالي (مياني) وضباطه، وبعد مشاورات ومداولات تم الإتفاق على القيام بعمليتين متتاليتين، أولاهما في القارة نفسها، وثانيتهما في أوباري.

كان عدد المجاهدين حوالي ثلاثمائة مجاهد، وخيّرهم الشيخ سالم بين المعركتين قائلا: "كلاهما معركة حياة أو موت وما جاهدنا إلا لأننا نطلب الشهادة في سبيل الله والوطن"، وقال إنه سيقود معركة القارة بنفسه بينما اقترح

أن يقود معركة أوباري المجاهد كنيفو[1] وهكذا كان، فتوزّع المجاهدون كل حسب رغبته، وقاد الشيخ سالم قرابة مائتين من الرجال في عملية اقتحام (قارة سبها) وقد اختار عددا قليلا منهم لاقتحام مركز القيادة في القارة وكان على هؤلاء أن يتسلقوا أو ينفذوا من الفتحات أو الفجوات من أجل الوصول إلى قمة القلعة حيث توجد القيادة ومرابض الرشاشات والمدفعية، وكان هو في مقدمة هؤلاء المقتحمين، وطلب من الباقين أن يستعدوا لمهاجمة الخنادق والمرابض الواقعة على سفح وأسفل القلعة بمجرد سماع أول طلقة رصاص وارتفاع الآذان، وكان قد طلب من أحد رفاقه أن يرفع صوت الحق عندما يطلق هو أول طلقة، وقد عرف أماكن الحراسة ومرابض الرشاشات بواسطة مواطن ليبي كان يعمل عسكريا مع الطليان ويدعى (سالم الحطماني) فزودهم بمعلومات عن مهاجع الجنود وأسلوب الحراسة (وقد اختلفت أغلب الروايات التاريخية في أمر هذا العسكري وكيف استطاع المجاهدون أن يستميلوه، فمن قائل أنه أسر بينما كان يقوم بإجازة لزيارة أهله، وقد أجبر على مساعدة المجاهدين الخ، ونحن نميل إلى أنه فعلا كان في إجازة، وعندما التقى بالمجاهدين تطوّع لمساعدتهم في هذا العمل الجهادي لأنه ليبي رغم كونه عسكريا مع الطليان) وطلب الشيخ سالم التزام الهدوء وعدم اطلاق النار مهما كان الأمر إلا بعد سماع الآذان وربما يقتضي الحال استعمال السلاح الأبيض، ومن هنا فقد تهيأ

(1) المجاهد كنيفو من الزنتان كان يساعد الشيخ سالم وهو من عائلة الجروه

المجاهدون لذلك العمل الكبير والخطير في نفس الوقت، كان لابد من المفاجأة ولابد من الإحكام ولابد من الإستعداد، ولأنه أراد أن تكون المفاجأة تامة فقد قرر الهجوم عند الفجر بحيث يكون الآذان في وقته ويكون بالتالي أغلب الحراس نياما.

كانت الخطة محكمة والرجال على استعداد عندما وصل الشيخ سالم قمة القلعة في تمام الساعة الرابعة من فجر يوم 28 نوفمبر 1914م وأطلق الطلقة الأولى التي كانت قد اخترقت صدر أحد الحراس، وهكذا ارتفع صوت الآذان في نفس الوقت، الله أكبر، الله أكبر، بدأ الهجوم وانطلق الرصاص وما هي إلا ساعات قليلة حتى تمت السيطرة الكاملة على القلعة، كانت مفاجأة بحيث أن العساكر لم يتمكنوا من التقاط أسلحتهم أو حتى ارتداء بعض ملابسهم بينما قتل فورا كل أولئك الذين كانوا في الحراسة بما فيهم كلب مدرب كان من المتوقع أن يرسل إشارة الإنذار إذا ما سمع أو اشتّم أي شئ، فقد كان رصاص المجاهدين وإرادة الله أقوى من كل شئ، ومع انبلاج فجر ذلك اليوم السعيد كان الجنود الإيطاليون بما فيهم ضباطهم إما قتلى أو أسرى.

في ذلك اليوم الأغر (28 نوفمبر 1914م) بدأت ونجحت المعركة الفاصلة مع قوات الغزاة واحتل المجاهدون (قارة سبها) وقتلوا من كان فيها واستولوا على جميع الأسلحة والذخائر الكثيرة، ولقد ذكرت تفاصيل تلك المعركة والغنائم مختلف المصادر التاريخية ومنها الإيطالية، وكان الأرجح منها ما

أورده الأستاذ خليفه التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا) وكان كما يلي: "كان الجنود الإيطاليون عددهم (87) جنديا ايطاليا بينهم (8) ضباط، وكان معهم (85) جنديا من فزان و(19) جنديا اريتريا وكانوا مزودين بمدفعين جبليين عيار (70) ملم وأربعة رشاشات ثقيلة وكميات كبيرة من الذخيرة من مختلف الأعيرة تكفي للقتال مدة طويلة وكميات هائلة من المواد الغذائية والألبسة والأغطية[1] وقالت مختلف المصادر التاريخية أن الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني وأركان حربه وهم (سالم دنّه ومحمد الدحنوس وعلي الشنطه ومجاهديهم كانوا قد استولوا على القلعة الحصينة التي تسمى قارة سبها بسهولة عجيبة وكانت الخطة الحربية في غاية الدقة بحيث كانت ناجحة جدا)، وبعد انتهاء عملية القارة بنجاح كبير كان على المجاهدين أن يعودوا إلى مراكز قياداتهم استعدادا للمعارك القادمة إذ لاحت بشائر النصر، وكان نصرا مؤزرا عززّته الأخبار التي جاءت بعده مباشرة، إذ نجح أيضا المجاهدون الذين هاجموا أوباري بقيادة المجاهد المهدي كنيفو، وبذلك لن يكون للكولونيل (مياني) أي خيار إلا الرحيل عن الجنوب لأن مطارق المجاهدين ستدق على الرؤوس بلا تردد أو تأخير، إلا إذا قرر الإنتحار هو وجنوده، هكذا كانت معركة قارة سبها وسنرى كيف كان الشيخ سالم بن عبدالنبي صادقا عندما قال أن هذه المعركة ستكون فاصلا وفيصلا في تقرير مصير الجهاد الوطني، ولكن قبل ذلك لنرى

(1) كتاب معجم معارك الجهاد فى ليبيا، خليفه التليسى

ماذا قال المؤرخون والرواة عن هذه المعركة التي قررت فعلا مصير القائد الروماني (مياني) الذي جاء ليحتل وليعيد لروما أمجادها في ليبيا".

يقول المجاهد أبوعجيلة أحمد أبو رميلة في رده على استطلاع مركز جهاد الليبيين ما يلي:

س، كم من الوقت بين معركتي محروقه والقاهرة ؟

ج، حوالي سنة .

س، هل قدمتم من القاهرة إلى الرمله؟

ج، كنا في الرمله لأن السيارات لا تستطيع الوصول إليها ويكون قذف الطائرات غير فعال في الرمال.

س، حدثنا عن معركة القاهرة من الرمله إلى نهاية المعركه وأخذ الغنائم ؟

ج، تجمّع المجاهدون في الرمله وكان الإيطاليون متمركزين في القاهره وغات ومرزق، والقاهرة هي عبارة عن تل مرتفع، وعندما تجمعنا كان معنا المهدي السني، وكان القائد الذي يجمع المجاهدين هو سالم بن عبدالنبي .

س، هل كانت هناك إتصالات بين محمد العابد وسالم بن عبدالنبي والمهدي السني؟

ج، كان بينهم اتصال إلا أن سالم بن عبدالنبي هو المخطط والمنفذ لمعركة القاهرة، وقد سرنا إلى القاهرة حتى اقتربنا منها في مساء أحد الأيام وكان شخص من الحطمان اسمه سالم مجندا مع الإيطاليين في القاهرة وهو الذي قدم إلينا.

س، في أي المواضع قدم إليكم؟

ج، التقينا معه في أرض إدري .

س، هل قدم إليكم بعد أن انقسمت مجموعة منكم وذهبت إلى أوباري؟

ج، قدم إلينا قبل ذلك بعد أن كنا قاصدين القاهرة وبعد سفرنا انقسم رجال المرابطين والمشاشي وقرروا الذهاب إلى أوباري .

س، كم عدد المجموعة في البداية ؟

ج، عددنا نحن الذين وصلنا القاهرة 300 مجاهد وعدد الذين انقسموا عنا 50 أو 60 مجاهدا .

س، ما هي القبائل التي ينتمي إليها المجاهدون ؟

ج، الأكثرية من الزنتان ويبلغ عددنا حوالي 150 مجاهدا ومعنا أيضا 10 أو 15 من القواليش أحدهم اسمه مصباح والآخر اسمه عبدالهادي، ومعنا من الغناني حوالي ثمانية رجال وكان معنا أيضا من أولاد ابريّك .

س، هل كانت الإبل هي وسيلة نقلكم؟

ج، معنا بعض الإبل ومعنا ثلاثة خيول أحدها لسالم بن عبدالنبي والثاني لشخص اسمه سلطان القائدي والثالث لشخص من الزنتان، وحدثنا سالم الحطماني فقال: إذا استطاع ولو جزء منكم الصعود إلى القلعة قبل أن يعلموا بوجودنا كان نصرنا مؤكدا، وكانت القلعة تقع على تل مرتفع والطريق المعروفة تصعد إليها من الجهة الجنوبية، ومن الجهة المقابلة يوجد ممر وعر جدا وهو السبيل

الوحيد لوصولنا إلى القلعة دون أن يعلم بنا أحد، واختار سالم بن عبدالنبي من قبيلته خمسة وعشرين شخصا ومعهم سالم الحطماني وكانوا مكلّفين بالصعود من ذلك الممر .

س، هل تذكر أسماء هؤلاء الرجال ؟

ج، أنا ومحمد بن عبدالرحمن ومعنا شخص من القواليش مات بعد المعركة (معركة القاهرة) بسبب المرض ومن المشاشيه معنا شخص واحد اسمه بقص .

س، ما هو الوقت من الليل؟

ج، قبل الفجر بقليل وكان الأحباش موجودين إلى جانب التل واتفق معنا سالم بن عبدالنبي على إطلاق المدفع حين نصل إليه، صعدنا بصعوبة ووجدنا مدفعين ورشاشين كل واحد في زاوية من المبنى.

س، وماذا عن الحرس الايطالي؟

ج، كان الحرس موجودا في الباب الجنوبي، أما طريقنا فلم يكن أحد يتوقع الصعود منه، وجدنا ثمانية من الإيطاليين يغطون في نومهم وأردنا أن نقتلهم إلا أن الحطماني قال يجب أن نطلق المدفع أولا، وبمجرد أن انطلق المدفع قتلناهم جميعا وبدأ إطلاق النار من جهتنا ومن المجاهدين الموجودين أسفل القلعة ومن الأحباش، وفي هذا الوقت انبلج الفجر وقد طلب سالم بن عبدالنبي أن نرفع الآذان بعد إطلاق المدفع ونفذنا تلك التوصية.

س، وهل توجد المدافع في أبراج مقفلة أم هي موضوعة في الساحة؟

ج، بالنسبة للمدفع الذي استعملناه كان الحطماني يعرفه تماما وهو الذي فتحه.

س، هل حاول الإيطاليون الصعود إليكم؟

ج، حاول الأحباش ومن معهم من المجندين العرب الصعود إلينا وكانوا ينادوننا قائلين نحن مسلمون، وكانت البنادق والذخيرة موجودة في القلعة وكنا نطلق النار على من يحاول الصعود .

س، هل أبيد هؤلاء العساكر ؟

ج، فرّ منهم البعض وقدمت السيارات من مرزق فكانت تنقلهم والبعض الآخر ذهب إلى سبها، وكان المجاهدون يتعقبونهم وقتلوا منهم الكثير .

س، هل أسرتم منهم البعض ؟

ج، أسرنا إيطاليا واثنين من الأحباش وأرسلناهم إلى طرابلس .

س، وماذا عن الغنائم ؟

ج، أرسلنا إلى الرملة والشاطئ فأرسلوا لنا سبعين جملا وبقينا في سبها ثلاثة أيام وأخذ أهالي سبها بعض الغنائم وأشعلوا النار في الباقي .

س، وماذا عن الأسلحة والمدافع ؟

ج، أحد المدافع أخذه سالم بن عبدالنبي.

س، هل غنمتهم نقودا أو ذهبا ؟

ج، تحصل البعض على نقود وعندما رجعنا بالغنائم جاء إلينا المهدي السني.

س، هل كان المهدي السني معكم أثناء الهجوم ؟

ج، بقي في خيمته ينتظرنا، وتم تجميع الغنائم وأقسم المجاهدون على عدم احتفاظهم بشئ من الغنائم وغضبنا من ذلك وكان معنا مجموعة من الطوارق (بن غساتن) وذهبنا إلى غدامس .

س، كم كان عددكم ؟

ج، حوالي 50 أو 60 شخصا ذهبنا إلى غدامس وأردنا أن نهاجم الايطاليين ونحصل على الغنائم .

س، ألم يسبق أن حملتم سبعين جملا ؟

ج، تلك الحمولة تم تخزينها في ونزريك وعندما وصلنا إلى غدامس لم نجد الإيطاليين فتبعناهم إلى سيناون ولم نجد إلا بعض العساكر، أخذنا منهم حوالي عشر بنادق، ورجعنا إلى فزان، فحضرنا معركة فروتن صدفة وكان معي شخص اسمه عمر أبوغباقه -انتهى[1]

وأرى أنه من الإنصاف التنويه بالدور الكبير الذي قام به سالم الحطماني الذي أرشد المجاهدين إلى نقاط الضعف في القارة، ولقد لاحظت أن بعض الذين تناولوا أحداث معركة القارة ذكروا أن هذا الحطماني كان قد أجبر عندما قبض عليه، وبالتالي استخدم ليكون دليلا، والحقيقة أن ذلك فيما يظهر من تصرفات الرجل غير صحيح؛ لأنه لو كان قد أجبر أو أنه قد قبض عليه وألزم بأن

(1) موسوعة جهاد الليبيين – مركز الجهاد

يكون دليلا ما كان يمكن أن يساعد حسب ما ذكر كل المجاهدين الذين تحدثوا عن تلك المعركة، حيث أنه كان يقول لو تمكّنا من الصعود لكان النصر حليفنا، كما أنه هو الوحيد الذي كان يعرف مكان المدفع وقد استعمله في بداية الهجوم، وهو الذي نصح المجاهدين بإطلاق المدفع قبل قتل الإيطاليين الثمانية، ولهذا فإنه لابد من اعتبار سالم الحطماني متطوّعا بمساعدة المجاهدين اقتناعا بالجهاد الوطني وبالمجاهدين وإن كان يعمل عسكريا مع الإيطاليين، وذلك لا يقلل من قيمة الدور الذي قام به في هذه المعركة، وقد رأينا وسنرى من بقية شهادات المجاهدين كيف كان دوره، ونعتقد أن بعض الكتابات لم تكن منصفه بالنسبه لهذا الرجل حتى أن بعضهم قال أنه ربط بحبل وجرّ إلى المكان !

ويذكر الأستاذ خليفة التليسي معركة القارة على الوجه التالي : "سبها استولى عليها الإيطاليون للمرة الأولى أثناء حملة الكولونيل (مياني) على فزان وذلك في 27 نوفمبر 1914م واتخذ منها (مياني) قاعدة للانطلاق نحو بقية مدن فزان وواحاتها. كما جعلها مقرا لمتصرفية فزان، وأنشأ بقلعتها التاريخية المعروفة باسم (القاهرة) أو (قارة سبها) حامية دفاعية وقد كان سقوط هذه القلعة في أيدي الوطنيين من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل حملة (مياني) وانهيارها وانتهائها إلى ذلك المصير التعس، وقد خرج الكولونيل مياني من سبها على رأس قوة حربية تأديبية كما يسميها الإيطاليون ضد حركة المقاومة التي انتشرت في شاطئ فزان، وتزعم المصادر الإيطالية بأنه قد حشد كل قواته لهذه العملية ولم

يبق بقلعة سبها سوى مجموعة صغيرة تتألف من 87 جنديا إيطاليا منهم 8 ضباط و85 جنديا من فزان و 19 جنديا من اريتيريا مزوّدين بمدفعي جبال من طراز (70 ملم) وأربعة رشاشات وصناديق كثيرة من الذخيرة، وقام المجاهدون مساء 27 نوفمبر 1914م بمهاجمة القلعة واستولوا عليها بالتعاون والإتفاق مع الجنود الفزانيين في الجيش الايطالي، وقد فوجئ أفراد الحامية الإيطالية عند الساعة الرابعة صباحا بالمجاهدين وهم يفرضون سيطرتهم المسلحة على القلعة، وذهبت عبثا جميع محاولات الحامية الإيطالية لاستعادة السيطرة فقد قتل منهم من قتل وأسر الباقي، وخرج أمر السيادة على سبها من أيدي الإيطاليين بهذه الحركة البارعة، وما كاد يعلم الكولونيل (مياني) بذلك حتى أخذ طريقه إلى سوكنة رأسا تاركا بقية الحامية تواجه مصيرها، وكانت هذه من الضربات العنيفة التي وجهت لحملة مياني وهي جزء من العمليات الموفقة التي انتشرت في ذلك الوقت في القبلة وفزان والجفرة ضد الحاميات الإيطالية، عاد الإيطاليون إلى احتلال سبها للمرة الثانية والأخيرة في 14 ديسمبر 1931م في نطاق حملاتهم العسكرية التي قادها الجنرال (غراتسياني) في سبيل السيطرة على فزان" [1] انتهى، ومما ذكره الأستاذ التليسي نلاحظ أنه تحدث عن سبها ولا نعرف لماذا تحاشى ذكر اسم قائد المعركة في حين أنه كان يذكر قادة المعارك في الحملات الأخرى كما فعل في الحديث عن معركة القرضابية؟ كذلك ما ذكره

(1) معجم معارك الجهاد فى ليبيا – خليفة التليسى

حول مساعدة الجنود الفزانيين وهذا لم يرد في شهادة أي من المجاهدين الذين اشتركوا في المعركة أو حتى أولئك الذين كتبوا أو تحدّثوا عنها وما كان يمكن أن يتجاهلوا تلك المساعدة لو كانت قد حدثت، لأنها في تلك الحالة ستكون فخرا لليبيين حتى لو كانوا مجندين مع القوات الإيطالية التي تحاول احتلال بلادهم، ولقد رأينا أن المجاهدين الذين شاركوا في المعركة وتحدثوا عنها قد ذكروا اسم المجند (سالم الحطماني) الذي ساعد في التعرف على مواقع المدافع وأبواب القلعة، ولابد أن الأستاذ التليسي قد استقى تلك المعلومات عن مشاركة الجنود الفزانيين الذين كانوا ضمن القوات الإيطالية في القارة وقت أن هاجمها المجاهدون من مصادر إيطالية تلك التي يهمها أن تقلل من قيمة ذلك العمل الكبير الذي قام به المجاهدون، خصوصا أن تلك المصادر الإيطالية قد تعمّدت القول أن الكولونيل مياني كان قد خرج على رأس قوة كبيرة ليقوم بحملة تأديبية ضد (العصاة)، ولو تأكد المؤلف من المعلومات والبيانات التي ذكرها المجاهدون أنفسهم لكان قد عرف الحقيقة، على أننا لا نعفي الأستاذ التليسي من مسؤولية هذا الخطأ الذي ما كان يجب أن يقع فيه، لكننا على أي حال لا نقلل من جهده في هذا المجال، ولعله سيتدارك هذا الخطأ في كتاب آخر .

كما تحدث فضيلة الشيخ الطاهر الزاوي رحمه الله عن معركة القاهرة (قارة سبها) باقتضاب شديد عندما تناول معارك الجنوب في كتابه المعنون (شيخ الشهداء عمر المختار) إذ قال : "ودامت الحرب في طرابلس اثنتي عشرة سنة،

لم يتمكن فيها الإيطاليون من مجاوزة أسوار المدن وحماية الأسطول إلا في سنة 1913م أو 1914م حيث وصلوا إلى فزان ثم رجعوا في ديسمبر من هذه السنة مهزومين شر هزيمة، لم يلاقوا مثلها في حروبهم الطويلة في ليبيا"(1) هكذا قال فضيلته، إن الهزيمة نكراء ولم يلاقوا في حروبهم الطويلة في ليبيا مثلها وأن هزيمة فزان! ولا نعرف السبب في هذا الإجحاف، وفضيلته يعلم ويعرف تماما أنها معركة (قارة سبها) وأنها كانت الفصل والفيصل في تاريخ الجهاد الوطني خلال تلك المرحلة والتي على إثرها فقد القائد الايطالي (مياني) سمعته العسكرية وأرجع إلى بلاده.

كما إن (بيلاردينيللي) في كتابه المعنون (القبلة) لم يذكر الحقيقة عن معركة القارة (قارة سبها) بينما تحدث عن حملة (مياني) التأديبية، كأنما أراد أن يوحي بإن القارة لم يكن بها أحد للدفاع عنها عندما قال:" في تلك الآونة كان العقيد مياني قد حشد قواته في براك تمهيدا لشن حملة انتقامية على الشاطئ، إلا إنه على إثر بلوغه نبأ سقوط قارة سبها (28 نوفمبر) مقر المفوضية على يد شراذم السنوسية بقيادة المهدي السني عدل عن تنفيذ خطته، وبسبب تلك الظروف المعاكسة التي كانت تحول دون القيام بالهجوم المضاد، قرر التراجع والانسحاب إلى سوكنه، ونفذ ذلك بعد وصول تعزيزات قادمة من تلك البلدة، قوامها سريتان أريتيريتان بقيادة الرائد (موسبير) الكتيبة الأريتيرية الخامسة

(1) كتاب عمر المختار، الحلقة الأخيرة فى الجهاد الوطنى فى ليبيا، الزاوي

عشرة، وما أن حل مياني بسوكنه حتى تلقى بواسطة اللاسلكي نداءات ملحة من حامية أوباري تطالب بالنجدة، ثم انقطعت النداءات بالكامل دفعة واحدة"(1)!!

نلاحظ هنا المغالطات والكذب، تعبير شراذم، وقيادة المهدي السني، وأن مياني كان ينوي القيام بعملية انتقامية، أرغمته معركة قارة سبها على العدول عنها،، الخ، ولسنا في حاجة إلى التعليق.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

صدق الله مولانا العظيم [سورة الفتح الآيات 1 – 6]

***

(1) كتاب القبلة، بيلاردينيللي

الفصل الثالث
الوضع العسكري بعد معركة القارة

على الرغم من أن معارك الجهاد في ليبيا كانت كثيرة وكانت تقع في أماكن مختلفة كما كانت قيادات الجهاد متعددة، وخصوصا في المنطقة الغربية والجنوب، أي في طرابلس والجبل وفزان، إلا أن الحقيقة تبقى لتؤكد أن إنعكاسات نتائج المعارك تظهر مباشرة في أي مكان، ونلاحظ هنا أن معركتي (القارة وأوباري) كانتا السبب الأساسي في هزائم القوات الإيطالية بفزان، وكانت أيضا سبب انتصارات المجاهدين الليبيين في تينك المعركتين البارزتين في تاريخ الجهاد الوطني الليبي وهما معركتا (وادي مرسيط والقرضابية)، وقد حدثتا مباشرة بعد الانتصارات التي تحققت في الجنوب، أي فزان، فقد حدثت معركة وادي مرسيط في أول إبريل سنة 1915م، وبالتحديد بعد معركة قارة سبها بثلاثة شهور وثمانية أيام، وحدثت معركة القرضابية أو بوهادي كما عرفت في التاريخ أيضا بعد معركة قارة سبها بأربعة أشهر، وكانت القيادة الإيطالية تريد من خلال القيام بهاتين المعركتين استعادة الثقة في النفس التي فقدت بين ضباطها وجنودها وعلى رأسهم الكولونيل (مياني) ولكن الهزيمة كانت حليفتها، فقد فشل مياني وانكسرت قواته في المعركتين، وبالتالي فقد كل شئ، وربما

كانتا سببا في نهايته في الميدان العسكري على الإطلاق، فقد هرب بجزء من قواته وقيادته على إثر معركة قارة سبها ليحل بسوكنه في مساء ذلك اليوم، أي يوم 28 نوفمبر 1914م (نلاحظ هنا أن القارة قد احتلت صباح يوم 28 نوفمبر 1914م، ومياني انتقل إلى سوكنه مساء يوم 28 نوفمبر 1914م) أي إلى المكان الذي بدأ فيه تجمع القوات الإيطالية بقيادته عندما كان يعد لاحتلال الجنوب، وصدر إثر ذلك قرار الإنسحاب الايطالي من فزان وهو محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاده من القوات الإيطالية التي اعتقدوا أنها احتلت الجنوب ولابد أن تبقى هناك إلى الأبد، ولم تلحق قوات مياني به إلا بعد ثمانية أيام من انسحابه، أي أن عناصر قيادته انسحبوا من مرزق في 6 ديسبمر 1914م، والحقيقة أنها هربت بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، بدليل أنهم تركوا الجنود غير الإيطاليين في ذلك المكان بواجهون المصير المحتوم ولم يسحبوا إلا الجنود والضباط الإيطاليين.

واصل مياني سحب قواته فغادر براك يوم 11 ديسمبر إلى سوكنه ثم إلى مصراتة، حيث وضعت رحالها على الشاطئ يوم 25 ديسمبر 1914م وكانت تتعرض لهجمات المجاهدين وهي منسحبة أينما حلّت في الطريق، وحدث أن القوات التي كانت تعسكر في غات لم تجرؤ على الإنسحاب تحسبا لهجمات المجاهدين، فلجأت إلى الحدود الجزائرية لتحتمي بالقوات الفرنسية هناك، وقد انتشرت شرارة الثورة الوطنية التي بدأت في قارة سبها وفي أوباري وانتصرت هناك لتشمل كل مكان في ليبيا، وكان على الإيطاليين قادة وجنود أن

ينجوا برؤوسهم وهي فوق أكتافهم وإن كانت مطأطأة بفعل الهزائم التي لحقت بهم، ولم تكن تلك التصريحات التي أطلقتها فرنسا سنة 1911م صادقة بل إنها لم تكن ذات جدوى، حيث قالت في ذلك الوقت أن إيطاليا إذا رغبت الاستيلاء على ليبيا فسوف لن يكون عليها أن تحارب أحدا، هكذا بالضبط "ليس عليها أن تحارب أحدا"، وهذه إيطاليا وقد دخلت ليبيا سنة 1911م وانتشرت قواتها في أطراف البلاد تحارب هنا وهناك، ثم تنهزم لتعود إلى الشواطئ مرة أخرى بعد ثلاث سنوات من الحرب، إذن عليها أن تحارب، وسوف ترى أن حربها تكون طويلة ومؤلمة ومكلفة، ستحارب الليبيين اثنين وعشرين سنة كاملة وستخسر جنودها ودباباتها وطائراتها وأعتدتها في الصحارى والوديان وعلى قمم الجبال.

انتشرت الثورة، وبدأ المجاهدون الهجوم على كل موقع فيه إيطالي، في كاباو وفي تكوت وفي القريات وفي سيناون وغدامس، وفي الجفرة وسوكنه وأبي نجيم وبن وليد ومرسيط وجادو والجوش ويفرن والزنتان وفندق بن غشير وسواني بن يادم وزوارة والزاوية وزليطن وسرت الخ... وبعد أن فقد مياني بريق عمله العسكري الذي قام به في بداية الغزو حيث كان قد احتل الجنوب كاملا، وما لبث أن انهزم وخرج من الجنوب كاملا أيضا، فقدْ فقدَ قدرته على القيادة نتيجة للضربة الجهادية الموفقة في قارة سبها، وهكذا كلفت القيادة الإيطالية الكولونيل (بيليا) باحتلال ترهونة رغبة في تخفيف الضغط على القوات الإيطالية وإيقاف اندفاع المجاهدين، ولكن هذا وقع بكامل قواته تحت حصار وتطويق

قوات المجاهدين، وجرت محاولات نجدته للخروج من الورطة التي وقع فيها فأرسلت الإمدادات قوافل إثر قوافل وكانت جميعها تتعرض لهجوم المجاهدين ولا تصل إليه مثلما حدث في سيدي الوليد وسوق الأحد، ورغم كل المحاولات فإن المدد لم يصل إلى القوات المحاصرة ولم يكن أمام الكولونيل (بيليا) إلا أن ينسحب، وهكذا عرّض قواته لهجمات المجاهدين الذين كبدوها خسائر فادحة.

وإذا كان الكولونيل (بيليا) قد انسحب بعد أن قتل المجاهدون أعدادا كبيرة من قواته فإن الجنرال (بريجينتي) الذي كان قد قاد القوة التي اتجهت إلى بن وليد في 28 يونيو 1915م لفك الحصار عن الحامية الإيطالية هناك والتي ضرب المجاهدون حصارا محكما حولها في 6 مايو 1915م كان أسوأ حظا، فقد اضطر للاستسلام بكامل قواته يوم 5 يوليو 1915م وقتل هو نفسه في تلك الموقعة، وحدث نفس الشيء للحامية الإيطالية في مزدة التي كانت قد حوصرت، ولم تتمكن من الهرب إلا بصعوبة بالغة وتضحيات كبيرة، ولما توسّعت هجمات المجاهدين في كل مكان لم يكن أمام الاستعمار الايطالي وسلطاته العسكرية من خيار إلا أن يقرر الإنسحاب من الجبل الغربي ويعيد قواته إلى الشاطئ بحيث يمكن أن تحميها البوارج الحربية الرابضة قبالة المدن، وهكذا انسحبت القوات الإيطالية من يفرن في 11 يوليو 1915م ومن جادو والجوش قبلها بيوم واحد أي في 10 يوليو 1915م، أما الحامية الإيطالية في

الزنتان فرغم كل المحاولات لم تستطع أن تنسحب نظرا للحصار الذي ضربه حولها المجاهدون وهجماتهم المتكررة والقوية عليها، ولهذا استسلمت بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد.

وحدث نفس الشئ لحامية نالوت عندما بدأت تنسحب جدد المجاهدون الهجوم عليها، فاستسلم جزء منها وهرب الجزء الآخر إلى الحدود التونسية حيث احتمى الجنود وضباطهم بالقوات الفرنسية هناك، ونفس المصير لاقته الحامية الإيطالية في غدامس وما كان منها إلا أن تهرب إلى تونس أيضا طلبا للنجدة من هجمات المجاهدين الليبيين، وانسحبت أيضا القوات الإيطالية من فندق بن غشير في 15 يوليو 1915م ومن العزيزية في 16 يوليو 1914م ومن سواني بن آدم في 17 يوليو 1915م ومن أبي كمّاش والعجيلات والزاوية في 17 يوليو 1915م ومن زليطن في 9 يوليو 1915م ومن سرت في 16 يوليو 1915م ومن قصر حمد في 5 أغسطس 1915م، أي أن هذين الشهرين كانا يمثلان قمة الهزائم بالنسبة للقوات الإيطالية، فقد انحسر الوجود الايطالي بعد هذه الإنسحابات والهزائم والخسائر في مدينتي طرابلس والخمس فقط، هذا في المنطقة الغربية من ليبيا، وقد حدث الشئ نفسه في شرق ليبيا (برقة) حيث شدد المجاهدون ضرباتهم ضد الوجود الايطالي هناك.

وهكذا نرى أن سقوط قارة سبها كان سببا رئيسيا في كل تلك الهزائم الإيطالية والضربات التي ألحقت بقوات الكولونيل مياني غربا وشرقا وجنوبا،

ويجدر بنا أن نعيد هنا ما ذكره بعض المجاهدين (شهود عيان) عن أهم معركتين حدثتا بعد سقوط (قارة سبها) وهما (معركة وادي مرسيط) و(معركة القرضابية)، وقد كانتا أشد المعارك إيلاما للقوات الإيطالية على الرغم من أن المخططين العسكريين الإيطاليين كانوا يريدون بهاتين المعركتين استعادة الثقة في النفس وإيقاف الهجمات التي يقوم بها المجاهدون، كما أننا أيضا نود أن نورد ما كتب عنهما فقط لتأكيد تأثير هزيمة (قارة سبها) العسكري والمعنوي والإنهيارات التي جاءت بعد وادي مرسيط والقرضابية.

يقول المجاهد على محمد عبدالحفيظ عن معركة مرسيط :"كنا مجموعة من أولاد بوسيف مقيمين في العويجه وأبوقيله، والسني والبدوي مقيمين في طبقه وبدأت الاستعدادات من قبل غريان وغيرهم من أجل الإنخراط تحت الإيطاليين وتجنيد فرق للقضاء على المجاهدين، وقد طلبوا السلاح والذخيرة حيث زوّدهم الإيطاليون بالأسلحة وكان معهم عدد قليل من الإيطاليين وقرروا أن يحصدوا محصول الشعير في وادي ويسيق.

سؤال، هل كان عددهم كثيرا ؟

قال، كانوا كثيرين ولا أستطيع تذكر العدد، وقد اجتمع سالم بن عبدالنبي مع محمد الشرع وقرروا الإستعداد للقاء العساكر، وأخذ محمد الشرع يجمع المجاهدين من أولاد بوسيف وأتباعهم كما أخذ سالم بن عبدالنبي يجمع مجاهدي الزنتان وأتباعهم، وقد كان أحمد السني والبدوي من قادة الجهاد

بالإضافة إلى محمد المريمي (بحر السماح) وكان مقيما في زمزم، واجتمعنا واتجهنا إلى فروتن في الوقت الذي كان فيه جنود الإيطاليين في طريقهم إلى فروتن، وبقينا في جبال فروتن مدة 10 أو 15 يوما وكان جماعة من الزنتان يتابعون سير الحملة، وعندما قدّروا الوقت الذي ستصل فيه إلى مرسيط جاءوا الينا وأخبرونا أنهم يتوقعون أن تصل الحملة الإيطالية إلى مرسيط غدا .

سؤال، من هم الجماعة الذين كانوا يستطلعون على الحملة ؟

قال، من الزنتان ولا أعرف أسماءهم وأعتقد أنهم أربعة أو خمسة رجال، وصلوا إلينا وتوقعوا أن يصل الأعداء في الغد، وأخذنا الإستعدادات اللازمة وأخفينا الإبل في الجبال، ومع وقت الضحى شاهدنا العساكر يشرفون على مرسيط، وقدمت سيارتان حتى وصلتا إلى فروتن، واعتقدوا أنه لا يوجد أحد فرجعوا إلى العساكر، وجمعنا أحمد السني وطاف حولنا سبعة أشواط.

سؤال، كم عددكم ؟

قال، بين 300 و 350 مجاهدا وبعد أن طاف سبعة أشواط قرأ الفاتحة وأعطى الإذن بالقتال وكان معنا 10 أو 12 من الخيل .

سؤال، ما هو الوقت من اليوم ؟

جواب، مع وقت الضحى في مرسيط وعند منتصف النهار وصلت إلى أم العجرم وهناك قرروا أن يستريحوا وذهبت خيولنا مع الوادي حتى أصبحت خلف الأعداء، وأخذ بعض العساكر يجمع الحطب وبعضهم يعد الطعام، وبعضهم

يبني خيمة الضابط الايطالي وهو جالس إلى جانبهم حتى وقعت رصاصة إلى جواره فتساءل عن مصدرها، ولما علموا بوجودنا أرسلوا إلينا فرقة من العساكر (هنا كلمة فرقة تعني مجموعة) فأبدناها وأرسلوا ثانية فأبدناها هي الأخرى، وبقوا في أماكنهم وكنا نبادلهم إطلاق النار بطريقة متقطعة حتى أقبل الليل، وكنا نخاطبهم ونطلب منهم الإستسلام ومن حين إلى آخر نطلق عليهم النار، واستمر هذا الحال إلى ساعة متأخرة من الليل وقبيل الفجر بدؤوا يستعدون لمغادرة المكان، وسافرت الإبل أولا، وبعد فترة تحركت السيارات فتبعناهم وكلما أمسكنا مجموعة قتلنا أفرادها .

سؤال، هل أسرتم أحدا ؟

قال، أسرنا اثنين من الإيطاليين .

سؤال، كيف كان مصير الإيطاليين؟

قال، أخذهم السني معه إلى طبقه.

سؤال، كم سيارة كانت ترافق الحملة؟

قال، حوالي عشر سيارات .

سؤال، من الذي كان يقول :

من الغرب سيدي السني ... ومن الشرق سيدي العابد
يا حصلتك يا مطلين ... حصلت جمل في مجابد

قال، لا أعرف من القائل .

سؤال، إلى أي القبائل ينتمي المجاهدون الذين اشتركوا في فروتن ؟

قال، ينتمون إلى أولاد بوسيف وأتباعهم والزنتان وأتباعهم، ومعنا خمسة أشخاص من الجعافرة.

سؤال، من كان رئيس المحلة؟

قال، لا أعرفه وبعد ذلك أوقفت الحرب مدة، ثم رجعوا ثانية وحدثت معركة تارسين وكذلك معركة كردمين- انتهى[1]..

ونجد العقيد (بيلاردينيللي) يتحدث عن معارك القبلة وغيرها في كتابه المعنون (القبلة) وهذا ما ذكره عن معركة (مرسيط)[2] " لإخماد نار الثورة التي كانت تهدد بالإنتشار السريع، قررت الحكومة القيام بعمليتي تطهير على نطاق واسع، إحداهما تشمل منطقة سرت والأخرى تشمل القبلة، وفي 31 مارس 1915م وصل المقدم (جانينانتزي) قائد منطقة غريان إلى مزده ليقود فيلقا يتكون من:

1-الكتيبة الليبية الأولى بقيادة النقيب (سبيرناتزانتي)

2- بطارية مدفعية محمولة بقيادة النقيب (بولاني)

3- 150 رجلا من عصابة مزده بقيادة النقيب (تيستافوكي)

(1) موسوعة روايات الجهاد، عدد 1

(2) كتاب (القبلة) المؤلف الإيطالي بيلاردينيللي

4- مفرزة رشاشات محمولة على الآليات بقيادة النقيب (مويريللي)

5- 50 رجلا من عصابة يفرن وعلى رأسها (عريبى بن حمد)

6- 32 رجل من ككله وعلى رأسهم الشاويش (مبروك)

7- 405 رجال من عصابة غريان الجديدة

8- 50 رجلا من عصابة غريان القديمة

9- 32 مجندا على الخيول

وهناك مع هؤلاء قافلة تموين، وقد عيّن قائدا على مجندي غريان غير النظاميين (راسم كعبار) وحالما وصل إلى علم أحمد السني نبأ هذه الاستعدادات للحملة حشد على وادي تاقجّه حملة تتكون من 400 مسلح من القنطرار وأولاد بوسيف بقيادة (محمد الشرع) والزنتان بقيادة (أحمد الصيد) مع أخوي سالم بن عبدالنبي (إبراهيم ومحمد) والمشاشي وفرق أخرى صغيرة، وبقى مترصدا هناك منتظرا تطور الأحداث، وراجت شائعات مفادها أن الحكومة دعت أهالي غريان إلى جني كامل محصول الشعير الذي كان قد زرعه الرحل في وديان القبلة تحت حماية جنودنا، كما راج خبر بأن عبدالنبي بالخير قد غادر ورفلله مع 400 مقاتل من ورفلله وعرض خدماته على الحكومة لتعزيز قواتها.

وفي يوم 3 إبريل غادر فيلق (جانينانتزي) مزده وفي يوم 6 منه وصل إلى مشارف وادى مرسيط، وأرسلت دوريات من الفرسان للاستطلاع في إتجاه

خرمة الخدامية، فأكدت عند عودتها خلو كامل المنطقة من أي أثر للعصاة[1] وهكذا حط الفيلق رحاله وسط وادي مرسيط لقضاء الليلة بطمأنينة، وفي تلك الآونة بعد أن أخبر أحد مخبرى القنطرار أحمد السني في نفس ذلك اليوم بنبأ اقتراب ذلك الفيلق ومعه جمع ضخم من رجال غريان، انحرف في إتجاه فروتن بعد أن أرسل حرسا لمراقبة التحركات من على مرتفعات خشم فروتن، وعندما أدرك أن قواتنا تسير في محاذاة وادي الطلحة تيقن بما لا يتطرق إليه الشك من نوايا الحكومة التي كانت تعتزم تنفيذها، على حد رأيه هو على الأقل، فعقد العزم مع زعماء العصابة الآخرين على المجازفة بكل شئ مهما كانت النتيجة، وعندما كان الجنود ينصبون الخيام سمع صفير أول إطلاقة كانت من ناحية الشرق، الأمر الذي أقلق الجميع ثم صفير إطلاقة ثانية بعد الأولى بثوان، بعدئذ جاء أزيز العيارات وانهال على المعركة وابل منها لا ينقطع، وقد تم ذلك كله في برهة وخلال ثوان معدودات فأنزل الهلع في نفوس (رجال العصابات الذين ولّوا الأدبار في هرب سريع وقد تبعهم بعض الجنود النظاميين، وقام الضباط بإشهار مسدساتهم لاستعادة النظام والإنضباط بحيث أمكن أن تشتبك الكتيبة الليبية على الفور مع رجال العصابات وتواصل القتال حتى ساعة متأخرة من المساء، إلا أن عنف القتال وضراوته أفقد الفيلق كل فعالية، وقد أصيب قائد الفيلق نفسه بجراح كما أصيب بجراح مختلفة جميع الضباط الآخرين تقريبا، وقتل النقيب

(1) هكذا يقولون دائما عن المجاهدين – عصاة

(بيناردي) من جراء عيار أصابه في بطنه فكانت الخسائر بين الجنود وصفوف ضباطهم كبيرة جدا، ومن واقع اقتناعه بعدم جدوى مواصلة التقدم أصدر قائد الفيلق الرائد (سارتانا) الذي خلف القائد الأصلي المصاب بجراح أوامره بالتأهب للانسحاب في حوالي منتصف الليل، ومضت الليلة هادئة نسبيا، وفي الساعات الأولى من يوم 7 إبريل شرعت الوحدات في الإنسحاب تحت ستار الظلام دون أن تتعرض لشئ يذكر، إلا أنه ما أن انقضت ساعة حتى انهالت العيارات على الفيلق محدثة الهلع والذعر في روع المجندين غير النظاميين وتلت ذلك فوضى عارمة امتدت إلى قافلة التموين أيضا، وفي الوقت الذي لم يرد فيه الليبيون النظاميون على النار بالمثل، اندفع رجال العصابات بإطلاق النار عشوائيا وبطريقة جنونية فتاهت الإبل وترك الحداة حولتها وأطلقوا سيقانهم للريح، كما انطلق جنود العصابات فارين في كل الاتجاهات، ووسط هذه الفضائع والدماء التي عتمت جو ذلك اليوم النحس، صدر عن أحمد السني عمل إنساني ربما الوحيد الذي صدر عنه طوال حياته كعاص متمرد لصالح ثلاثة من مواطنينا الجرحى، حصل أن تمكن العصاة من الاستيلاء بالقرب من وادي مرسيط على احدى الشاحنات المحملة بالجرحى (الملازم طبيب الفيلق الدكتور فيلتريه) الذي كان مصابا بجراح خطيرة في بطنه ونائب العريف وأحد جنود المدفعية الذي كان في حالة خطرة وسائق الشاحنة المصاب بجراح هو الآخر ولكن كانت خفيفة، عند اقتيادهم إلى ظل شجرة بلح وكانت الوحيدة

هناك، وعندما كان العرب سكارى بنشوة المذبحة وفي نيتهم التنكيل بهؤلاء التعساء تدخل في الوقت المناسب أحمد السني وشق طريقه وسط القطيع من الوحوش الضارية ليقترب من الجرحى ويتوجه إلى الطبيب الضابط حيث قال له، أنك مصاب جريح وحالتك خطرة وسيئة ومثلك أيضا رفيقاك الآخران، وأنا لست طبيبا وليست لدي الأدوية لعلاجكم، سأرسلكم إلى مزده حيث يمكن اسعافكم وعمل اللازم لمداواتكم[1] قال ذلك وأمر بنقل الجرحى على نفس الشاحنة وإنزالهم في الملاقى (على بعد 25 كياومترا من مزده) مع إلزام السائق بالعودة مع شاحنته، ولضمان ذلك بعث في حراستهم اثنين من الجنود المسلحين.

بعد هذه المعركة شرع العصاة في حصاد الشعير وتم إخلاء سبيل الجنود مع السماح لهم بالعودة إلى مزده[2] وبقي في حماية الشيخ البدوي اثنان من مواطنينا أرسلا فيما بعد إلى ترهونة مع أسرى آخرين قبض عليهم في الجبل وسلموا إلى

(1) رغم كل المعاملة الطيبة ونقل الجرحى الى مزده للعلاج فإن هؤلاء المجاهدين فى نظر هذا الضابط الإيطالي (وحوش ضاريه) وقتلة وعصاة، فى حين أن الوحوش هم هؤلاء الطليان الذين جاءوا غازين يقتلون الأطفال والنساء ويحرقون الضرع والزرع.

(2) قال أن الفيلق عندما انسحب لم يتعرض لشئ يذكر ثم ناقض نفسه وقال أنه بعد أقل من ساعة تعرض لهجوم شديد وقاس وقد جرح جميع ضباطه وفر مجندوه غير النظاميين وأن المجاهدين أطلقوا سراح الأسرى بعد الحصاد، وهذا يدل على أن الجنود الإيطاليون حصدوا الشعير للناس، أي أنهم خدموا فى الحصاد من أجل أن يطلق سراحهم.

صفي الدين السنوسي (ملاحظة: الذين قبض عليهم في الجبل هم أفراد الوحدة الإيطالية التي كانت تعسكر في بلدة الزنتان).

إن إنكسارنا في وادي مرسيط ويوم قصر أبي هادي في منطقة سرت الذي لا يقل عنه إيلاما قضيا على قواتنا بالكامل بسبب ما لحق بها من خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وكانا علامة زوال لنفوذنا وهيبتنا في جنوب القبلة والمنطقة الشرقية من مستعمراتنا، وظهرت النتائج على الفور خاطفة ومدمرة، عززت السنوسية فيالقها بالعصابات المتمردة والتهب الجبل وهوجمت ترهونه وبنى وليد وضرب الحصار عليهما وعجزت قواتنا عن الهروع لفك الحصار، ثم تلى ذلك خروج حامية ترهونة وإبادتها عندما حاولت الوصول إلى الساحل (18 يونيو 1915م) وتزايدت حملات العصاة لحمل أهالي القبلة الذين مازالوا موالين لنا على التمرد، وعاد الزعماء ومسلحوهم من أهالي القبلة ظافرين إلى أراضيهم وكانت مزده تنتظر عودة المهدى السني.

والحكومة من واقع تأثرها وانفعالاتها من جراء تلاحق الأحداث قررت إخلاء مزده هي الأخرى التي يتهددها التطويق وأصبح مدها بالمؤن والأسلحة في منتهى الصعوبة يوما بعد يوم، وفي منتصف شهر يونيو غادر غريان فيلق قوي بقيادة العقيد (نيقرا) قاصدا تشّه، وما أن وصلت هذه الوحدات بوغرّه حتى تصدت لها (حملات) مقاتلي القبلة المتلاحمين فيما بينهم بقيادة الشيخ أبي بكر قرزه ومحمد بن حسن (مدير المشاشي في عهدنا) والذي انحاز إلى معسكر

العصابات، وأمر العقيد (نيقرا) كتائبه بشن الهجوم، فنشبت معركة ضارية تواصلت إلى المغرب تقريبا وأسفرت عن انتصار قواتنا، فانسحب العصاة صوب الشقيفه عبر (وادي اللا)، وبعد احتلال هذا المخنق وإحكام السيطرة عليه أرسل قائد الفيلق إلى مزده سريتين ليبيتين لتغطية انسحاب الحامية من هناك (الكتيبة الثانية من المتطوعين) ومرافقتهم، وفي 21 يونيو قفلوا عائدين إلى غريان دون أن يعترض سبيلهم أحد (الكلام مازال لبردينيللي) ويضع الكاتب ملاحظة هامشية على الصفحة (158) من كتابه فيقول: "بعد معركة وادي مرسيط كان البدوي قد عاد إلى الطبقة، وعلى إثر انتشار شائعات مفادها أن عددا كبيرا من زعماء الزنتان وعيالهم قد اعتقلوا وشنقوا، صعد مسلحو الزنتان الرحل شمالا نحو الطبقة فاقتفى أثرهم البدوي ليصل الزنتان بعد انقضاء ثلاثة أيام على حصار الحامية هناك، وبواسطة احدى النساء (ذكر لي هو ذلك فيما بعد) بعثت إلى الرقيب (ميليو) أكثر من رسالة أحثه فيها على الاستسلام مع تعهدي بإنقاذ حياته وحياة جنوده الذين معه فلم أتلق أي رد منه، ولقد حاول الخروج ليلا ولكن عدد الجنود كان كبيرا فلاحقناه وحاصرناه حتى ألقينا عليه القبض وأمرت رجالي من الزنتان أن يتوقفوا عن القتال، ليس ذلك فحسب بل عملت على ترجيع جميع الأشياء التي كانت قد سرقت[1] من الإيطاليين إليهم، بعدها قلت

---

(1) نلاحظ أنه يسمى الغنائم (سرقة) فقد سلم الجنود أو استسلموا بعد قتال وما كان معهم لابد أن يكون غنيمة، إلا انه مع ذلك يسميه سرقة، أما كلام السيد البدوى فقد قاله بعد أن انتهت الحرب وحكم الإيطاليون وبالتالي فلابد أن تكون فيه مداهنة.

للنقيب أنه لو استجاب لرسائلي لما كـان قتـل أي جنـدي، أجـابني بأنـه لم يكـن ممكنا أن يثق فيها، وربما لم يكن مخطئا تماما في اقتناعه هذا، وفي تلـك المناسـبة بناء على استدعاء فكيني كان علي أن أسرع إلى فساطو لأمنع خليفه بن عسكر مـن نهب المؤن المخزونة لاطعام الأسرى، فجمعت هذه المؤن مع ما جمعـه خليفـة بن عسكر وأرسلتها إلى يفـرن فكتـب إلى عابـد السنوسي بواسـطة سـالم الـدناع يشعرني بأنه يريدها ولكنني فضّلت إرسالها إلى الطابونية بسبب بعد مقره عنا".

ويتحدث الأستاذ التليسي عن معركة وادى مرسيط فيقول: "عـلى إثـر الثـورة التـي انـدلعت في القبلـة والجنـوب وأدت إلى انـسحاب الحاميـات الإيطاليـة بالدواخل، وتقلص النفوذ الايطالي أبدى الـوالي (الجنـرال تاسـوني) محـاولات يائسة للتشبث بالمواقع التي كانت بيد الإيطـاليين، وكـان يـستجيب في ذلـك إلى توجيهات الحكومة المركزية التي هالها إنهيار الوضـع وإلى شـعوره الشخـصي بعدم وجود ما يبرر هـذه الانـسحابات الواسـعة، وقـد انـدفع تحـت تـأثير هـذا الشعور المغرور إلى تشكيل قوتين كبيـرتين للقيـام بعمليتـين كبيـرتين حـربيتين رئيسيتين في القبلة ومنطقة سـرت، وقـد انتهـت الأولى بالهزيمـة المنكـرة التي تعرضت لها القوة الإيطالية في خرمة الخدامية ووادي مرسيط، والثانية في معركـة القرضابية المشهورة وتعتـرف المـصادر الإيطاليـة الرسـمية بـأن الـواقعتين قـد سجلتا نهاية النفوذ الايطالي في القبلة ومنطقة الخليج، وأدتا إلى تراجـع الإحـتلال الايطالي وانحصاره في بعض المراكز الساحلية، وكانت قـد صـدرت التعليمـات

إلى الكولونيل (جانينزي) قائد منطقة غريان العسكرية بالتحول إلى مزده لمطاردة المجاهدين المنتشرين في تلك المنطقة، والعمل على اخماد الثورة التي أخـذت في التصاعد والإنتشار، وقد تحّول من مزده يـوم 3 إبريـل بقـوة تتـألف مـن 1400 مسلح نصفهم من غير النظاميين، لضـرب محلة للمجاهدين كانـت تتـألف مـن 400 مسلح، كانوا قد تركّـزوا في وادى تاقجّـه، بـين قنطـرار وأولاد أبـي سـيف لمواجهة زحف هذه القـوة الإيطاليـة، وفي يـوم 6 إبريـل 1915 وصـلت القـوة الإيطالية إلى وادي مرسيط وأرسلت بعض طلائعها للاستطلاع ورصـد وجـود المجاهدين، وعندما اطمأنت بعدم وجود أية قوة للمجاهدين في المنطقة أخذت تنصب خيامها عند الساعة الرابعة في وسط الوادي لتمـضية الليـل بـه، وفي هـذه الأثناء كان أحمد السني قد زحف بقواته من المواقع الـسابقة نحـو فـروتن وأقـام بعض طلائعه في الموقع المعروف باسم (خشم فروتن) وبينما كان جنـود القـوة الإيطالية منصرفين إلى نصب الخيام فوجئوا بصوت إطلاق الرصاصة الأولى ثـم الثانية والثالثة، فأثار ذلك روح الفـزع في معـسكر العـدو الـذي أخـذ الرصـاص يحصده من كل جانب"

ويقول الكولونيل (بيلاردينيللي) في وصفه لهذه المعركة في كتابه (القبلـة): "لم يستغرق كل ذلك سوى لحظات قليلة ولكنه أثار الفزع بين القوات غير النظاميـة التي لاذت بالفرار بعد أن جرّت معها بعض أفـراد القـوة النظاميـة، وقـد اضـطر الضباط لإستخدام السلاح وشهر مسدساتهم في وجه الجنود النظاميين لإلزامهم

بالصمود ومواجهة المجاهدين، واستمرت المعركة عنيفة قوية حتى ساعة متأخرة من المساء، وقد قضى عنفها على كل الإمكانيات الخاصة بالقوة الإيطالية، وعطّل فعاليتها، فقد جرح القائد الايطالي وجرح كل الضباط الإيطاليين كما قتل بعضهم الآخر، وانتقلت القيادة إلى الماجور (سيرتيرانا) الذي أمر بالإنسحاب والتراجع ليلا نحو مزده، وما كادت تبدأ الساعات الأولى من اليوم التالي 7 إبريل 1915م حتى أخذت الأفواج الأولى من هذه القوة الباقية تتسلل تحت جنح الظلام نحو مزده، وحين بدأت تقطع المراحل الأولى من الطريق تعرّضت لرصاص المجاهدين الذي أثار لديها شعور الفزع وسيطرت الفوضى على صفوفها فشردت الإبل وتخلى الجمّالون عن الأحمال، وتفرقت القوة غير النظامية، وفي المساء دخلت بقايا هذه الجماعة المشتتة إلى مزده بلا ذخيرة ولا أمتعة وبلا مؤن ولا مدفعية" .

لقد كانت هذه المعركة ومعركة القرضابية نهاية للهيبة الإستعمارية الإيطالية، وكانت هزيمتهم بهذه الموقعة من أفدح الهزائم التي لحقت بهم في تاريخهم الإستعمارى بليبيا نظرا للنتائج الخطيرة التي ترتبت عنها، ولم تستطع القوات الإيطالية أن تعود إلى هذه المنطقة إلا في نطاق الحملة الثانية سنة 1924م وتوفرت الأجهزة الحربية الإستعمارية الإيطالية على دراسة الأسباب الكامنة وراء هذه الهزيمة فأنتهت إلى تحديد العوامل التالية:

1- ضعف جهاز المخابرات وقلّة المعرفة بأحوال السكان وأوضاع المنطقة وعدم تقدير الأمور التقدير الصحيح لقوة المجاهدين وتنظيماتهم .

2- الطريقة الساذجة التي اتبعت في تجنيد القوات غير النظامية التي كانت تضم عناصر حاقدة على الإيطاليين.

ولابد هنا من الإشارة إلى أن الدور الذي قامت به القوات غير النظامية في الإنهزام السريع وعدم الالتزام بالمحاربة في المعركة هو الذي قرر وضع المعركة، وترجيح الكفة لصالح المجاهدين وهو دور يشبه إلى حد بعيد الدور الذي قامت به بعض العناصر الوطنية في معركة القرضابية ومع تقدم معركة وادي مرسيط زمنيا (انتهى)

وعن معركة القرضابية يقول الأستاذ خليفة التليسي: تعرف في كافة المصادر الإيطالية باسم معركة أبي هادي، والموقع قرب سرت، لم تكن القرضابية أعظم المعارك في تاريخ الجهاد من حيث وزن القوات المشتركة فيها وحجمها، فقد تقدمتها معارك في بداية الجهاد كانت أكثر ضخامة وأشد هولا وأكبر مستوى ولكن القرضابية أعظم المعارك في تاريخ الجهاد من حيث توحد القوى الوطنية فيها (الشرق والغرب والجنوب)، ومن حيث النتائج الضخمة التي ترتبت عليها وانتهت إلى تلك الكارثة الشاملة التي لحقت بالاستعمار الايطالي وأدّت إلى إنسحابه ولاقتصاره على بعض النقاط الساحلية في طرابلس وبرقة، وهي فترة امتدت في حساب الزمن أكثر من ثماني سنوات أي حتى استئناف العمليات

العسكرية الإيطالية التي عرفت باسم عمليات الإسترداد والتي بدأت بالنزول في مصراته البحرية (قصر حمد) وانتهت باعدام عمر المختار ونهاية المقاومة في الجبل الأخضر، والمناطق الشرقية والجنوبية، وعلى الرغم من أن أغلب المصادر الإيطالية تتغاضى عن هذه المعركة، ولا تعطيها حقها في التفصيلات التي ظلت قاصرة على الوثائق الرسمية فإنها تتفق بأن تلك الهزيمة النكراء قد سجلت نهاية لهيبة إيطاليا ومركزها الإستعماري في الدواخل، وهي تجمع على أن إيطاليا أصيبت فيها بأفدح الخسائر وأقسى النتائج التي ظلت تتلاحق آثارها حتى المراحل الأخيرة من الجهاد، وجعلت من عمليات الإسترداد عمليات حربية جديدة لا تقل حجما وتكاليف عن عمليات الغزو الأولى، ويرتبط واقع هذه العملية الهامة بالفشل الذريع والإخفاق الكبير اللذين انتهت إليهما حملة الكولونيل (مياني) على فزان، نتيجة المقاومة التي قادها وأشعلها المجاهد الورع محمد بن عبدالله البوسيفي الذي تصدى لحملة (مياني) في معارك الشب وأشكده والمحروقه التي استشهد فيها خاتما بذلك سلسلة طويلة من المواقف الوطنية الصادقة التي رفضت الإستسلام والقبول بالصلح، وأعلنت الإستمرار في الكفاح والنضال ضد القوات المعتدية، ومن المعروف أن هذا المجاهد قد انتقل برجاله إلى الجنوب، بعد أن شارك في معركة الأصابعه (جندوبه) رافضا الإستسلام والدخول في المساوات السياسية فتصدى لحملة (مياني) واستطاع أن يثير في وجهها مقاومة ظلت مستمرة حتى بعد استشهاده في محروقه وأدّت إلى

قطع الطريق على هذه الحملة وانتهائها إلى الفشل التام والإنسحاب الكامل من الدواخل، خاصة في مناطق الجفرة وفزان عند نهاية سنوات 1914م – 1915م، وإزاء هذا المد الثوري العنيف الذي هز أركان الوجود الإستعماري في تلك المنطقة وفشل تلك الحملة التي حاول بها (مياني) أن يعيد أمجاد القائد الروماني (كورنيللو بالبو) وحاولت الحكومة المركزية العمل على الإحتفاظ بالمواقع المحتلة والتمسك بها وأعدت حملتين كبيرتين للقيام بعمليات تطهيرية في القبلة ومنطقة سرت، فلقد انتهت الحملة الأولى إلى الهزيمة التي أصيبت بها القوات الإيطالية في (وادي مرسيط وخرمة الخدامية) في 7 إبريل 1915م وهي المعركة التي سجلت بداية الهزيمة التي ختمت فصولها في القرضابية، أما الحملة الثانية فقد قام بها وعلى رأسها الكولونيل (مياني) سعيا وراء استرداد مجده العسكري وكرامته المجروحة وإعادة مركزه الذي اهتزّ بعد الإنسحاب من فزان، فتحرك في مستهل أبريل من مصراته بقوة كبيرة من الإيطاليين والإريتيريين والمحلات الليبية التي جندها من مصراته وترهونه وزليطن وورفلله، وتتألف الحملة من 84 ضابطا و 900 جندي إيطالي ومن 2089 جنديا نظاميا من الملونين وغير الإيطاليين و3000 من رجالات المحلات التي جندها مياني بالإضافة إلى 205 فارس منهم، وكان لدى الحملة 12 قطعة مدفعية وقسم مدافع رشاشات تتبعها قافلة من الذخيرة والمؤن تتألف من 2000 جمل وعدد آخر من البغال والعربات، ومن مقارنة هذه القوة الكبيرة بقوة المجاهدين التي تقدرها المصادر

الإيطالية بألف وخمسمائة يتبين مدى الخطر المحدق بهؤلاء المجاهدين لو لم تتثنى المحلات الوطنية على القوة الإيطالية فتحول بذلك الموقف من كارثة محققة في الجانب الوطني إلى نكبة قاضية على الأعداء، هكذا نرى أن معركة القارة كانت الضربة القوية التي وجهت إلى العمود الفقري للقوات الإيطالية فخلخت كل شيء، الوجود العسكري الايطالي في الجنوب وفي القبلة ثم في الوسط وفي الغرب وعلى الجبل الغربي وكذلك الحال في المنطقة الشرقية من البلاد، مياني وضباطه فقدوا الثقة في أنفسهم وفي جنودهم وأسلحتهم أمام مقاتل ليبي لا يملك إلا بندقية بدائية أمام أسلحة متقدمة وجنود مدججين وضباط تخرجوا من كليات حربية، كانت (قارة سبها) وبعدها معركتي (وادى مرسيط) و(القرضابية) المعارك الثلاث المتتالية التي سرّعت بندال الساعة لصالح المجاهدين وسببت هزيمة جيوش روما، وسترى كيف أن إيطاليا بكل قضّها وقضيضها، بكل دباباتها وطائراتها وجنودها وجنرالاتها لم تتمكن من استعادة موطئ قدم على أرضنا الطيبة إلا بعد حوالي عشر سنوات من القتال المتواصل بكل ذلك الهيلمان.

وصدق الشاعر العربى:

(كل امرئ يولي الجميل محبب   وكل مكان ينبت العزّ طيب)

يا لها من سقطة أيها المواطنون شملتنا جميعا
أنا وأنتم
بينما كانت الخيانة تترعرع فوق رؤوسنا
لقد انتقلت سلطة الحكم إلى الوحوش الكاسرة
وفقد الناس عقولهم ،،

شكسبير

(من مسرحية يوليوس قيصر)

الفصل الرابع
التخطيط والموجهة والمعارك

عرفت عن الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع الدقة في التنظيم، والحذر الشديد، والبحث في أدق التفاصيل قبل الإقدام على أي عمل خصوصا في ميدان القتال، كان ينتقي رجاله، وحتى بين أولئك الذين ينتقيهم يحدد لكل مقاتل أو عدد من المقاتلين أدوارهم، وكان دائما في المقدمة كما حدث في معركة (سواني بن يادم) وهي أولى المعارك التي اشترك فيها أغلب المجاهدين من طرابلس والجبل والساحل، وفي تلك المعركة كان المبرّز على رفاقه من قبيلته، ولا نقول القائد ذلك أن القيادة أكدها فيما بعد من خلال المعارك الكثيرة التي خاضها، في أولى المعارك تلك استشهد سبعة من رفاقه الأقارب، وهم (مسعود الناكوع ومحمد أبو الطويرات وعمر أبو الطويرات والزروق الماترسي وحمد الجبو والداهش القرج وإبراهيم القرج)، ولم يغادر الميدان أو يخرج من المعركة وينسحب إلا بعد أن تم دفن أولئك الشهداء ونقل معه بنادقهم، وهذه تفاصيل إعداده وإستعداده كما روتها ابنته الكبرى السيده (عنايا) : " كنت دائما أعتني بفرس والدي فهو لا يطمئن إلا إذا أشرفت على إعداد ما يحتاجه في رحلته بما في ذلك سرج الفرس"، وعندما قرر الذهاب إلى القتال في سواني بن يادم وكان معه

رجال قبيلته ومنهم أقاربه الذين استشهدوا في تلك المعركة وقد ذكرتهم السيده عنايا، ولم تكن هناك خلافات في ذلك الوقت بين المجاهدين الليبيين إذ كانوا جميعا يتجهون إلى مقاتلة الإيطاليين أينما كانوا، ولم تظهر الخلافات إلا بعد أن استقر الطليان في بعض المناطق بعد بداية غزوهم لليبيا، وقصفوا أغلب المدن الليبية بالقنابل من بوارجهم في البحر، وكانت معركة سواني بن يادم قد جاءت مباشرة بعد إتفاقية (أوشي لوزان) التي وقعت في 18 أكتوبر 1912م وتخلّت بموجبها الحكومة التركية عن مسؤولياتها في ليبيا بينما لجأ بعض الضباط الأتراك الوطنيين إلى الدواخل لتنظيم عملية الجهاد الوطني وتدريب الليبيين على استخدام الأسلحة، وعندما زحفت القوات الإيطالية (بعد توقف للإعداد والاستعداد) على المناطق التي كانت تراها مهددة لوجودها آنئذ، جرت معارك عديدة في كل من العزيزية وفندق بن غشير وزوارة ورقدالين وزلطن وزليطن وتاورغاء والعجيلات والزاوية وترهونة وسرت وبني وليد، وبعد أن اشترك الشيخ سالم في معركة سواني بن يادم واستشهد أغلب رفاقه الذين كانوا معه، بدأ مع غيره من قادة الجهاد يعدّون لمعارك الجبل الغربي وكان مفهوما أن الإيطاليين سوف لن يهدؤوا مالم يتقدموا لبسط سيطرتهم على الجبل الغربي وبقية المناطق التي لم يصلوا إليها بعد، هكذا حدثت معركة (جندوبة) وكانت هذه المنطقة هي بداية الهجوم على الجبل، ولقد حدثت في 23 مارس 1913م وبعدها جاءت بقية المعارك (يفرن في 27 مارس 1913م والزنتان في 5 إبريل

1913م وجادو في 6 إبريل 1913م ثم نالوت في 12 إبريل 1913م) وحدث نفس الشيء في بئر الغنم والجوش وانتهى الأمر بالإستيلاء على غدامس في 27 أبريل 1913م، وهكذا فإننا نبدأ بإلقاء الضوء على معركة (سواني بن يادم ثم معركة جندوبة) لم تكن الحرب في سواني بن يادم والمعارك التي خاضها المجاهدون متكافئة بأي معنى لأن المجاهدين لم يكن لهم سابق معرفة أو عهد بالمدفعية بعيدة المدى أو ربما بالمدافع على الاطلاق، وقد اعتمد الإيطاليون على القصف المدفعي الكثيف الذي قامت به سفنهم الراسية على الشواطئ، ولذا كانت خسائر المجاهدين كبيرة، فقد اندفعوا للمشاركة في هذه المعركة وجاؤوا من كل مكان دون نظام أو تدريب مما لا يتناسب مع وضع الحرب النظامية، لأنهم في هذه المعركة يواجهون قوات إيطالية مزوّدة بأسلحة حديثة ومتقدمة وكان هناك بعض الضباط الأتراك ولكنهم كانوا غير قادرين على تنظيم الناس وقيادة المعركة دون إعداد وإستعداد، ورغبة المجاهدين في القتال والاستشهاد كانت غالبا تربك هؤلاء الضباط ولم يكن أمامهم إلا تنبيه المجاهدين إلى مخاطر وتأثير المدفع والقنابل التي تنطلق من البوارج الحربية الإيطالية، ولذلك كانت الخسائر في صفوف المجاهدين كبيرة (هذا ملخص لما ذكرته السيده عنايا ابنة الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع)، وهي كانت قد سمعته حرفيا من والدها عندما كان يتحدث عن تلك المعركة واستشهاد رفاقه في سواني بن يادم الشيء الذي انطبع في ذاكرتها كما قالت كالنقش في الحجر.

ويقول المجاهد ارحومه علي إبراهيم الحسومي عن معركة سواني بن يادم[1]:

"حين حدثت الحرب في سواني بن يادم ذهبت مرة أخرى إلى الحرب حين جاء دوري، وقد حدث اجتماع بين المريّض والسويحلي وآخرين وبين ضابط إيطالي يدعى (بيللا) إلا أنهم لم يتوصلوا إلى صلح، وذهبنا مع مختار كعبار إلى مكان يسمى بئر عبازة وبعد أيام رجع مختار إلى غريان وبقينا نحن"، ويضيف، في رد على سؤال، هل حضرت معركة السواني هذه؟

قال، نعم، فقد انسحب الإيطاليون إلى البحر ورابطت الفرقاطة بين الزاوية وجودايم واستمرت تضرب مواقع المجاهدين من حين إلى حين مدة ثمانية أيام، وبعد أن هجم المجاهدون على المواقع الإيطالية انسحب هؤلاء من الرأس الأحمر ومن البحر، وكنا نظنهم قد ذهبوا إلا أن الإيطاليين تمركزوا في صبراته وبقيت أماكنهم نكرر عليها الهجوم من آن لآخر، ولكن عبدالله المسماري نهانا عن ذلك وقال، ربما يفاجئكم الفرسان الإيطاليون، وقد حدث أن هجم ثلاثة فرسان من ترهونة على مجموعة من الأحباش فهرب الأحباش إلى البحر، أما الفرسان الثلاثة فقد نزل أحدهم عن فرسه وربطها إلى احدى الشجيرات، أما الاثنان الآخران فما زالا راكبين، وفي هذه الأثناء فوجئوا بالصواري يندفعون نحوهم ففر الإثنان وشردت فرس الثالث وصاحبها استشهد، وحين نزل

(1) نقلا عن موسوعة جهاد الليبيين، مركز الجهاد

الإيطاليون في صبراته بعث عبيدة المحجوبي رسالة إلى عبدالله المسماري في الزاوية يخبره فيها بنزول الايطاليين إلى صبراته ويطلب منه أن يأخذ حذره من الالتفاف عليه، وكان مع عبدالله المسماري مجموعة من الأصابعة بالإضافة إلى مجموعات من العساكر فرحل عن الزاوية ونزل في مكان بين المطرد وصرمان، وهناك التقوا بالإيطاليين أول الليل واستشهد محمد الوحيشي الأصيبعي، وقد قدم إلينا أحد هؤلاء الفرسان لأنه كان قد تاه عن رفاقه وكانت لدينا رشاشة وبعض الأسلحة، ويقول المجاهد موسى الفقيه عن أحداث معركة سواني بن يادم[1]: "قدم إلينا ضابط تركي وأخبرنا عن مجيء الإيطاليين إلى طرابلس فهبّت الناس إلى الحرب بكل ما تملك من أدوات القتال، ولم يكن لنا مكان تجمع، بل هبّ كل منا قاصدا طرابلس إذ أننا ذهبنا إلى الرابطة ومنها قصدنا طرابلس وكانت لدينا بعض الأسلحة مثل بوصوانه، وحين وصلنا إلى طرابلس استلمنا السلاح، رحلتنا استغرقت يومين بتنا الليلة الأولى في بن يادم والثانية في طرابلس، بعد ذلك أصبح مركز المجاهدين في بن يادم والمشاة في بن غشير، الباروني وسوف وفرحات وبن عسكر هؤلاء كانوا رؤساء الحرب، وكنت أنا والفيتوري بن عبدالله تابعين لحميد ظافر ضابط من الشرق، وفي الوقت الذي كان الإيطاليون يقصفون مدينة طرابلس أطلقت الحكومة التركية المساجين وفتحت

(1) نقلا عن موسوعة جهاد الليبيين – 1

مخازن الأسلحة وأهابت بالمواطنين أن يتسلحوا وحدثت معارك الهاني والسوق وقوز زناته، وكانت حامية الوطيس، حدث مرة أن كان واحد من مجموعتنا يسمى جمعة خويطر وأخي عيسى كان جمعة يعالج شخصا من ككله (علاج محلي) وهم على هذه الحالة أنذرهم الضابط التركي وصاح بهم (كنون كانون) يعني مدفه خذوا بالكم وقبل أن يبتعدوا أصابت موقعهم قذيفة وبعد أن هدأ القصف أخذ أخي عيسى وشخص آخر من ككله يتفقدون حالة الباقين من رفاقهم وعندما رجعوا وجدوا جمعة مثقلا بجراحه ورفيقه الآخر قد غطّته الرمال، ويضيف:"مكثنا مدة طويلة في سواني بن يادم وكان معنا ضابط تركي اسمه (كريم شاوش) يتكلم العربية بطلاقة وكان صديقه واستنينا إلى أن جاء الصلح الذي أبرم بين تركيا وإيطاليا، وهنا غادرنا الضابط والجنود الأتراك وكان كريم شاوش أحدهم فكان يبكي متأثرا أشد التأثر، ويتحدث المجاهد أحمد إبراهيم عن معركة سواني بن يادم فيقول: " دخل الإيطاليون طرابلس والتجأ الأتراك إلى الدواخل وتسلحوا من مخازنهم في العزيزية وغريان وهبّ المجاهدون من جهات مختلفة وتمركزوا في سواني بن يادم وكانت الأرزاق تأتي إلى المجاهدين من تونس وتشتمل هذه الأرزاق على الدقيق والشاهي وغير ذلك من المواد، وكانت تأتي بها القوافل من بن قردان وقد سدّت حاجة المجاهدين الموزعين على سبعة أقسام (قسم الزنتان، وقسم الرجبان، وقسم أهل الجبل

برئاسة الباروني، وقسم غريان برئاسة الهادي كعبار)، وردا على سؤال من كان يرأس محلة الزنتان والرجبان ؟

قال: رئيسهما الشنطة وفكيني، ومحلة المشاشه رئيسها أبوبكر قرزه، ومحلة المرابطين رئيسها حمد بن عبدالله، ومحلة أخرى من جهة الجنوب لا أعرف من كان رئيسها، وفي كل مرة يخرج علينا الإيطاليون ومعهم الأحباش، كنا نسحق هؤلاء سحقا تاما ويستمر الإشتباك من الصباح إلى غروب الشمس، ثم يرجع الإيطاليون من حيث أتوا وينقل المجاهدون جرحاهم" .

أما معركة جندوبه فيتحدث عنها المجاهدون كالتالي :

يقول المجاهد أحمد رمضان[1] نصب الإيطاليون متريوزاتهم بالقرب من قريتنا هذه باعتبارها آخر قرى غريان من جهة الغرب، وتعرض الإيطاليون لهجوم من قبل اولاد بوسيف ومعهم الكليبة في مكان يسمى(هنشير المرعاش) وقد استشهد حوالي أربعة من أولاد بوسيف وثلاثة من الكليبة، أما الباروني وبن عسكر فقد رفضا الصلح وتمركزا في بطّمة الشيخ، وقد جاء بن عسكر بقوته عن طريق وادي الأرباع، أما المرابطون والزنتان فقد تمركزوا في (هنشير المرعاش) وكنت أنا موجودا في سها قطّيش والتحقت بالقوات التي كانت مع بن عسكر وقد استدعيت من قبل خليفة بن عسكر لأكون خبيرا واتصل الشيخ عامر العجيمي وأبلغني أنه يريد الإستعانة بي لخبرتي بالأرض، وافقت على ذلك وقال

(1) موسوعة جهاد الليبيين رقم 1

لي خليفة بن عسكر إذن أنا أريدك أن تذهب مع هذه القوة التي تنوي الهجوم على كردون الطليان، وكانت أرض الأصابعه مليئة بالمجاهدين من مختلف مناطق الجبل، ذهبت مع مجموعة المجاهدين البالغ عددها 1000 مجاهد، وحين اقتربنا من موقع الكردون ذهبت أنا وأربعة من المجاهدين وحين اقتربنا أكثر من مواقع الإيطاليين أحسوا بنا وبدأ اطلاق النار واستمر المجاهدون الذين هم في أماكن مناسبة في إطلاق النار، أما الذين هم في مواقع مكشوفة فقد تراجعوا قليلا، وبقينا نحن وعددنا 80 مجاهدا قرابة خمس ساعات في مواقعنا وكان أغلب هؤلاء من أهالي نالوت واستشهد منهم اثنان، وفي يوم معركة جندوبة كان الأعاقيب ودنون إلى جانب قوات خليفة بن عسكر وقد اشتبكوا مع الإيطاليين في جندوبة في المكان الذي يشيد عليه الآن مبنى معسكر جندوبة، ولقد مات من الإيطاليين ما يزيد على ثلاثمائة واستشهد كثيرون من المجاهدين، وأخيرا تقهقر المجاهدون بسبب نقص العتاد، ويضيف قائلا، ومن الفضائع التي ارتكبها الإيطاليون أن أربعة من أولاد بوسيف التجاؤا إلى كهف بهنشير العنب ولم يخرجوا منه فأوقد الإيطاليون النار في هذا الكهف ومات الأربعة مختنقين بداخله، واستمر الإيطاليون حتى الحدود الغربية ثم اتخذوا من غريان مركزا لهم وبعدها اتجهوا صوب مزدة، ومن مزدة أرادوا التوغل في القبلة، وجند الإيطاليون جنودا لهذا الغرض من غريان ومن أهل الشط ومن أهل ورشفانه ما يقارب ثلاثة آلاف كان رئيسهم راسم كعبار، اتجهت إلى القبلة وحين وصلت

إلى جبل يسمى فروتن وقد أوشكت الشمس على الغروب أرادت الحملة أن تستريح للمبيت أسفل تل فروتن، وما كان يدري قادة هذه الحملة أن المجاهدين من الزنتان والمرابطين وغيرهم يتمركزون على قمة هذا التل، وحين حان المغرب كان أحد المجاهدين من الزنتان ينادي بصوت عال ما نصه (يا أهل غريان يا أهل الشط يا ورشفانه اتركونا والطليان) وتساءل الإيطاليون المرافقون للحملة عما يقول هذا، وبدأت الهواجس تأخذ مأخذها وكان هذا الزنتاني يدعى (الكبّار) وبدأ يهزج ويقول:

من الشرق سيدى السنى	ومن الغرب سيدى العابد
يا حصلتك يا مطليّن	حصلت جمل في مجابد

وأراد الإيطاليون الإنسحاب دون أن يعلموا الحملة بذلك، ولما اتضحت نيّة الإيطاليين فر المجندون، وفي الصباح تبعهم المجاهدون ولحقوا بهم وتمكنوا من أسر خمسة أشخاص من غريان من بينهم شخص يدعى عبدالله بن حسين، وتبعوهم حتى قاربوا مزده، حينها رجع المجاهدون لوجود الإيطاليين بها، وبعد هذه المعركة أقدم الإيطاليون على إرسال حملة أخرى لم يعترضها أحد حتى وصلت إلى فزان.

ونجد الكاتب الايطالي الكولونيل (بيلاردينيللي) يصف تلك المعركة وهو ايطالي عاصر الحرب يصفها بشكل آخر في كتابه الذي أصدره بعنوان (القبلة) سنة 1935م فيقول: "في 23 مارس 1913م هاجم أحد فيالقنا القادمة من

العزيزية الحشود العربية البربرية[1] المنتشرة فيما بين منطروس والرابطة فيما أنزل في نفس اليوم فيلقا آخر بقيادة الجنرال (ليكويو) الهزيمة بمقاتلي القبلة المتحصنين في مواقعهم على وادي جندوبه، على إثر صفير أول الإطلاقات (هكذ قص عليّ الشيخ البدوي وقائع تلك المعركة)، أمتطينا أبوبكر قرزه وأنا، صهوة جوادينا وهرعنا إلى خط الدفاع، فكان كما لو أننا دخالنا جهنم، كان الجنود الإيطاليون شيئا رهيبا وكان كل شئ يحترق بين دوي المدافع، والأرض نفسها كانت تغلي، ورجالنا يفرون في كل إتجاه ومكان طلبا للنجدة، وعندما أيقن بأنه ليس لدى جماعته ما يمكن به الصمود أو المقاومة في مثل هذا الجحيم فر أبوبكر قرزه ومعه جماعته من أولاد بوسيف والمشاشي صوب وادي غان، بينما أسرعت أنا ورجالي بالإنسحاب إلى الزنتان عن طريق الأصابعه وككله، واحتل الإيطاليون في يوم 27 مارس يفرن وفي يوم 6 إبريل جادو وفي يومى 10 و11 الجوش وتيجي وما أن حل يوم 12 إبريل حتى كان العلم الايطالي يرفرف على قصر نالوت، الذي هو في أقصى الأرض التي يسكنها البربر، وبذلك وفي غضون ثلاثة أسابيع تم احتلال خط الجبل الجبار بكامله، وأحدثت هزيمة الأصابعة والرابطة في روع أهالي القبلة الشعور بالرهبة من القوة الإيطالية، إلا أنها أحدثت في نفس الرحل المزيد من بغضنا وكرهنا ومن الإرتياب فينا وفي نوايانا

(1) كلمة البربرية يعني بها المؤلف هنا تعبير (الهمجية أو الفوضوية)

إلى درجة أنهم نزحوا جميعا عن شمال القبلة وأراض منطقة مزده لينتقلوا مع عائلاتهم وأنعامهم إلى منطقة زمزم والطابونية".

وهناك واقعة من الوقائع التي اتسمت بها تلك الفترة، وهي أن أحد رؤساء أولاد أبي سيف الشيخ بالقاسم (بيض الركاب) أوقف عند وصوله إلى أراض دامس وقتل على يد أفراد القبيلة أنفسهم بعد أن كان عائدا من يفرن حيث استسلم وقدم فروض الولاء للحكومة، أما أحمد البدوي فقد اندفع من الزنتان صوب الحمادة، بعد أن توقف قليلا في بئر الخور وتحول إلى زاويته في الطبقة، والشيخ أبوبكر قرزه الذي كان قد أرسل من وادي الغاني حوالي عشرة من فرسانه لمقابلة البدوي وأخذ رأيه حول ما كان عليه أن يفعل، وعندما رد البدوي على هذا السؤال بأن الحكومة قد احتلت كامل الجبل وأنه يحسن به أن يعود إلى دياره، استأنف مسيرته ببطء نحو الجنوب ليلوذ بمنطقة وادي تاجمل، ومحمد بن عبدالله حال علمه بذلك أخذ طريق فزان على رأس عدد لابأس به من المقاتلين، وكذلك القنطرار فقد انسحبوا إلى الطابونية حيث كان قد تجمع أيضا مقاتلوا الغناني بقيادة سالم بن عبدالنبي، أحمد السني الذي كان قد بقي وحده في مزدة استحسن أن يدمن النجاة ويكون في مأمن من العدو باختفائه مع عائلته في أم (الخرب) و(الملافي) وبعدها انتقل إلى الطابونية بناء على دعوة وجهها إليه سالم بن عبدالنبي[1].

(1) من كتاب القبلة، لبردينيللي.

وتقول السيده عنايا ابنه الشيخ سالم بن عبدالنبي : " كل الناس كانوا قد سارعوا للالتحاق بقوافل الجهاد وكان والدي منذ شارك في معركة السواني (سواني بن يادم) قد استمر في القتال ولم نره لمدة طويلة هو وبقية المجاهدين الذين كانوا معه، وكان يحدث من وقت لآخر أن ترسل إلينا حاجيات بعض الشهداء، وقد أخذ الناس في بداية الجهاد قرارا بأن يذهب إلى ساحة الجهاد كل الرجال البالغين، ونظرا لظروف الحياة ووضع أهالي المجاهدين فقد صار كقاعدة أن يذهب إلى ساحة القتال اثنان من كل ثلاثة أو واحد من كل اثنين في العائلة الواحدة، أي أنه إذا كان هناك اثنان ذهب واحد وبقي الآخر وهكذا ونظرا إلى أن أخبار المجاهدين منذ حرب السواني قد انقطعت ولم نعد نعرف الموتى من الأحياء فقد كانت الحالة سيئة بين العائلات رغم القناعة بالجهاد، ويحدث أن بعض النسوة عندما يتبلغن عن وفاة أو استشهاد ابن أو زوج أو أب يزغردن لأنه شهيد، ومنذ أن اشترك والدي الشيخ سالم ورفاقه في معركة سواني بن يادم لم نعلم عنهم شيئا لمدة طويلة (أكثر من حولا) أي أكثر من سنة، وحدث أن بعثت إمرأة وتدعى فاطمة بنت حمد بيتين من الشعر تقول فيهما:

(دزّولنا يللي بعاد جباكم   حرفين ينبونا على مطراكم)

وفي معركة جندوبه استشهد عدد كبير من المجاهدين منهم إثنان من أقارب الشيخ سالم بن عبدالنبي هما (عمر بوغباقه وحميد بن مسعود) وعدد آخر من الزنتان وقبائل أخرى، وكان الشيخ سالم يردد دائما بيتا من شعره وكأنه القسم

على الإستمرار في الجهاد حتى آخر يوم في حياته طالما بقي الأجنبي في بلاده، وأنه لا يمكن أن يضع البندقية جانبا مهما حدث وإن كان يؤلمه موت المجاهدين لأن الوطن بذلك يخسر الرجال ولا يبقى فيه إلا أولئك الخدم الذين ليس لهم إحساس، وهم يخدمون الأجنبي ولو كانت تلك الأعمال حقيرة منحّطة، يقول:

مرات تبنى بيت مرا حجـرا   حتى لين يوم النصر يفتح بابا
وكانك ظهرتى تظهرى بالفجرا   وكانك رحلتي عالوسيع أجنابا
عجرا ورا عجرا وراها عجـرا   سيدك إفحط البندقا ما يابا
سيدك حلف بإيمينا سيـد   السرايا بوك يا سدينـا
نهار الوخيم وبوالقلـوب   غبينا كتّ وتنهد ما لقا قلاّبـا
طاحوا فراسين الجهاد غبينـا   وقعدوا المضايع بعدهم بوابـا

كان يخاطب ابنته (عنايا) بهذه الأبيات البليغة التي تظهر مدى تألمه بسبب موت الرجال الذين يجاهدون في سبيل الله والوطن، وابنته هي أيضا شاعرة بليغة سوف نورد بعضا من أشعارها، والشيخ يذكر هنا أن الزمن هكذا يوما لك ويوما عليك إلى أن يتحقق النصر بإذن الله، ولم يكن يشك في قرب ذلك اليوم، وهو يعدها بأنها لا يمكن أن تهان طالما كان على قيد الحياة، ويؤكد أن الإساءات كثيرة وهي متتالية حينما يقول (عجرا ورا عجرا وراها عجرا) وكلمة (عجرا) تعني إساءة أو إهانة وهو لا يقبل الإساءة أو الإهانة ولهذا فلن يحط البندقية على الإطلاق، وعملا بذلك فقد كان سبّاقا إلى ميادين الجهاد في الكثير من المعارك،

بداية من معركة الهاني التي جرت في 23 أكتوبر 1911م إلى اليوم الذي غادر فيه أرض الوطن، مجبرا على الهجرة التي كانت قاسية عليه وهو الذي لم يغادر بلاده طيلة حياته المديدة، ويجدر بنا أن نذكر أهم المعارك التي شارك فيها الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع مع أقاربه ورفاقه من المجاهدين الليبيين إبتداء من 23 أكتوبر 1911م إلى يوم خروجه إلى تونس، وهى كما يلى:

1- معركة الهاني 13 أكتوبر 1911م
2- معركة سواني بني آدم 15 نوفمبر 1912م
3- معركة جندوبه 23 مارس 1913م
4- معركة الزنتان 5 أبريل 1913م
5- معركة مزده 5 يوليو 1913م
6- معركة الشب 10 ديسمبر 1913م
7- معركة أشكده 13 ديسمبر 1913م
8- معركة المحروقه 24 ديسمبر 1913م
9- معركة القريات الأولى 3 مارس 1914م
10- معركة قارة سبها 28 نوفمبر 1914م
11- معركة الوخيم 30 مايو 1922م
12- معركة الجوش 12 يونيو 1922م
13- معركة السلامات 18 يونيو 1922م

14- معركة أم الجرسان 28 أكتوبر 1922م
15- معركة الطابونيه 9 مارس 1924م
16- معركة ودىّ الخيل 12 مارس 1924م
17- معركة القريات الثانية 4 مايو 1924م
18- معركة القريات الثالثة 15يوليو 1928م
19- معركة بئر علاق 9 مارس 1929م

وكانت هناك مواقع أخرى تمثل هجمات خاطفة على تجمعات أو معسكرات العدو، وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي لا يعتمد فقط على السلاح الذي يكون معه وإنما عمل دائما على تخزين السلاح والذخائر في مواقع مختلفة بحيث إذا احتاج إليه استعمله في الوقت المناسب وخير دليل على هذا التخطيط ذلك السلاح الذي زود به رفاقه عندما نفذ خطته الذكية في التخلص من الإيطاليين إذ أنه عندما غادر أوباري خلسة لم يكن لديه سلاح وكان محروسا بقوات إيطالية، لكنه تزوّد بالسلاح الذي كان يخفيه في الطريق، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه تعبير الإستراتيجي الاحتياطي في المفهوم العسكرى اليوم.

ولابد لنا أن نفرد لهذه المعارك صفحات لنذكّر بها من يرغب معرفة تفاصيلها، وكان هناك حدثان كبيران لهما تأثير بالغ في سير المعارك ومواقف المجاهدين جاءت بعد معركة الهاني في 23 أكتوبر 1911م وهما:

1- معاهدة (أوشي لوزان) في 18 أكتوبر 1912م

2- مؤتمر العزيزية في نوفمبر 1912م

ونرى أنه من المفيد الحديث عن تلك التطورات قبل الدخول في التفاصيل المتعلقة بالمعارك التي جرت بعدئذ ومواقف المجاهدين على ضوء ذلك.

معاهدة (أوشي لوزان) وأسبابها :

كعرب بشكل خاص ومسلمون بشكل عام كان يجب أن ننظر باهتمام وتدقيق إلى الأسباب التي أدت إلى تلك المعاهدة المشؤومة التي وقعتها تركيا مرغمة، (وليس هذا القول بحثا عن مبرر لموقف تركيا من العرب والمسلمين وخصوصا في ليبيا وإنما هو بحث عن الحقيقة) فلقد كانت الأسباب والظروف كثيرة ومعقدّة خارجيا وداخليا بالنسبة للدولة العثمانية، والأسباب الداخلية كانت كما يلي:

أولا، هرم الدولة وتكدّس المشاكل وتوسّع رقعة الحكم .

ثانيا، التناقض والتردد وقد ظهرا بسبب نشاط جماعة (الاتحاد والترقي) والدعوات العالمية للتحديث والإهتمام بالذات .

ثالثا، المعارضة العربية الإسلامية التي كانت تؤججها سياسة الخداع والمراوغة الإنجليزية في كل مكان وخصوصا في الجزيرة العربية حيث وصل الأمر إلى التقاتل والثورة المسلحة إذ كان آل سعود والشريف حسين يجريان وراء أوهام الوعود البريطانية، وهذه بطبيعة الحال كانت الشوكة التي وقفت في الحلق، فلابد أن الأتراك كانوا ينظرون إلى العرب ككل، وكان يؤلمهم أن يلاقوا الجحود

والمعارضة بل التهجم والهجوم المسلح على كل ما هو تركي وقد أصبح يمثل التخلف والركود والعائق في سبيل الوصول إلى الحكم والاستقلال اللذين لوّحت بهما بريطانيا، ولم تكن بريطانيا هذه صادقة في كل وعودها بينما كانت الدولة العثمانية في أشد الحاجة إلى المساندة والتأييد.

أما الأسباب الخارجية فقد كانت:

أولا، يقظة الشعوب وانتفاضاتها ضد الحكم العثمانى التركى وخصوصا في أوربا.

ثانيا، تكالب الدول الأوربية الكبيرة كبريطانيا وفرنسا والمانيا الخ على تقاسم تركة ما أسموه (الرجل المريض) والذي لم يكن مريضا في حقيقة الأمر غير أنه يمثل الخلافة الإسلامية ولم يكن جديدا عداء الغرب للإسلام وإن كان مخفيا وقتذاك وقد ظهر واضحا وجليا في عهد بوش الإبن خلال نهاية القرن العشرين.

ثالثا، الطموح الايطالي الأوروبي ومواقف كل من النمسا والمانيا في البداية ثم كل الدول الأوربية وأمريكا، وهذه مجتمعة أوصلت إيطاليا إلى أن تهدد تركيا وتنذرها وما كانت تجرؤ على ذلك،إضافة إلى دورها في حرب البلقان، ولم يكن أمام حكومة السلطان إلا أن ترضخ في البداية ربما لثلاثة أسباب وهي:

أولا، ما كان يتطلبه الوضع في مناطق البلقان وهي مناطق سيطرة ونفوذ تركي مواجهة انتفاضات تلك الشعوب وحروبها المدعومة من الغرب

ثانيا، محاولة ترتيب الوضع الداخلي والوصول إلى اتفاق ما، أو عمل ما مع جماعة الاتحاد والترقي الذين تغلغوا في أجهزة الدولة كلها بما فيها الجيوش.

ثالثا، أن يرى العرب والمسلمون بأعينهم ما سيحل بهم من جانب الفرنجة وسيحتاجون بالضرورة فيما بعد إلى مساعدة ومساندة الدولة المسلمة الكبرى التي كانت تدافع عنهم وعن حياض الإسلام.

ومما يؤكد هذه الأمور الثلاثة (وربما لم تكن تركيا تتوقع قيام الحرب العالمية الأولى) أنها قد وجهت كل جهودها إلى منطقة البلقان وحاولت الوصول إلى حل مع جماعة الاتحاد والترقي التركية متمثلا في بعض الإصلاحات الداخلية، ثم إنها عادت وقدمت مختلف المساعدات للعرب والمسلمين وخصوصا في ليبيا، فقد كانت الأسلحة تأتي من تركيا والتموينات تشترى بواسطة الحكومة التركية من كل مكان وتنقل إلى ليبيا لدعم المجاهدين، وكان الضباط الأتراك يقومون بتدريب الليبيين الذين يتطوعون للجهاد على مختلف العمليات الحربية، وحتى بعد توقيع المعاهدة كانت التموينات تأتي عن طريق تونس بواسطة وعلى حساب الأتراك، كما كانت الأسلحة تأتي من تركيا ثم من حليفتها فيما بعد (المانيا) كما أن حكومة السلطان بداية لم تفرط بالكامل في حقوق الليبيين رغم كل تلك الظروف والأسباب، والدليل على ذلك أنها حاولت الحصول على موافقة إيطاليا بشأن الحكم الذاتي لليبيين وفرض بقاء النفوذ السلطاني ولو من الناحية الدينية الإسلامية في ليبيا المسلمة، إلا أن إيطاليا وقد كانت طموحة متحفّزة مندفعة قد

استغلت كل تلك الظروف والأسباب وأجهضت جهود تركيا، وكانت المناقشات قبل توقيع المعاهدة تدور حول أمرين هامين هما:

أولا، الحكم الذاتي لليبيين والذي يجب أن يمنح بموجب مرسوم من قبل السلطان في تركيا.

ثانيا، العفو العام على المحاربين الليبيين والإعتراف بالسلطان كمرجع ديني في ليبيا ويجب أن يصدر هذا بموسوم من إيطاليا.

وكانت إيطاليا تريد فرض شروطها على تركيا بحيث يقر السلطان في الإتفاقية بعجز تركيا عن الدفاع عن ليبيا مقابل بعض الوعود وهو الشئ الذي لم يحدث والذي يعني التخلي الكامل عن البلاد وعدم تقديم أية مساعدات الخ .

وعندما بدأت السفن الإيطالية في قصف مدينة طرابلس بالقنابل (على إثر إنذار ايطالي وجهته لتركيا دون انتظار لرد) عندما قصفت طرابلس لم تكن هناك تحصينات أو دفاعات يعتمد عليها، وبطبيعة الحال فإن الإيطاليين كانوا يعرفون ذلك جيدا ولهذا ركّزوا القصف على موقعين أو ثلاثة فقط وهي التي توجد بها بعض القوات التركية وقطع مدفعية، وقد تمّ إسكاتها فورا، وكان لدعوة الجهاد صدى واسعا في كل أنحاء ليبيا، وتنادى الناس للدفاع عن بلادهم وكان للضباط الأتراك دور كبير، وبحمية المسلم وغيرة الجندي كانوا يدعون المواطنين للتطوع، وكما ذكرنا كانوا يزودونهم بالسلاح ويدربونهم عليه، ولقد ذكرت لنا السيدة (عنايا) وهي الابنة الكبرى للشيخ المجاهد سالم بن عبد النبي أن الناس

جميعا اتفقوا على المشاركة في الجهاد، وكان على كل أسرة أن تبعث أبناءها إلى الميدان وأن والدها الشيخ سالم أحد الذين شاركوا في المعارك بدءا من الهاني، وقالت أن الذي يحدث بين كل الناس أن يلتحق اثنان من كل ثلاثة رجال (بالغين) في العائلة الواحدة إذا كان هناك ثلاثة وواحد إذا كان هناك اثنان في العائلة.

ومعارك الهاني كانت أولى المعارك التي خاضها المجاهدون الليبيون وأبلوا فيها بلاء رائعا ذكره التاريخ واعترف به الذين كتبوا عن تلك الفترة من القادة الإيطاليين عسكريين ومدنيين، كما تحدث عن تلك المعارك بعض المجاهدين الذين اشتركوا فيها أو أبناؤهم، ولقد وثّق لنا مركز جهاد الليبيين مشكورا العديد من المقابلات والأحداث ستكون بالتأكيد مفيدة لكل من يريد دراسة أحداث التاريخ وتلك الفترة بكل ما فيها.

ولقد قال الجنرال الايطالي (كانيفا) القائد العسكري الذي كان مكلّفا بفتح ليبيا (إن صح التعبير) ما وقع في معركة الهاني، فقال، لقد أصدرت أوامر منذ مساء اليوم نفسه بتجريد سكان الواحة تجريدا تاما من السلاح وهو إجراء له طابع الضرورة المطلقة، لتأمين قواتنا من تجدد الهجمات الغادرة على المؤخرة، ولكن سرعان ما تبيّن يوم 26 أن عملية تجريد السلاح وحدها ليست كافية، وكان يتوجب إزاء إصرار سكان الواحة على الغدر أن ألجأ إلى الوسيلة الجذرية بإخلاء الواحة، وهي الوسيلة الوحيدة الصالحة لضمان سلامة العبور الآمن

بالواحة خلف ظهور قواتنا، وأمام هذه الضرورة القصوى يبدو لي أنه من اللازم إغفال بعض التعليقات غير الودية لبعض المراسلين الأجانب حول بعض الحالات الفردية من المبالغة في قمع الثورة التي قام بها الجنود المعترضون على الهجوم الدنئ في المؤخرة [1] انتهى

ولإبراز دور بعض الضباط الأتراك وما قاموا به في تلك المرحلة الحرجة نورد بعض شهادات عدد من المجاهدين، كما يلي:

يقول المجاهد محمد بن عبدالنبي: في الفترة التي نزل فيها الإيطاليون في طرابلس كنا في سوق الجمعه وفي اليوم السابق لمعركة الهاني بأربعة أو خمسة أيام جاء إلينا الحاكم التركي من جهة الملاحة وأخذ يحث الناس على الجهاد، وأعطى بنادق لمن لا يحملون سلاحا، ودارت المعركة قرب الفرناج خسر فيها الإيطاليون الكثير وخاصة في العساكر (بوريشه) فقد قتلنا أعدادا هائلة، وبعد تلك المعركة بقى جزء من الإيطاليين في قصر الهانى وبقية الإيطاليين دخلوا مدينة طرابلس، وبعد ذلك استجمع الإيطاليون قوتهم وخرجوا، واستمرت المعركة وكان خروجهم ذاك بعد ثلاثة أو أربعة أيام من تلك المعركة، وكانت قد بدأت قبل الفجر، ومن المجاهدين من استشهد على مقربة من قصر الهاني وهو في طريقه إلى اقتحام القصر، واستشهد الكثير من المجاهدين وتراجع

(1) معجم معارك جهاد الليبيين، خليفه التليسي

العدو إلى مدينة طرابلس، وفي بداية المعركة جرحت ونقلت إلى غريان وكان الذي يشرف على علاج الجرحى طبيب تركي.

ويقول المجاهد محمد عطيه: في الأيام الأولى لنزول الإيطاليين وعند حدوث معركة الهاني كنا بمنطقة الساحل، وحين دعى داعي الجهاد ذهب والدي واستلم بندقية موزر من الأتراك إلا أن آخرين تعرضوا له واغتصبوا منه تلك البندقية، ثم عاد والدي واستلم بندقية أخرى واشترك في الجهاد وبعد مضى يوم الهاني أصبحنا في حيرة عن مصيره وكنا قد انتقلنا من مقر إقامتنا وخرجنا إلى سوق الجمعة حيث المزارع والبساتين وبقينا في انتظار والدي لأننا لا نعرف طريق سيرنا وبينما نحن في الانتظار جاءنا نبأ استشهاده، وقد حدث ذلك قرب بئر أبومليانه، وفي حالة النداء للجهاد كانت تعلو دقات الطبول وأهازيج الحرب، وكانت والدتي تحمل الماء للمجاهدين، وعن والدي لم نسمع إلا خبر وفاته، وذهبنا سيرا على الأقدام إلى الخثنه بالقرب من الجيلاني في منطقة سوق الجمعه ومن هناك نقلنا إلى أولاد إبريك بواسطة ناس كنا نعرفهم، وبعد ذلك أصبح التموين يأتي من بن قردان ووزع الأرز على أسر الشهداء[1].

ويقول الأستاذ محمد بن مسعود[2] وما كاد الطليان يرمون المدينة بالقنابل من الأسطول ويأتي اليوم الرابع من أكتوبر حتى خرجت الحكومة التركية

(1) موسوعة جهاد الليبيين – رقم (1)

(2) تاريخ ليبيا العام – 1950 م (محمد بن مسعود)

وعساكرها بقيادة نشأة بك إلى الضواحي القريبة فعسكرت فيها، وخوفا من مفاجأة العدو صاروا يتنقلون من مكان إلى آخر، ثم استقروا في غريان إذ هو بعيد عن الشاطئ وفيه الكثير من المخابئ الحصينة، ويمكنهم عند الخطر الشديد أن يذهبوا إلى مراكز أكثر أمنا وسلاما، وبما أنه لم تكن للترك من قوة سوى ثلاثة آلاف جندي موزعين في مختلف البلدان الليبية وثلاثين مدفعا وأسلحة وذخائر قليلة جدا، وكان الجيش الايطالي مقدرا بمائة ألف جندي ومجهزا بأحدث طراز من الأسلحة الفتاكة، فقد أصبح الترك لهذا السبب ينتظرون من الآستانة أمر التسليم بين لحظة وأخرى، وصاروا يحضّرون أمتعتهم لمغادرة البلاد بين لحظة وأخرى، غير أنه فاجأهم حادث عظيم لم يتوقعوا حدوثه أبدا، ذلك أن زعماء البلدان ومشايخ قبائلها حين بلغهم نزول الطليان إلى المدينة وخروج الترك منها وعزمهم على الرحيل من ليبيا راجعين إلى أوطانهم حرضوا أبناء مناطقهم على الجهاد في سبيل الحرية والإستقلال إلى النهاية.

وصادف نداء الزعماء قبولا حسنا حماسيا من جميع السكان واستخرجوا ما كان مدسوسا عندهم من أنواع الأسلحة النارية التي كانوا أيام الأتراك يشترونها خفية من بعض الأجانب الساعين لتحريض الليبيين على الترك، ومن تجار المهربات غير المشروعة، ثم أتوا جميعا إلى مقر الحكومة التركية بغريان وطلبوا من الترك وعساكرهم أن يشتركوا معهم في محاربة الطليان، وإلا فستكون

نتيجتهم من الطرابلسية أوخم العواقب فاندهش الترك من هذه الوطنية الصادقة وجرت في عروقهم دماء الشجاعة الطورانية وأجابوهم أننا لمعجبون بهذا الإخلاص جدا وسنكون معكم ما دام فينا نفس يتردد، وبادروا فعرّفوا الآستانة بحقائق الأحوال بعد نزول الطليان، ولما اطلعت حكومة السلطان على ما وصل إليها من ليبيا تأكد أن أهاليها قوة حربية لا يستهان بها، وأرسلت لرجالها هذا الرد المستعجل : "ابقوا مكانكم واتحدوا مع الأهالي في محاربة العدو، وسنمدكم بجميع الوسائل الممكنة"، وفعلا بعثت بطرق خفية كمية من الذخائر وأرسلت لهم قائدين عظيمين جاءا متنكرين، وهما (علي فتحى بك) نزل بتونس ومنها قدم إلى طرابلس، (وأنور باشا) الذي جاء إلى الجبل الأخضر، وأذيع هذا النبأ على المجاهدين وقادتهم فقرعوا الطبول إشارة للحرب، وعلا هتاف التضحية والدفاع، وأخذ كل فريق يتهيأ ليوم المعارك الطاحنة، وابتدأت الأفواج تتسرب على القيادة العامة في سواني بني آدم من مصراته وترهونه وتاورغا وزليتن وأورفله والساحل وتاجوراء والمنشية وغريان والزنتان والزاوية والعجيلات وزنزور وغيرها من بقية المناطق والقرى، وتولى ضباط من الأتراك يساعده قادة طرابلسيون في توجيه تلك الفرق إلى المراكز الحربية المحيطة بالمدينة فكان الجيش الوطني على الوصف الآتي:

1- فريق متسلح بأنواع من بنادق البارود تعبأ من أفواهها

2- وفريق يحمل بنادق الصيد المعروفة في ليبيا بالمقرون

3- وفريق معه بنادق حديثة لها مخزن يحمل عدة خرطوشات تسمى المارتين والموزر

4- ومنها أشكال ذات خرطوشه واحدة تعرف بالبندقية اليونانية

5- وفريق أعطاه الترك ما عندهم منها ولكن بقية أفراده الأكثر عددا ظل أعزل من السلاح الناري فتسلح بالسيوف والفؤوس والخناجر والعصي

وكانت فيه فرق من الفرسان البارعين وقد تكفل كل واحد من الجند الأهلي بمؤونته وغطائه ولوازم معيشته، والفقراء قدم إليهم الأغنياء ما يحتاجون إليه من القوت، وكثيرا ما كنت تراهم يأكلون جميعا على مائدة واحدة لا فرق بين وجيه وغير وجيه، أو بين غني وفقير، وأي شخص ليس لديه زاد فما عليه إلا أن ينضم إلى احدى الجماعات المخيّمة هناك فيجد عندها المأوى الحسن وترحيب الأخ بأخيه، وفي الحق أن نزول الطليان أظهر ثاني وحدة ليبية بعد أبي الخطاب، وأصبحت الأمة من ناحية الشعور الديني والوطني كالنفس الواحدة في اتفاق الكلمة والرأي، ولما ترك الرجال خدمة الأرض وأهملوا العناية بأسرهم منصرفين إلى الجهاد اهتم الترك بمسألة التموين اهتماما فائقا فاشتروا من الأسواق الخارجية مئات الألوف من أطنان الدقيق والأرز والشاي والسكر، وصارت شركات النقل البحري الأجنبية توردها لليبيا عن طريق تونس، أي

كانت البواخر توصلها إلى الموانئ التونسية ثم تأتي القوافل الطرابلسية فتنقلها إلى مخازن الحكومة ومنها توزع على القبائل مع رواتب نقدية بنسبة رجالها المحاربين، وبذلك قضوا على أزمة المعيشة واطمأن الناس من هذه الناحية واتجهوا للعدو بقلوبهم وأبدانهم وكل نفس فيهم [1].

ثم يتحدث الأستاذ التليسي عن تلك المعارك فيقول:" تعترف المصادر الرسمية الإيطالية بأن وضع القوات العسكرية الإيطالية لم يكن سهلا بعد الأحداث التي جرت أثناء المعركة الكبرى (الهاني – شارع الشط في 23 أكتوبر 1911م) وما أعقبها من نتائج خطيرة أدت إلى زعزعة مركز العدو وأضعاف روحه المعنوية وخيبة أمله فيما كان يتخيله من سهولة الإحتلال وأنعدام المقاومة، وكان الجنرال (كانيفا) قائد الحملة قد أصدر أوامره باتخاذ كل وسائل القمع والإرهاب لتجريد الأهالي من السلاح وإجلائهم من المواقع الخلفية للجنود الإيطاليين مع تدمير المساكن وإحراقها ونفي المواطنين، وتم تنفيذ هذه العملية في جو من الإرهاب واعتقل أكثر من ألفي شخص، كما نفذ حكم الإعدام في عدد من المواطنين وضاقت السجون بالمعتقلين، ولما كان من المتعذر حفظ جميع المعتقلين في طرابلس فقد اتخذت الإجراءات للحصول على موافقة الحكومة المركزية لإرسالهم إلى السجون في إيطاليا، وفي مساء يوم 25 سافر الفوج الأول الذي كان يتألف من ستمائة شخص إلى جزيرة (تريتمي).

---

(1) نفس المصدر

يقول الجنرال (كانيفا) لقد أصدرت أوامري منذ مساء اليوم نفسه بتجريد سكان الواحة تجريدا كاملا تاما من السلاح، وهو إجراء له طابع الضرورة المطلقة لتأمين قواتنا من تجدد الهجمات الغادرة على المؤخرة، وهذه الفقرة المستخلصة من تقرير الجنرال كانيفا واضحة في الدلالة على الأساليب الإرهابية التي لجأت إليها إيطاليا يومي25-26 أكتوبر 1911م وهي واضحة في الدلالة على الهزة العنيفة التي تعرضت لها هذه القوات نتيجة لمعركة الهاني الأولى، والرعب الذي ساد الخطوط الإيطالية مما دعاها إلى فرض رقابة صارمة، وما كان لهذه الإجراءات إلا أن تزيد الثورة لهيبا واشتعالا، ويعترف العدو نفسه في وثائقه الرسمية أنه على الرغم من هذه الإجراءات ظل وضعه محفوفا بالمخاطر والصعاب إذ كان عليه أن يتولى الدفاع عن جبهة طولها عشرة كيلومترات بقوة تزيد على تسعة آلاف جندى وهى قوة كافية إذا وضعنا في تقديرنا أن القوة التي تواجهها من المجاهدين لا تزيد (طبقا للمصادر الإيطالية) عن خمسة أو ستة آلاف مقاتل لا يتوفر لهم ما توفر للقوة الإيطالية من تدريب وتجهيز وإمكانيات برية وبحرية، وقد فكرت القيادة الإيطالية فعلا في الإنسحاب وتضييق الجبهة إلا أنها خشيت من النتائج المادية والمعنوية المترتبة على ذلك فلجأت للتغلب على هذا الوضع المتدهور إلى تلك الإجراءات التي أشرنا إليها فيما تقدم، وإلى الإلحاح في طلب المزيد من الدعم من إيطاليا، وأدى هذا الوضع إلى عدول الإيطاليين عن إحتلال زواره في تلك الفترة، كما تعذّر ارسال اى دعم إلى القوة

الإيطالية في الخمس التي كانت تواجه وضعا دقيقا محفوفا بالمخاطر، مما اضطر القائد العام للحملة إلى أن يصدر التعليمات بالانسحاب في حالة الضرورة.

تلك لمحة عن الوضع العام الذي سبق معركة الهاني – أبي مليانة، التي جرت يوم 26 أكتوبر 1911م، وقد تلت معارك الهاني معركة سواني بن يادم وكنا تحدثنا عنها، ثم معركة جندوبه التي حدثت في 23 مارس 1913م ثم معركة الزنتان في 5 أبريل 1913م، إلا أن معارك بداية الغزو في الجنوب تمثل أهمية كبرى وقصوى في تاريخ الجهاد الليبي، وكان الشيخ سالم بن عبد النبي قد لعب دورا كبيرا في تلك المعارك وهي الشب وأشكده والمحروقه، ولأنها كانت طريق الإيطاليين في غزو الجنوب، بداية من سوكنه إلى مرزق، فهي أيضا كانت طريق هروب القوات الإيطالية من الجنوب، من مرزق إلى سوكنة ثم الشاطئ، ولأهميتها في سياق الأحداث نوردها هنا بتفاصيلها:

معركة الشب: كانت هذه أول المعارك التي التقى فيها المجاهدون وجها لوجه مع القوات الإيطالية، أي قوات الكولونيل (مياني) المكلفة باحتلال الجنوب والتي كانت قد تجمعت في سوكنه وأعدّت واستعدت لمدة ثلاثة شهور هناك وعندما تقرر تقدمها إلى الجنوب خاض معها المجاهدون المعركة الأولى في بداية زحفها، وكانت تلك القوات قد جهزّت بأحدث الأسلحة والمعدات

العسكرية والتجهيزات الأخرى، وذكرت المصادر الإيطالية أن تلك القوة كانت تتألف من:

1 – سريتي مدفعية جبال منقولة على الجمال

2 – كتيبتين من الأريتيريين مدربة على حرب الصحراء

3 – سبع محطات لاسلكي للاتصالات البعيدة والميدانية

4 – سرية خدمات مختلفة

5 – قافلة إمدادت تموينية وطبية وغيرها

وقد تحركت هذه القوة بقيادة الكولونيل (مياني) من سوكنه يوم 6 ديسمبر 1913م في إتجاه براك وسبها ومرزق وكان المجاهدون يستخدمون بنادق عادية ويتنقلون إما مشاة أو على ظهور الخيل أو الإبل، وقد هاجموا القوات المتقدمة يوم 10 ديسمبر 1913م وهكذا حدثت معركة الشب، وعلى الرغم من أن القوة والعتاد والأسلحة لم تكن متكافئة إلا أن المجاهدين أحدثوا بعض الخسائر في تلك القوات وهو ما لم يكن متوقعا، وكان له بالتأكيد أثر نفسي على معنويات جنود وضباط تلك القوات التي كان قادتها لا يتوقعون أية مقاومة في طريق تقدمهم، وبعد الهجوم انسحب المجاهدون في اتجاهات مختلفة وكان عليهم في الوقت الذي استمرت فيه القوات الإيطالية في تقدمها أن ينضموا صفوفهم مرة أخرى في مكان آخر.

معركة أشكده : لم تكد القوات الإيطالية تصل أشكده حتى كانت تتعرض للهجوم من طرف المجاهدين وكان هجوما خاطفا، ولقد كان أسلوب المجاهدين نظرا لتفوق القوات الإيطالية في العدة والعدد، أن يشنوا هجمات خاطفة على تلك القوات المتقدمة وهم يدركون أنهم لن يوقفوا أو يهزموا هذه القوات الضخمة وهي زاحفة، إلا أن أسلوب الهجوم هذا سوف يرهق الجنود والضباط إذ سيكونون دائما في حالة إستعداد وتخوف من المجهول، وكانت معركة أشكده عنيفة أيضا حيث جعلت قوات (مياني) تتمركز في مواقع دفاعية لبعض الوقت.

وقد جرت المعركة يوم 12 ديسمبر 1913م وكان المجاهدون من مختلف القبائل الليبية إلا أن أبرز قادتهم كان المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني أحد رفاقه ومساعديه، وبعد معركة أشكده هذه تمكنت القوة الإيطالية من إحتلال براك وتمركزت هناك، وبراك تمثل أول نقطة إحتلال في خطة الكولونيل الايطالي (مياني) ونظرا لتعرض القوات الإيطالية لتلك الهجمات الخاطفة بينما كانت تتقدم، فقد قرر ميانى وضباطه بعد أن أحتلوا براك أنهم يجب أن (يطهّروا) بحسب التعبير العسكري الايطالي جيوب المقاومة التي تعيق التقدم السريع، وهكذا أعدوا العدة لمعركة فاصلة وحدث أن المجاهدين، وكالعادة بعد كل معركة بداؤا في تنظيم صفوفهم لمعاودة

الهجوم، وجهّز الكولونيل ميانى قواته ليقوم هذه المرة بالهجوم بدلا من الدفاع عندما كان يتقدم، وقد ترك قوة رمزية لحماية الموقع الذي احتله في براك.

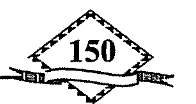
معركة المحروقه : عنما قرر الكولونيل الايطالي (مياني) القيام بالهجوم على منطقة تجمع المجاهدين كان لأول مرة يتّخذ مبادرة الهجوم حيث كان منذ تحركت قواته من سوكنه في وضع الدفاع وقد توفرت لديه معلومات عن تجمع المجاهدين قرب آبار محروقه، ولابد أنه توقّع أن المجاهدين يعدّون للهجوم على قواته بالإضافة إلى أنه قد قرر تطهير الجيوب كما يحلو له أن يقول، بحيث لا يبقى فرصة للهجوم عليه عندما يتحرك من براك في إتجاه سبها ومرزق، وهكذا استخدم معظم قواته التي كانت تحت قيادته وهاجم المجاهدين في محروقه وقد كانت معركة شديدة عنيفة، وقد فرض على المجاهدين في هذه المعركة أن يكونوا في وضع الدفاع رغم أنهم دائما يعتمدون على الحركة السريعة في الهجوم والدفاع.

ولقد جرت المعركة يوم 23 ديسمبر 1913م وتكبد فيها المجاهدون خسائر كبيرة وكانت واحدة من خسائرهم استشهاد المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي وهو الذي كان يقود المعركة، وفقدوا أيضا كثيرا من الخيول وهي عدة المجاهدين الحربية السريعة، ولقد تفرقوا في كل اتجاه، وليس أصعب على المجاهد الذي تعوّد على الهجوم الخاطف من أن يجد نفسه محشورا في مكان واحد وأن يكون في وضع الدفاع بدلا من الهجوم، وبعد ذلك التفرق والتشديد

ونكبة استشهاد المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي الذي كان يقودهم، كان من العسير تجميع هؤلاء الناس مرة ثانية في وقت قصير، وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي وقد اعتزم القيام بذلك العمل الذي يشبه المستحيل والمتمثل في شيئين هامين، الأول تجميع المجاهدين وتنظيمهم، والثاني القيام بعمل جهادي كبير يعيد الثقة في النفوس، والثأر من الأعداء الذين قتلوا رفيقه المجاهد الكبير محمد بن عبدالله، هكذا اعتزم وقد بدأ على الفور، بدأ بعدد قليل من أقاربه الذين كانوا معه أثناء المعارك الثلاثة (الشب وأشكده والمحروقه) وجعل منهم رسلا إلى كل مكان من أجل توصيل رسالته وهي "لابد من الانتقام وردّ الإعتبار لأن المجاهد في سبيل الله لا ييأس"، أما القائد الايطالي فإنه اقتنع بما لا يدع مجالا للشك بأنه لن يتوقف ولن يتعرض لأي مشاكل وقد نجحت العملية التي قام بها، وكانت نقطة توقفه الثانية هي سبها، ولا يعقل أن يلحق به هؤلاء الذين فقدوا خيولهم وذخيرتهم وأغلب قادتهم في المحروقة، وحتى لو حاولوا فسوف لن يلحقوا به إلا بعد وقت طويل جدا يكون فيه قد تمركز وجهز قواته واستحكاماته، كما أنهم إذا تجمعوا في مكان آخر سيقوم بنفس العمل ليقضي على البقية الباقية من(العصاة) وقد دخل سبها يوم 17 نوفمبر 1914م ومرزق في يوم 3 مارس 1914م، وهكذا فقد أستغرقت حملة مياني من سوكنه إلى مرزق قرابة ثلاثة شهور حيث أنها ابتدأت يوم 6 ديسمبر من سوكنه واستقرت في مرزق يوم 3 مارس 1914م، ولأن مياني كان يريد أن يقطع إمكانية أي

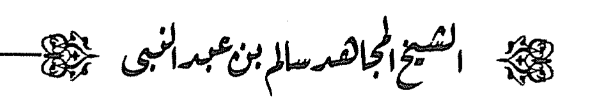
اتصال أو منفذ للمجاهدين فقد قرر أن يحتل (غات) وهو ما حدث حيث أرسل قوة احتلت غات يوم 12 أغسطس 1914م، ولم يحسب بعد ذلك أي حساب للمجاهدين إذ كان قد احتل المنطقة بكاملها، ولأن هذا الكولونيل كان يؤمن دائما بأن الهجوم خير وسيلة وأن تطهير الجيوب واجب فوري فقد جمع قوة كبيرة أراد أن يطهّر بها الجيوب الباقية أو التي صارت بعده في منطقة الشاطئ ولقد تزامن ذلك مع استكمال تجمع المجاهدين وتنظيمهم الذي قام به الشيخ سالم بن عبدالنبي على خير وجه وقرر أن يضرب ضربته في المكان الموجع المفجع، قرر أن يهاجم أقوى قلعة عسكرية جهزها مياني بالعساكر والأسلحة، أنها قارة سبها وفي يوم 28 نوفمبر 1914م كان قد هاجم واحتل القارة بنجاح منقطع النظير، وما كاد الكولونيل الايطالي (مياني) يعلم بذلك حتى ترك الجيوب والساحة كلها هاربا بمن معه إلى سوكنة التي بدأ منها هجمته الأولى، وهكذا بدأ الإنهيار العسكري الايطالي وبدأت مرحلة جديدة مجيدة في تاريخ الجهاد الوطني الليبي.

كان للشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع دورا بارزا ومشرفا فيها ومعها، وقد امتد جهاده عشرون سنة كاملة، وبعدها أربعة عشر سنة من جهاد الغربة إلى أن عاد بعد خروج الغازي من بلاده وأسلم روحه الطاهرة إلى خالقها سنة 1944م، ومنذ تلك المعركة التي قادها الشيخ سالم بكفاءة نادرة لمع نجمه وقد احتل مكانة بارزة في تاريخ الجهاد الوطني الليبي عليه رحمة الله، لهذا بدأ الإيطاليون



يدرسون تاريخ حياة هذا الرجل الذي لم يدرس في كلية عسكرية ولا تعلم فنون الحرب في معاهد عسكرية، ومع كل ذلك ظل الرجل كما هو، بسيطا متدّينا وقورا بين أهله ورفاقه، وهو الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع الزنتاني.

أما الأعداء فقد قالوا أنه مغامر وأنه باطني داهية لا يعرف عنه ماذا يريد أو فيم يفكر، بل هناك حتى من قال أنه قاطع طريق وأن الحكومة التركية كانت تسعى في القبض عليه وقد رصدت جائزة كبيرة لمن يدلي عنه بأي معلومات قد تؤدي إلى قتله أو القبض عليه، ولكن لا الحكومة التركية ولا الحكومة الإيطالية ولا كل الوظائف والأموال استطاعت أن تغري هذا الليبي البسيط، وقد بقي إلى آخر يوم في حياته يعيش عيشة الكفاف، مؤمنا مناضلا لا تغريه كماليات ولا أي شئ من حطام الدنيا.

الفصل الخامس
مرحلة الجهاد الأكبر

لا يختلف اثنان عند الحديث عن مرحلة الجهاد الوطني الأولى في ليبيا أن الليبيين جميعا قاتلوا ضد العدو الغازي ربما دون استثناء، فلقد كان الجهاد في سبيل الله والوطن، ويمكن القول أن هذه المرحلة قد استمرت حتى نهاية سنة 1914م وهي المرحلة التي لم تكن فيها مغانم مادية أو وظيفية، ولا استطاع أحد أن يطبق فيها نظرية (فرّق تسد) أما ما جاء بعدها فقد جاءت معه جميع وسائل الإغراء والإغواء والخداع، دخلت الأموال والمناصب والوظائف السياسية والإدارية، وهي مرحلة يمكن أن ينطبق عليها التعبير العربي القائل (اختلط الحابل بالنابل) حيث تمكن الإيطاليون من استمالة بعض الناس بالمال والوعود والتخويف والإبتزاز، وقد التحق بهم من التحق وساعدهم من ساعد وعمل لصالحهم من ضعفت نفوسهم وإيمانهم أو من كان ضعيفا في الأصل.

وكان الوجود العسكري الايطالي قد انكمش تماما بعد معركة القرضابية وهزيمة الجيش الذي جاء ليفتح البلاد كلها في تلك المعركة، وتجمعت فلوله من أنحاء البلاد في المدن الساحلية الثلاث وهي طرابلس والخمس وزوارة، وحدثت أيضا بعد هذه المعركة مباشرة الحرب العالمية الأولى التي كانت

إيطاليا طرفا فيها، وقد نتج عن بداية تلك الحرب شيئان هامان بالنسبة للمجاهدين الذين استعدوا واستعادوا المبادرة في الحرب الوطنية وأصبحوا في وضع المهاجم القادر الواثق، وهما:

أولا، انشغال إيطاليا في تلك الحرب بإعتبارها أحد أطرافها.

وثانيا، عودة تركيا إلى الإهتمام بالساحة الليبية رسميا بعد أن تركتها، وكانت معها هذه المرة حليفتها في الحرب (ألمانيا).

وهكذا تدفقت الأسلحة والضباط المدربين والمساعدات الأخرى على المجاهدين من الدولتين (تركيا وألمانيا) وحدث نفس الشئ في المناطق الشرقية من ليبيا حيث أصبح الوجود العسكري الإيطالي محصورا في ثلاث مدن ساحلية هي طبرق ودرنه وبنغازي، والحدثان الآخران الهامان في هذه المرحلة هما:

أولا، عودة الاتصال والتفاهم بين قادة الجهاد في ليبيا شرقها وغربها.

ثانيا، العمل على تكوين ما يمكن أن يطلق عليه اسم حكومة وطنية.

وعلى الرغم من أن النوايا لم تكن خالصة كلها إذ كانت هناك أطراف لها مصلحة في عدم توحيد الجهاد الوطني أو بالأحرى أي اتفاق بين قيادات الجهاد في المنطقة الغربية مع السنوسيين الذين يقودون الجهاد في المنطقة الشرقية، مع هذا كله فإن الجهاد الليبي لم يكن بعيدا عن العرب والمسلمين وخصوصا في مصر، وربما يكون من المفيد أن نذكر هنا أن التواصل بين

الشعبين في ليبيا ومصر كان وثيقا وحميما في أغلب الأوقات، وبشكل خاص وقت الاحتياج والأزمات، فقد كان الضباط المصريون وعلى رأسهم عزيز المصرى أول من تقدم لتدريب الليبيين، كما كان السيد عبدالرحمن عزام وبعض القادة والخبراء المصريين أول من ساعد بالخبرة والمشورة في شؤون الإدارة والسياسة، وكان الهلال الأحمر المصري أول جهة تقدم الخدمات الإنسانية والطبية في هذه المرحلة من الحرب التي يخوضها المجاهدون الليبيون.

وكان الليبييون قد قدموا الخدمات والمساعدات لإخوانهم المصريين، فلقد حدث أنه عندما وقعّت فرنسا اتفاق العمل مع تركيا في 9 أكتوبر سنة 1801م وعاد القنصل الفرنسي السيد (وسييه) إلى طرابلس وعادت العلاقات ودّية بينه وبين الباشا، وكانت العلاقات مع فرنسا قد أقيمت بالنسبة لحاكم طرابلس على أساس من المطامح الشخصية، فإن سكان البلاد لم يكونوا يؤيدون هذه السياسة لأنها كانت من الناحية العملية موجهة ضد شعب مصر الذي كان يخوض نضالا عادلا ضد الغزاة الأجانب، فخلال المقاومة الضارية التي كان يقوم بها أهل القاهرة ضد الفرنسيين كان سكان القسم الشرقي من إيالة طرابلس الغرب متضامنين مع المصريين، وبالإضافة إلى تقديم المساعدات المادية للمدافعين عن القاهرة عمد سكان درنة إلى إرسال التعزيزات البشرية إليهم، هذا وقد أبدى مثل هذا التضامن مع الشعب المصري سكان مصراتة الذين شاركوا في القبض على مبعوث نابليون السيد (أرنو) عندما كان عائدا من طرابلس باخباريات إلى

مصر، وعندما اتضح أن (أرنو) هذا هو رسول نابليون قتله رجال سيف النصر على الرغم من طلب باشا طرابلس إطلاق سراحه[1] ومثلما كانت مصر مأوى آمنا لكل الليبيين الذين هربوا من طغيان الإيطاليين، كانت كذلك تونس، وكان الشعب التونسي الذي وجد فيه الليبيون المكان والأمن والأيدي التي تمتد بالمساعدة والمواساة في هذين البلدين العربيين الشقيقين، وهذا ما يؤكد وحدة الأمة العربية وتعاطف المسلمين في كل مكان من القضايا العادلة والإنسانية، ويورد لنا السيد (بروشين) في كتابه الدليل على ذلك عندما يقول: "في يوليو سنة 1574م اقترب الأسطول من شطآن تونس وحلق الواد، وكان السكان قد بداؤا قبل وصوله بتشديد صراعهم ضد الإسبان وممثليهم موجودين خلف أسوار تحصيناتهم بدأ الأتراك عملياتهم العسكرية بحصار تونس، واشترك في الحرب التونسيون والجزائريون وجنود متطوعون من طرابلس الغرب ومصر، وتحملت المدينة الحصار مدة ستة أيام حتى اقتنع الإسبان باستحالة الدفاع عنها وعن قلعتها وانسحبوا إلى قلعة باب البحر، وفي تلك النقطة المحصنة والمجهّزة من أجل الحصار الطويل الأمد ركّز عدد كبير من الأسلحة والذخائر، وفي أغسطس سنة 1574م بدأ حصار حلق الواد قلعة الأسبان الرئيسية في تونس، وتواصل ضرب القلعة 40 يوما متصلة وكانت خسائر الجانبين كبيرة فالأسبان لوحدهم خسروا خمسة آلاف من القتلى وألفين من

(1) كتاب تاريخ ليبيا في العصر الحديث، تأليف ن.أز بروشين ، ترجمة د- عماد حاتم

الجرحى وكان بين الأسلاب التي غنمها الأتراك 500 قطعة سلاح أرسل 130 منها إلى إستانبول وتم القبض على مولاي محمد سلطان تونس وعلى قائد القوات الإسبانية.

وبعد إحتلال حلق الواد بقى في أيدي الأسبان حصنان هما باب البحر وحصن (شاكلي – سان جان) ولم يكن بالمقدور كسر المقاومة الخرافية للحصنين إلا بالحصار الطويل الأمد، وبعد سقوط هذين الحصنين الأسبانيين المهيمنين في الشمال ألأفريقي انتهت معركة تونس ووضعت حدا لأسرة الحفصيين والسيطرة الإسبانية في هذه البلاد وقد تكبّد الجانبان خسائر معتبرة، فالأسبان وحدهم خسروا ثمانية آلاف إذا ما أغفلنا العدد الكبير من أنصار مولاي محمد، أما الجيوش التركية ومعها قوات المحاربين المتطوعين المسلمين من التونسيين والطرابلسيين والجزائريين فقد خسروا في حربهم مع الإسبان عشرة آلاف إنسان.

وهكذا استطاع الأتراك باستخدامهم لنضال الأهالي المحليين ضد سيطرة الأسبان أن يوسّعوا بصورة معتبرة حدود ممتلكاتهم فوق الشمال الأفريقي، وأدى حصول تركيا على الأراضي الجديدة إلى اضعاف إسبانيا التي أخذت تعاني من المتاعب الاقتصادية الملموسة بعد أن عانت سلسلة من الهزائم الكبرى، وبعد هزيمتها في تونس لم يبق لها نقاط ارتكاز في أفريقيا الشمالية إلا مليله،

ومرسى الكبير ووهران، وفي سنة 1581م صرف فيليب الثاني النظر نهائيا[1] عن الثأر في أفريقيا الشمالية ووقع الصلح مع السلطان مراد الثاني، وعندما تكونت الحكومة الوطنية وحدثت الإتصالات بين المبعوثين الأتراك وبعض قادة الجهاد الوطني في ليبيا، كان الشيخ سالم بن عبدالنبي مستقرا في موقع رأسه (القريات) يتأمل مجريات الأمور، وكان يعرف تماما أن الجهاد لم ينته وأن الإيطاليين لابد عائدون، وكان ينصح أولئك الذين نزحوا عن فزان بالعودة إليها والاستعداد للجولة القادمة، لم يكن له في السياسة شأن ولا في الحكم مطمع، ولا كان يميل إلى حياة المدن والمكاتب أو المراسم، فقد نشأ حرا طليقا لا يقيم إلا في الصحراء الواسعة ولا يملك إلا الفرس والبندقية والإبل والغنم مع ميل نسبي إلى الزراعة، وكانت له مزارع في الجنوب وبعض الأملاك استولى عليها الإيطاليون فيما بعد، أي بعد هجرته، وعندما اشتدت حالة الحرب الأوربية كانت فيها تركيا وألمانيا وبلغاريا والنمسا في الجانب المعادى للحلفاء إيطاليا وبريطانيا وروسيا وفرنسا تدعمّت علاقات التعاون الحربي بين المجاهدين الليبيين وتركيا وألمانيا، وقد تم العمل على تنظيم المجاهدين الليبيين ليكونوا نواة الجيش الوطني بقيادات تركية، وكانت الحكومة الوطنية عمليا تابعة للسلطان، وكانت هناك عمليات حربية متقطعة بين حين وآخر لإثبات الوجود

(1) نفس المصدر،،

تحدث بين القوات الإيطالية الباقية في الشاطئ وبين المجاهدين، ونظرا لذلك فإن الليبيين لم ينصرفوا تماما إلى أعمالهم الخاصة في الزراعة وغيرها، ولهذا السبب لم تكن الحياة مستقرة أو آمنة، وما أن انتصر الحلفاء ومعهم إيطاليا سنة 1918م في تلك الحرب العالمية حتى تغير الموقف الايطالي كما تغير الموقف التركي، ذلك أن السلطان التركي قد أمر من بقي من مواطنيه بالعودة إلى بلادهم، وسلكت إيطاليا سياسة جديدة إعتمادا على تجربتها السابقة في ليبيا إذ عرفت أن السلاح وحده لا يمكن أن يحل المشكلة، وبذلك جعلت السياسة في مكان السلاح وهي بطبيعة الحال تدرك أن موقف الليبيين لابد أن يكون أضعف مما كان عليه قبل وأثناء الحرب الأوروبية.

وأثناء الحرب الأوربية كان السيد إدريس السنوسي قد حصل على وعد من بريطانيا بالمساعدة في الحصول على الحكم الذاتي لبرقة بعد إنتهاء الحرب، وهكذا تكوّنت إمارة برقة برئاسته بينما عمل قادة الجهاد في المنطقة الغربية من ليبيا على تأسيس الجمهورية الطرابلسية ربما اقتناعا بأنه لم يكن ممكنا لهم التفاهم مع السنوسيين، أو ربما للرغبة في فرض الأمر الواقع على إيطاليا التي خرجت من الحرب العالمية الأولى منهكة وإن كانت منتصرة، وهكذا اتفق الطرفان على عقد مؤتمر خلال سنة 1919م عرف فيما بعد باسم مؤتمر (سواني بن يادم) وقد نتج عنه بعض الإتفاقيات الوطنية التي تضمنها القانون الأساسي

الذي صدر فيما بعد، وما كانت إيطاليا صادقة في أي اتفاق، إلا أنها كانت ترغب في كسب الوقت والفرص لضرب المجاهدين ببعضهم، وبدأ رجالها يعملون دون كلل على إثارة الفتن والنعرات القبلية والطائفية والعرقية بين قادة الجهاد، ولقد نجحوا إلى حد كبير في ذلك المسعى، وعلى الرغم من أن هؤلاء قد فطنوا لما يقوم به رجال الحكومة الإيطالية إلا أن الدعاية والدسائس كانت قد فعلت فعلها.

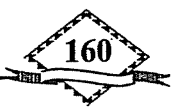
وعقدوا مؤتمرا عرف باسم (مؤتمر غريان سنة 1920م) واتفقوا على إرسال وفد إلى روما لتأكيد الحقوق والمطالب الوطنية الليبية، وما كانت إيطاليا لتقبل بذلك على الرغم من سفر الوفد الليبي إلى هناك فبعثت بوفد ليبي آخر يلغي مهمة وفد غريان، وبالتالي فقد فشل الوفد الأول في تحقيق أي شئ إلا بعض الدعاية الإعلامية في إيطاليا (لأن وفد غريان كان يمثل وجهة نظر ومطالب المجاهدين الليبيين، أي المطالب الوطنية، بينما كان الوفد الثاني عميلا لإيطاليا ويمثل رغبتها في إفشال مهمة وفد المجاهدين).

وبعد عودة وفد مؤتمر غريان من روما بلا نتائج بدأت المناوشات الحربية من جديد في المنطقة الغربية من ليبيا، ولما كان الأمير السنوسي في برقة هو الآخر لم يجد وفاء من إيطاليا رغم تصالحه معها، فقد تمّت اتصالات بينه وبين قادة الجهاد في غرب البلاد وبذلك تم الإتفاق على عقد مؤتمر لتوحيد الجهود وعرف فيما بعد باسم (مؤتمر سرت سنة 1921م) ولكن إيطاليا لم تسمح بذلك

وقامت بعمليات حربية كبيرة ضد المواقع الوطنية في كل مكان وفي مختلف مناطق البلاد سنة 1922م ولكنها لم تنجح في تحقيق أغراضها فسعت مرة أخرى إلى المصالحة وانعقد مؤتمرا ضم مندوبي إيطاليا والمجاهدين في (فندق الشريف) ولكن اللقاء في هذا المؤتمر انفض دون نتيجة تذكر، ولابد أن السلطات ايطالية في هذه الأثناء وطدّت علاقاتها مع بعض قادة الجهاد الوطني وبالتالي تراجعت عن رغبة ونية المصالحة.

وقد سيطر على بعض القادة التفكير في المصالح الخاصة، وكان هناك من طلب تأسيس إمارة خاصة به مشابهة ربما لإمارة برقة السونسية!! وهكذا بدأت الحرب من جديد وإن اختلفت هذه المرة، فقد بدأ الوطنيون يتقاتلون فيما بينهم (كما يحدث في فلسطين الآن بين قيادات حماس وقيادات فتح مع الأسف الشديد) ومع بداية الخلاف والتقاتل شددت إيطاليا من هجماتها، فقتل السويحلي وهو أحد قادة الجهاد، وصار كل زعيم يفكر في نفسه وفي منطقته أو قبيلته، فقد تحالفت قبائل وزعماء ضد قبائل وزعماء آخرين، وانضمت إلى الغازي قبائل ومناطق وزعامات للمحافظة على مصالحها أو فوائدها، ومن لم يستطع فقد هاجر أو هجّر، هجر الجهاد وهاجر إلى بلاد أخرى أو هجّر عنوة إلى مصر وتونس وتركيا وسوريا والسودان الخ.

وفي هذه الفترة بدأت المرحلة الثالثة من الحرب وهي التي أسماها لإيطاليون (حرب الاستعادة أو الاسترداد) وهذا يعني أنهم قرروا استعادة الأراضي

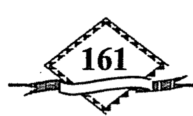


والمناطق التي كانوا قد احتلوها في بداية غزوهم وقد طردهم منها المجاهدون بعد ثورة سنة 1914م أي إحتلال البلاد كلها، شرقا وغربا وجنوبا، وكان على المجاهدين أن يلجأوا من جديد إلى المواقع التي كانوا قد احتموا بها وقاتلوا منها، أي إلى الصحراء بعد العديد من المعارك اليائسة وغير المتكافئة.

وعاد الشيخ سالم بن عبد النبي من جديد إلى الميدان، الميدان الذي لا يعرف غيره، فهو لم يفاوض ولا التقى بالأعداء حتى لو كانت الأغراض وطنية، عاد بعد استراحة وتأمل ربما هي (إستراحة المحارب كما يقال) وكان قد خاض الكثير من المعارك جنبا إلى جنب مع زعماء آخرون ومجاهدون من مختلف القبائل الليبية نذكر منها:

1- معركة الوخيم
2- معركة الجوش
3- السلامات
4- الطابونية
5- ودى الخيل
6- القريات الأولى
7- بئر علاق

وأما تفاصيل هذه المعارك وما أحاط بها فهى كما يلى:



معركة الوخيم (3 يونيو 1922م) :

كانت أول المعارك التي خاضها المجاهدون ضد قوات الغزو الإيطالية فيما عرف تاريخيا باسم (حرب الإستعادة أو الاسترداد) وقد جرت هذه المعركة في 3 يونيو 1922م وكان هذه المرة يقود القوات الإيطالية جنرال جديد هو (رودولفو غراتسياني) ولقد تكبّد فيها الإيطاليون خسائر كبيرة واستطاع المجاهدون إيقاف تقدمهم وكانت الطائرات قد استعملت لأول مرة في هذه المعركة، وقد حدثني الحاج محمد الصغير العائب رحمه الله قبل وفاته وكان قد عاصر تلك المعارك وإن كان صغير السن (كما قال) إلا أن والده كان أحد أبرز المجاهدين (وقد أعدمه الإيطاليون في الزنتان بعد معركة الكردون ضمن العشرة الذين أعدموا قرب السوق ويعرف مدفنهم حتى الآن باسم (قبر الشهداء العشرة) حدثني عن تلك المعركة وكيف كان أثر ظهور الطائرات على المجاهدين وعلى خيولهم التي لم تألف هذه الأجسام الطائرة ذات الأزيز المدوي في السماء، قال: " بدأ تحرك القوات الإيطالية التي يقودها غراتسياني والتي تتكون من إيطاليين وأحباش ومجندين ليبيين وهي مزودة بمختلف الأسلحة والعتاد، وصعدت القوات من الوطيه في إتجاه وادي (غدو) ولقد تزوّدوا بالمياه من سواني الحمراء، وكان المجاهدون من الزنتان والرجبان وآخرون في انتظارهم بالوخيم في رأس الوادي بمكان اسمه (الصليعات) وقد هجم الإيطاليون بقوات المشاة والفرسان، وكانت الطائرات فوقهم وهي المرة

الأولى التي يرى فيها المجاهدون الطائرات، وكانت تلك الطائرات تصوّب الرشاشات على المجاهدين من فوق بينما كانت خيولهم تجفل كأنها أصيبت بالجنون بسبب أزيز الطائرات التي لم ترها من قبل، ومع ذلك فقد صمد المجاهدون أمام كل ذلك الجحيم وردوا الإيطاليين في اليوم الأول، ردوهم إلى سواني الكردي قرب (غدو) وقد أصاب منهم العطش وصاروا يحفرون تلك السواني بحثا عن الماء، وفي الصباح خلال اليوم الثاني بينما كان المجندون الذين يعملون مع الطليان يبحثون عن الماء فاجأهم المجاهدون وقتلوهم جميعا، ثم حدث هجوم آخر من طرف الإيطاليين ومعهم الطائرات وقد قتل عدد كبير من المجاهدين أذكر منهم إبراهيم القرج بن عمّار وأبو القاسم بوتالوله وابنه محمد وحسن فكيني وابن علي العالم والهادي بودرباله وعددا آخر، وانسحب المجاهدون (وأود أن أذكركم أنني في ذلك الوقت كنت شابا لم يصم بعد) والحقيقة أن الطائرات هي التي كانت سببا، وفي معركة السلامات كان هناك من يشجّع الإيطاليين على صعود الجبل ويقولون لهم، إن المجاهدين منشغلون بنقل عائلاتهم وكانت بغال الإيطاليين شبه عاجزة عن جر المدافع عبر الجبل، ومع الأسف كان بعض الليبيين يساعدونهم في دفع عجلات عربات المدافع التي ضربونا بها بعدئذ وكان المجاهدون في مكان إسمه (الخربه) ولم يكونوا كثيرين ومع ذلك فقد هجموا على الجيش الايطالي المتقدم عبر السلامات، وقد استشهد ميلود بن سالم وموسى الدحنوس والهادي العيساوي

ومحمد بن عبدالواحد، وأذكر أن الذين استشهدوا في السلامات كانوا من الزنتان فقط وهم خمسة وعشرون مجاهدا، ونظرا للخسائر الكبيرة فقد انسحب المجاهدون، وبعدئذ تجمع الزنتان والرجبان في منطقة الزنتان وتبين أن الإيطاليين قد اتفقوا مع بعض المتعاونين معهم من الليبيين على ضرب حصار، أي أن يأتي الإيطاليون من الغرب والعرب المتعاونون معهم من الشرق، وهكذا انتقلنا إلى مزده وبئر الحميراء وفسّانو وبئر المرحان وإلى بئر علاق، بينما تجمع الإيطاليون ومن معهم من الليبيين في جادو، وعندما اطمأن المجاهدون على أسرهم في منطقة مزده استعدوا من جديد وكوّنوا خط دفاع في (سفّيت) وقد جاء في ذلك الوقت خالد القرقني ومعه بعض الجنود وكذلك السيد أحمد السني، وهكذا تكوّنت جبهة فيها الزنتان والرجبان والقواليش وككله، وكان الرؤساء هم عمر الغزّ وعمر بن حمد والشنطة والمحاريق وبقية أعيان الزنتان، وكان الناس محتاجين للغذاء ولهذا كان المجاهدون يذهبون عن طريق يفرن إلى الشاطئ للحصول على الشعير كذلك كانوا قد احضروا رحى للطحن وكان ذلك كل ما يتوفر لأكل المجاهدين، ولقد بقي المجاهدون في تلك الجبهة وكان الذين يهاجموننا من المجندين العرب بينما بقي غراتسياني في جادو، وهؤلاء كانوا يهاجمون ثم يعودون إلى جادو، لا أعرف التاريخ بالتحديد في الوقت الذي هاجم فيه الإيطاليون (سفّيت) وكان المجاهدون ينقصهم كل شئ بما في ذلك الذخيرة، وبالتالي كان لابد أن ينسحبوا، وعندما بدأ الهجوم كان القواليش

يستعدون للرحيل ولما فوجئوا بالهجوم صمدوا أمام القوة الإيطالية كلها ولم يكن عددهم يزيد على 70 رجلا، ثم انسحبوا بسلام محافظين على أسرهم وانتقلوا مع بقية المجاهدين إلى مزده والأبيار.

بعد ذلك حصلت اتصالات بين الإيطاليين وعلي الشنطة والصيد، وكان رأي الشنطة والصيد وكذلك محمد فكيني أن الناس قد تعبت ولا يمكن لها أن تستمر في الحرب ضد الحكومة، وبعد تلك الاتصالات جاء الشنطة وحمد الصيد وقالوا أن الحكومة مستعدة للعفو ويجب أن تعودوا إلى البلاد وأن تسلموا الأسلحة، ولهذا فإن أغلب المجاهدين رفضوا وقرروا الإتجاه إلى القبلة وترك الأمر اختياريا لكل شخص فيما يتعلق بالاستسلام، وحدث أن الذين رجعوا إلى المنطقة قبض عليهم الإيطاليون، وكان الوقت على ما أعتقد شهر يوليو، لقد قبضوا على كل من علي الشنطة ومحمد الشنطة وعبدالسلام الشنطة ومحمد بن علي الشنطة وسالم عمر كامور ومحمد بن ضوء وموسى فطيحيز وعبدالواحد وحمد الكرودي ومنصور الكافالي وخليفة ديدون ومبارك الرسّى ومحمد الوعد والحاج الحضيري الرماح الذي مات في الطريق وكان مكتوف الأيدى (مكلبش)، أما حمد الصيد فقد رجع وعندما سئل قال إنني لا أملك رأسين كي أسلم أحدهما للإيطاليين، وبدأ الإيطاليون ينكّلون بالناس بسبب بعض الوشايات مثلما حدث مع عدد كبير من الزنتان الذين أعدموا بلا أي سبب إلا بوشاية أنهم يفكرون في الالتحاق بالمجاهدين في القبلة"(انتهى)

ويذكر الأستاذ التليسي معركة الوخيم فيقول: " كانت هذه المعركة من المعارك الأولى التي جرت بالجبل الغربى (30 يونيو 1922م)[1] أثناء زحف القوات الإيطالية بقيادة الجنرال غراتسياني في نطاق العمل العسكري الذي تبنّته الحكومة الإيطالية حينذاك في سبيل استرداد وإعادة إحتلال المواقع التي كانت بيد الوطنيين والتي ظلت حتى ذلك الوقت خارج نطاق السلطة الإيطالية، وقد استطاع المجاهدون إرهاق العدو في هذه المعركة، ويعترف الجنرال غراتسياني في وصفه للمعركة بأن القوات الإيطالية قد وجدت نفسها في موقف حرج ولم يتحسن هذا الوضع إلا بعد وصول المزيد من الدعم، وقد اضطرت القوات المعادية إلى إيقاف الزحف على الجبل لمدة تزيد على خمسة أيام بدعوى سوء الأحوال الجوية وارتفاع درجة الحرارة، إلا أنها في الواقع كانت تنتظر المزيد من الدعم عن طريق زوارة، وقامت الطائرات بضرب المجاهدين وملاحقتهم في الأيام التالية للمعركة[2]، ونرى غراتسياني قد تحدث عن المعركة بتوسع، فقال:" وفي صباح اليوم الثالث في الوخيم قبل تنفيذ هذه التدابير هوجمت الخياله (السباهيس) التي توجهت لاستكشاف مواقع الأعداء وطوقتها قوات كبيرة كثيرة العدد، ولكن أمكنها أن تتخلص من الحصار بعد جهد وعناء شديدين،

(1) يلاحظ أن هناك خطأ فى التاريخ ربما يكون مطبعيا والصحيح أنه بدلا من 30 يكون 3 يونيو

(2) معجم معارك الجهاد فى ليبيا – التليسى

وبعد أن فقدت ضابطين من ضباطها الثلاثة وكثيرا من الجنود فضلا عن عدد من الخيول كما فوجئ ما يقرب من مائة من قوات خربيش وهم يبحثون عن الماء في جهات قريبة من المعسكر وذبحوا عن آخرهم بعد أن فقدوا أسلحتهم وقد قتل فكيني ثلاثين منهم بيده[1] ولكن هذا الموقف الحرج قد تحسن في الأيام التالية بفضل تراجع الفصائل التي كانت قد أرسلت إلى (الحمراء) وإخراج الأتربة من الآبار التي بدأت تفيض بالماء وأفادت منها جميع الوحدات بما فيها الفصائل التي بقيت في سواني الكردي ولكن ريح القبلي اشتد هبوبها اشتدادا عظيما منقطع النظير في الخمسة أيام التالية وكانت تخنق بدواماتها الرملية الناعمة الرجال والدواب، وكانت ساريات المحطات اللاسلكية مدى خمسة أيام أي (3 إلى 8) لا يمكن رفعها إلى أعلى وكان يبدو أن الطبيعة تعترض بقوتها الغاشمة إرادة جماعة من الرجال الأبطال كانوا يريدون أن ينتهكوا أسرارها، وكانت تظهر هناك بعيدا بين السحب الرملية جوانب (الجبل) الوعرة السوداء، ذلك الحمى المتبع الذي كان يبدو أنه لا يمكن الوصول إليه أو التغلب عليه، وكانت واحة الجوش تبدو من بعيد جهة الغرب في ذلك الأفق

(1) كتاب نحو فزان، غراتسياني، علما بإنه لم يثبت أن فكيني قد قتل ذلك العدد بيده كما ذكر المؤلف، على أن القتل فى حالة الحرب ليس غريبا وإنما مثل ذلك العدد فى وقت واحد غير ممكن وبواسطة شخص واحد.

الداكن وقت الأصيل، وعندما تهدأ الريح كأنها غادة فتّانة تسبي العقول وهي ملآى بالنخيل والمياه الجارية.

كانت تلك الأيام أيام قلق وجزع ولا يمكن أن تنسى على مرور الزمن وكر الأيام، ولكن الإرادة القوية التي لا تتزعزع تتغلب على جميع الشدائد.

وبشأن معركة الجوش يقول: "حوالي الساعة الثامنة والنصف من يوم 13 يونيو 1922م هاجمتني وحدات قوية من وحدات العدو كانت تتلقى على الدوام إمدادات من المحلات التي كانت تأتي من الوخيم وكانت هذه كلها من الزنتان والرجبان والحرابة والصيعان وغيرها قوامها (2500 بندقية) وكلهم من الرجال المدربين على الحروب والذين كانوا يفاخرون بإنتصاراتهم علينا التي أحرزوها في سنة 1915م وسرعان ما استعرت نيران القتال الحامية حول الرتل الذي كان يزحف وهو يتبع نظام التشكيلات العسكرية القديمة (المربعات) ويضم عددا كبيرا من الحرّاس لأنه كان يسير في أرض منبسطة مكشوفة، لقد دخل رجال القوات الجوية الذين كانت طائراتهم جاثمة على أرض معسكر أعد لها في سواني الكردي حيث وقفت لحراستها قوة الهجانه، وكانوا يحضّرون القنابل ويعودون للعمل دون توقف وهم يلقون منها الذعر والهلع في صفوف الأعداء، وكانت الكتيبة الليبية الأولى تصد هجوم الأعداء على مسيرتنا وتضعف حماستهم

بينما كانت الكتيبة الليبية السادسة تعمل في الجهة اليمنى والكتيبة الأريتيرية الرابعة تصد هجمات قام بها العدو على مؤخرة الرتل، وبثلاث هجمات قمنا بها أحتللنا (العين الجديدة) التي ضمنت لنا الحصول على الماء اللازم وبهجومين آخرين احتللنا واحة الجوش بينما كان العدو يولي الأدبار إلى جادو عن طريق شكشوك تتبعه جماعة الخياله (السباهيس) في غير هوادة، ثم يضيف في مكان آخر من الكتاب قائلا: "وفضلا عن هذا فإن جموع الثوار الذين انهزموا في الجوش قد صعدوا فوق الجبل بأسلحتهم وأصبح في إمكانهم الدفاع عن الممرات بقذف الحجارة نظرا لوعورتها الكبيرة وصعوبة سلوكها، وكان الزعماء الوطنيون المحليون بما فيهم (خربيش) يستبعدون أن يستطيع العدو في الحال جمع شمله، وكانوا يميلون إلى البقاء في الجوش في إنتظار لمدة بضعة أيام ومن العبث أن يستمع القائد إلى آراء القواد الذين تحت إمرته أو إلى نصائحهم وإرشاداتهم، وإنني حتى إذا ما استعمت لهم فإنه يكون من الصعب علي بعد ذلك أن أقر ما أراه وما يخطر ببالي في حدود المسؤولية الخطيرة التي تقع على كاهلي، إذ أن تولي قيادة معناه البث وإصدار القرار وهذه حكمة قديمة ترن في ذهني كدق المطارق، وعلى مسافة ليست بالبعيدة على خط الجبل الوعر الذي يقوم كأنه حصن عجيب لا يمكن إنتهاكه، كان هذا الخط يقول لي بلغته الصامتة، إن البقاء على سفحه

معناه الهزيمة، وليست السيطرة ويجب الإسراع بالصعود وإنه من العبث أيضا انتظار الأوامر والتصريحات من طرابلس، وفي مثل هذه الحالات يجب أن يبث في الأمر من مكان المعركة، وهذه الحكمة القديمة يمكن تطبيقها في الحروب الإستعمارية بوجه خاص[1].

معركة الجوش:

هذه المعركة كانت مباشرة بعد معركة وادى الوخيم وقد ذكرها الأستاذ خليفة التليسى قائلا: "بعد معركة الوادي الوخيم التي جرت في يوم 12 يونيو 1922م (كان الأستاذ التليسي قد ذكر التاريخ خطأ حيث قال انه يوم 30 يونيو) اضطر الجنرال غراتسياني إلى تأجيل الزحف على الجوش بسبب المصاعب الكبيرة التي تعرضت لها حشوده من جراء المعركة المذكورة، ولم يتحرك نحو الجوش إلا بعد أن وصله المزيد من الدعم، وبعد أن تحسنت الأجوال الجوية بما ساعده على إستغلال الطيران إلى أبعد مدى ممكن، (يقول غراتسياني كان عليّ أن أختار بين طريقين، إما أن أنقض مباشرة في إتجاه الوخيم حيث كان الخصم ينتظرنا في مواقع محصّنة مجهّزة تسيطر على مداخل جادو عن طريق شكشوك وطريق الجوش، وإما أن أتجه مباشرة إلى الجوش عن طريق العين الجديدة، وقد اخترت الحل الثاني الذي يسمح لي بالمبادرة في الحركة

(1) نفس المصدر – غراتسيانى وكتابه نحو فزان،،

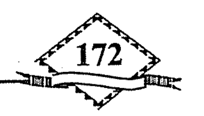
ويرغم الخصم على تغيير مواقعة)، وهكذا نشبت معركة الجوش وهي من المعارك الهامة التي دارت في هذه المنطقة دفاعا عن الجبل الغربي، وبدأت المعركة عند الساعة الثامنة والنصف من يوم 12 يونيو 1922م عندما قامت مجموعة من المجاهدين بمهاجمة قوات الجنرال غراتسياني، وقد أخذت قوات المجاهدين تتزايد بذلك العدد الذي تحوّل من الوادي الوخيم إلى المواقع الجديدة، وكانت محلات المجاهدين مؤلفة في أغلبها من الزنتان والرجبان والصيعان والحرابه وغيرهم، ويقول الجنرال غراتسياني "إنهم أقوام محاربون زادت من جرأتهم الإنتصارات التي حققوها ضدنا سنة 1915م"، ودارت المعركة عنيفة مريرة طوال اليوم حول العين الجديدة مما دفع غراتسياني إلى أن يستخدم الطيران على نطاق واسع وإلقاء القنابل على صفوف المجاهدين، الشئ الذي حول المعركة في النهاية إلى صالحه، واستطاع أن يظفر بالسيطرة على العين الجديدة التي تشكل مصدرا هاما للمياه، ويعترف غراتسيانى بأن قواته قد تعرضت إلى خسائر فادحة في صفوف الضباط والجنود[1]، ويأتي السيد القشاط بكل تطاول وخيلاء وتزوير ليذكر معركة الجوش على نحو يخالف كل ما كتب أو قيل عنها، وهذه روايته[2] : "في الوقت الذي بدأت النجدات تصل قرسياني في سواني الكردي أشيع في المجاهدين أن الطليان يزحفون إلى الجبل من جهة

---

(1) معجم معارك الجهاد فى ليبيا، خليفه التليسي

(2) معارك الدفاع عن الجبل الغربى، محمد القشاط

(البيضاء والدجاني) وهما منطقتان في سهل الجفارة من أملاك الرجبان والزنتان، وقد فعلت هذه الإشاعة فعلها في صفوف المجاهدين، فلقد ترك المنطقة مجموعات كبيرة من الزنتان والرجبان وعادوا إلى قراهم في الجبل، كما أن فراغ التموين من المجاهدين أيضا سبب في ذهاب أكثرهم إلى منتجعاتهم لجلب دقيق التموين، وهكذا بعد معركة الوخيم لم يبق من الزنتان والرجبان إلا مجموعة رمزية قليلة، أما الصيعان فمن المعلوم أن أكثر من نصفهم يقاتل في بئر الغنم تحت قيادة علي كلّه وعون سوف !! وفي يوم 12 يونيو زحف الطليان نحو الجوش، وقد كان المجاهد محمد العريض من الصيعان كل ليله بجانب العدو يترصد حركاته ويخبر المجاهدين، وفي تلك الليلة رجع للمجاهدين وأخبرهم أن الطليان تحرك ولا يعلم جهته فلقد ترك إبله محملة وخيوله مسرجة، كما نقل إثنين من فرسان الزنتان نفس الخبر، وفي الصباح صعد الطليان على جهة (حسي بركه) و(عين الجديدة) وتلقاه الصيعان والحرابة وبعض الزنتان والرجبان، وكانت خيول المجاهدين تنفر من الطيارات لأنها لم تتعود عليها قط، وكان الجواد يفر بفارسه عند سماع أزيز الطيارات، ذلك الطيران الذي استخدمه قرسيانى بكثافة ولو أن قنابله غير مؤثرة إلا أن مجرد ظهوره في سماء المعركة تنفر منه خيول المجاهدين مبتعدة عن المعركة بغير إنتظام وغير اتجاه، وقد كانت قوة المجاهدين لا تزيد عن (300) ثلاثمائة ما بين فرسان وبيادة تقاتل جيش قرسياني اللجب"، ويضيف القشاط "وهكذا يعترف العدو بخسائره



الفادحة بالرغم من لجوئه دائما لإخفاء خسائره، أما المجاهدون فقد استشهد منهم نفر قليلون، محمد بن عبدالواحد من الزنتان كما جرح من الزنتان أحمد العرعود وعلى بن حمد، وانتقلت الزنتان والرجبان إلى الجبل، ورحل الصيعان بعائلاتهم وإبلهم وأغنامهم من الحميده بإتجاه الشياب على قسمين كبيرين"! انتهى كلام القشاط.!!

أمر هذا الرجل غريب عجيب فهو حتى في عملية التزوير هذه لم يوفّق فقد ذكر لنا أن قلّة من الزنتان والرجبان شاركوا في المعركة بينما تحمل العبء فيها الصيعان والحرابه، ولكن عندما انتهت المعركة أتضح أن الذين استشهدوا هم فقط من الزنتان وقد ذكر اسم شهيد من الزنتان ولا أحد آخر، أي أنه لم يجرح أو يستشهد أحد من الصيعان أو الحرابه وهم كما قال الأغلبية في المعركة !! هذا أولا، ثم قال أن الخيول كانت تنفر من الطيارات، وكان حرى به إمعانا في التزوير أن يقول أن خيول الزنتان والرجبان هي التي كانت تنفر من الطائرات أما خيول الصيعان فلا، لأن الصيعان لم يهربوا من ميدان المعركة، وربما أيضا لا يقتلهم الرصاص إذ كيف يستقيم الأمر إذا كانوا هم الأغلبية وهم الذين يقاتلون ولا يجرح أو يستشهد منهم أحد (ونحن لا نقلل من جهاد أخوتنا الصيعان أبدا بل إننا نشهد لهم بدورهم الكبير في الجهاد الوطني لكن محاولات التزوير التي يقوم بها القشاط تجعلنا مضطرين للرد عليه)، ولقد نقلنا كلامات القشاط كما هي ولم نضف عليها إلا بعض علامات التعجّب في الآخر، ونعلم أن الصيعان

أنفسهم يدركون أنه يزوّر التاريخ ولا يسعدهم ذلك بل في الواقع هو يسيء إليهم فيما نعتقد فمثلا نجده يقول عندما كان يتحدث عن معركة الجوش ما يلي: "لقد ترك المنطقة مجموعات كبيرة من الزنتان والرجبان وعادوا إلى قراهم في الجبل، كما أن فراغ التموين من المجاهدين أيضا سبب في ذهاب أكثرهم إلى منتجعاتهم لجلب دقيق التموين، وهكذا بعد معركة الوخيم لم يبق من الزنتان والرجبان إلا مجموعة رمزية، أما الصيعان فمن المعلوم أن أكثر من نصفهم يقاتل في بئر الغنم تحت قيادة علي كلّه وعون سوف"، ولأنه أراد أن يقول للقارئ الكريم أن الأغلبية من الصيعان فقد قال أنه عندما انتهت المعركة عاد أولئك القلّة من الزنتان والرجبان إلى قراهم بينما انقسم الصيعان إلى قسمين كبيرين، نلاحظ هنا كلمة كبيرين(!!) ثم لاحظوا معي أن الصيعان جعلهم القشاط في هذه المعركة تحت قيادة (علي كلّه) ومتى؟ لقد كانت المعركة في 12 يونيو 1922م وفي هذا الوقت لم يكن علي كلّه في ليبيا على الاطلاق ناهيك عن قيادة المعارك، لم يكن في البلاد بحسب ما أورده القشاط نفسه في كتاب لاحق بعنوان (من قيادات الجهاد، علي كلّه والمبروك الغدي) وهذا نص ما ذكره حرفيا في كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، علي كلّه والمبروك الغدي) - الصفحات 272- 273، بعد أن جعل علي كله يعود من الشام عن طريق الإسكندرية على (حمار) من أجل الجهاد في ليبيا وقد قضى ثلاثة أشهر وعشرة أيام في الطريق قبل أن يصل، وعندما وصل وجد الحالة غير الحاله فأتجه رأسا إلى الحدود التونسية الخ، وقال "استمر

أسبوعا كاملا على ظهر ذلك الجمل إلى أن وصل إلى أولاد (دباب) أكرموه وغيروا له ملابسه بملابس تونسية وأرسلوه إلى حيث تقيم أسرته في (قصر الجم) تلك الأسرة التي تركها منذ صيف 1913م وجاءها بعد أربعة عشرة سنة ووجد إبنه أبا القاسم الذي تركه صغيرا شابا يافعا وأقام مع أقربائه قرابة السنة ثم قرر التسلل عبر الحدود التي يعرفها وتعرف معاركه وصولاته وجولاته راجعا إلى ليبيا حيث ترك زوجته الأخرى مع أهلها في سهل الجفارة، وصل ليلا إلى مخيم أهله وأقربائه دون أن يسلّم أو يخبر أحدا بوصوله، اختطف زوجته وأردفها على الجمل وراءه ولم تلح تباليج الفجر حتى كان وراء الحدود التونسية، وسمع بزيارة موسوليني وهو الرجل السياسي الذي يتابع أخبار بلاده كما سمع بصدور العفو العام، وعاد إلى سهل الجفارة سنة 1938م" - انتهى

هذا الذي قال عنه أنه قاد الصيعان في سنة 1922م كان قد غادر البلاد صيف سنة 1913م وغاب في الشام سبع سنوات ولم يعد إلا عندما سمع بصلح سواني بن آدم سنة 1919م وتسلل عبر الحدود التونسية ليبقى حوالي سنة هناك، ثم يتسلل مرة أخرى ليخطف زوجته من سهل الجفارة دون أن يسلّم أو يبلغ أحد ويهرب بها إلى داخل الحدود التونسية مرة أخرى ولا يعود إلا بعد أن سمع بالعفو العام الايطالي سنة 1938م، ترى كيف يستقيم الأمر في هكذا حالة؟ ومتى بقى هذا الرجل في ليبيا ثم كيف قاد الصيعان سنة 1922م !! أليس هذا تزويرا فاضحا وإساءة للرجل وللصيعان أنفسهم؟ أما الصولات والجولات التي

يوردها القشاط فهي مثل كلامه!! ثم أنه في حين كان غراتسياني يقول أن قوة المجاهدين كانت في حدود (2500 بندقية) يرفض القشاط هذا الكلام ويقول أنهم ثلاثمائة فقط، فطالما أن الأغلبية من الصيعان فلا يجوز في اعتقاده أن يكون المجاهدون بذلك العدد الذي ذكره القائد الايطالي الذي كان يقود المعركة معهم !! وإذا كانت كل المصادر التاريخية بما فيها روايات المجاهدين الذين اشتركوا في المعركة قد ذكروا معلومات لا ترضي السيد القشاط فهي جميعا كاذبة، أو ربما يكون غراتسياني معاديا للصيعان بشكل خاص ولذلك لم يشأ أن يذكرهم كيفما أراد القشاط الذي جاء بعد احدى وستون سنة من وقوع تلك المعركة ليحدد من كان فيها ومن لم يكن! وعلى كل حال فلا يسعنا إلا أن نقول أن السيد القشاط ربما كان حاضرا في المعركة وأحصى عدد المجاهدين بينما كان الجنرال الايطالي يدّس رأسه في التراب خوفا من الرصاص ولم يستطع التدقيق في العدد !

معركة السلامات:

بعد معركتي وادي الوخيم والجوش وقد تكبّد المجاهدون فيهما خسائر كبيرة بسبب التفوق الذي كان عليه الإيطاليون في الجنود والسلاح والمعدات، وبسبب عنصر آخر هام دخل الحرب لأول مرة وهو الطائرات الحربية، فقد عمل المجاهدون وهم يعرفون أن القوات الإيطالية في إتجاهها لإحتلال الجبل، عملوا على إعادة تنظيم أنفسهم وقرروا خوض معركة ربما تكون فاصلة ضد

القوات الإيطالية قبل أن تتمكن من الصعود على الجبل، ولذلك اختاروا المكان المناسب لتلك المعركة وهو (السلامات) وكان غراتسياني قد اتخذ نفس القرار لأنه يعرف الأهمية الاستراتيجية لتلك المنطقة، ويحدثنا الأستاذ خليفة التليسي عن معركة السلامات فيقول[1]: "عمل المجاهدون على إعادة تنظيم أنفسهم بعد معركتي الوخيم والجوش وتحوّلوا في حركة سريعة فجر يوم 18 يونيو 1922م نحو السلامات للسيطرة على هذا المنفذ الهام، وكان العدو قد احتاط لهذه الحركة فبادر إلى توجيه قوة غير نظامية إلى السلامات للسيطرة على هذا المنفذ الجبلي الهام، وتأمين زحف القوة الإيطالية إلى الجبل، وقد رابطت هذه القوة في السلامات يوم 15 يونيو 1922م وفوجئت يوم 18 يونيو 1922م بالمجاهدين يشنون عليها هجوما عنيفا دارت على إثره معركة حامية استمرت حتى ساعة متأخرة من المساء تكبّد فيها الطرفان خسائر كبيرة، وتعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة التي جرت في هذه المنطقة، وقد ساهم في تقرير نهاية المعركة لصالح الإيطاليين العدد والعدة والظروف التي استنفذت قوى المجاهدين في المعارك السابقة"، ويقول الجنرال غراتسياني عن معركة السلامات : " في صباح يوم 17 كنا نصعد الجبل الطرابلسي للمرة الأولى منذ سنة 1915م عن طريق ممر السلامات بالرتل الذي كان يتألف من الكتيبة الأريتيرية الرابعة والكتيبة الليبية الأولى وجماعات الخياله (السباهيس) وقسم من مدفعية البطارية الثانية

(1) كتاب معجم معارك الجهاد فى ليبيا – خليفه التليسى.

بعد أن تركنا في واحة الجوش الكتيبة الليبية السادسة لحماية القاعدة"، ويضيف "على أن محلات الثوار التي كان قد تم تشكيلها من جديد على وجه السرعة في جادو بعد تشتيت شملها في الجوش والتي قد اندفعت في زحف سريع نحو السلامات لحصار هذا المضيق الذي وجدته محتلا، قامت في فجر يوم 18 يونيو بهجوم عنيف على مواقعنا واستمرت المعركة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر وانتهت بانكسار العدو وتشتيت شمله، وبدأ الرائد (تراكيا) دون تأخير في تعّقب العدو طوال الليل، وفي صباح يوم 19 من يونيو احتل بلدة جادو وهنا أيضا رفع رايتنا فوق قلعتها القديمة (...) لقد كان إعادة إحتلال هذا المركز ومركز (كاباو) قد نتج عنه نزوح جميع أهالي الزنتان والرجبان إلى القبلة فضلا عن بعض جماعات أخرى كما أدى إلى تسليم واستسلام جميع الأهالي العرب في الجبل من جادو إلى نالوت"[1] – انتهى

ولا يكتفي القشاط أنه بطبيعة الحال وسلوكه في الكتابه، يريد أن يؤكد أن الإيطاليين لولا الصيعان ما كانوا يحتاجون إلى استعمال (ربما) أي سلاح لإحتلال الجبل لأن الزنتان والرجبان هربوا منه تاركين العدو يتقدم بدون قتال، ولذا فقد تحدث عن معركة السلامات قائلا : "18 يونيو 1922م وصل إلى الجوش محمد بن محمد السلامي قادما من السلامات وطالبا من الطليان الزحف نحو السلامات للاستيلاء عليها إذ أن المجاهدين اجتازوها نحو

(1) نفس المصدر، كتاب نحو فزان – غراتسيانى.

الجبل، فلقد نزل المدير نصر بمن معه بالشباب استعدادا للعودة إلى الجوش مستسلما، ونزل المبروك الغدي وألطيف الخطاب بمن معهما بوادي السدر بظاهر الرحيبات استعدادا للاتجاه شرقا للحاق بالمجاهدين في بئر الغنم، كما وصل الزنتان والرجبان إلى بلدانهم تاركين العدو وراءهم يتقدم بدون قتال، وصعد خربيش إلى السلامات واحتلها بسهولة ولكنه ما أن استقر بها حتى هاجمته قوات المجاهدين بضراوة من الصيعان والزنتان والرجبان واستمرت المعركة يوما كاملا، وعند المساء تراجع المجاهدون فقلد أصبحت القوات القادمة من الجبل عن طريق نالوت وكاباو نحو الرحيبات والحرابة تهدد الصيعان من الخلف كما كانت القوات القادمة من بئر الغنم صارت تهدد الزنتان والرجبان من الخلف، وهنا انسحب المجاهدون"، ويضيف :" وقدم في اليوم الثاني المدير نصر بن الحاج وضو الرقيق والمبروك الختروشي إلى يوسف خربيش متفقين معه على إلقاء سلاحهم وقد اتفق معهم على ذلك في قرية (القنافيد) وهنا رجع النجع الذي يقوده نصر إلى الجوش من الشياب وأغلبه من أولاد سلام والهمائله، أما النجع الآخر الذي يتقدمه المبروك الغدي وألطيف الخطاب وهو الذي نزل بظاهر الرحيبات فقد تقدم نحو الشرق بإتجاه الرجبان والزنتان، وما أن وصلوا إلى هناك حتى وجدوا الزنتان والرجبان وقد حملت إبلهم راحلين إلى الحمادة الحمراء وعرضوا على الصيعان أن يرافقوهم إلى هناك ولكن الصيعان بينوا لهم أنهم سيواصلون السير شرقا حتى يلتحقوا بالمجاهدين مع الشيخ

سوف المحمودى بيفرن، ويقول عون سوف في مذكراته[1] ثم خرجت قوة من ناحية الجوش في إتجاه الزنتان والرجبان فتوجهت وبرفقتي أحمد عبدالمجيد المصري وقسم من العسكرية ومدفع وبعض الرشاشات للاشتراك مع الزنتان والرجبان لصد العدو الزاحف من الجوش وعندما وصلت الزنتان وجدت الحالة لا تسمح بالتصدي للعدو لذلك قررت القبائل المذكورة آنفا الرحيل إلى مزده، وفعلا تم الرحيل لإبعاد العائلات عن طريق العدو، وهكذا تم خروج الزنتان والرجبان من الحرب كاد يكون نهائيا بعد معركة السلامات ولم يشتركوا في الحرب ضد الطليان إلا بعد سقوط الجبل وترهونة ومصراتة وبنى وليد، وبدأ العدو في التوغل داخل الحمادة الحمراء بعد ذلك بأكثر من عامين، حيث خاضوا معارك بطولية في القبلة وفزان"، انتهى كلام القشاط..

لا أريد التعليق على كلام القشاط هذا لأنني فندّته في كتابي (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي) إلا أنني أعيد إلى ذاكرة القارئ الكريم فقرة مما أورده الجنرال غراتسياني : " بعد احتلال الجبل ثم نزوح جميع أهالي الزنتان والرجبان إلى القبلة فضلا عن بعض جماعات أخرى، كما أدى لتسليم الأسلحة وإستسلام جميع أهالي الجبل العرب من جادو إلى نالوت" .

(1) الكلام عن مذكرات عون سوف اثبت مركز جهاد الليبيين علميا أنه تزوير متعمد من طرف القشاط، وقد نشرتها فى كتابي (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربى) وقلت :القشاط ينسب الى الأموات فقط لأنهم لا يتكلمون !!

هذا يعني أن الذين اتجهوا إلى القبلة رفضوا الإستسلام مفضّلين صعاب الصحراء على خبز الإيطاليين وهوانهم، أما الذين بقوا فقد استسلموا جميعا، ولا يستحق كلام القشاط بعد هذا أي تعقيب أو تكذيب لأن الأحداث والكتابات الرزينة والوثائق تكذبه.

معركة الطابونية :

بعد فترة معارك الإستعادة أو الإسترداد التي أرادها غراتسياني حربا شاملة على الليبيين في كل مكان من البلاد، بعد معارك وادي الوخيم والجوش والسلامات التي تمكن على إثرها الإيطاليون من الصعود إلى الجبل الغربي وأجبروا تبعا لذلك تجمعات المجاهدين من ترك قراهم ومناطقهم في الجبل حيث اتجهوا إلى الجنوب، إلى الصحراء بديلة من منطقة مزده، حدثت معركة الطابونية والتي يمكن أن تسمى معركة المطاردة التي كان يقوم بها الجيش الايطالي بجنوده الإيطاليين والأريتيريين والليبيين وكانت من الجانب الآخر معركة الدفاع عن النفس، أي من جانب المجاهدين، وإذ كانت قبيلة الزنتان قد أسهمت بقدر واف ومشرف في حروب الدفاع عن البلاد منذ بداية الغزوة الهمجية الإيطالية فقد تميزت بدور خاص في حروب القبلة والجنوب، وهو ربما ليس تفرّدا بقدر ما هو دور أولئك الذين خبروا الصحراء وقدروا على مواجهة شظف العيش فيها وتكيّفوا مع ما يكتنف تلك الحياة من صعاب ومخاطر، وبالتالي وقع عليهم الدور الأكبر في الدفاع عنها أو أيضا ربما فرض

عليهم النصيب الأكبر من عنت الغازي الأجنبي وطغيانه، ونجد الأستاذ التليسي يصف تلك المعركة قائلا : " تدخل هذه المعركة في نطاق الحملة العسكرية التي شنّها الإيطاليون على المجاهدين من قبائل الزنتان الذين عرفوا بصمودهم ومقاومتهم العنيدة للاحتلال الايطالي وسيطرتهم على هذه المنطقة سيطرة تامة، الأمر الذي دفع بالإيطاليين إلى الإعداد لحملة مكونّة من الجيش الايطالي والقوات غير النظامية بقيادة الميجور(غالياني) الذي زحف يوم 1 مارس 1924م من جادو نحو بئر مرهان[1] ووادي الخيل واشتبك هناك في معركة مع قبائل الزنتان المرابطة عند بئر النصرة والطابونية في 9 مارس 1924م وقد استطاعت القوة الإيطالية أن تتغلب في البداية لكن هذه القبائل لم تلبث أن عادت في المساء بقوة أكبر وشنت هجوما عنيفا على العدو، واستمرت المعركة دائرة الرحى حتى ساعة متأخرة من المساء وتعترف المصادر الإيطالية بعنف المعركة، وتقول تلك المصادر أنه قد سقط من المجاهدين في هذه المعركة حوالي تسعين شهيدا كما استولى الإيطاليون على عشرة آلاف رأس من الماشية، وقتل في هذه المعركة (أحمد العياط) الذي كان مواليا للإيطاليين، وتحول المجاهدون الزنتان عقب هذه المعركة إلى ودى الخيل حيث نشبت هناك معركة جديدة وصف الجنرال غراتسياني هذه المعركة بأنها كانت مريرة"[2]

(1) البئر اسمة الحقيقى (بئر المرحان) وليس المرهان، والمرحان قبيلة من الزنتان .

(2) معجم معارك الجهاد فى ليبيا – التليسى

ويتحدث عن معركتي الطابونية والتي تعرف باسم معركة العميان[1] ومعركة ودى الخيل المؤرخ العسكري الايطالي أ. بيلاردينيللي فيقول: "بسبب قلّة الماء اضطر الفيلق أن يتوقف بوادي الخيل وفي صبيحة اليوم التالي تعرض لهجوم مفاجئ شنته عليه محلة قوامها 900 بقيادة ذلك المعلم الرهيب في فنون المكر والخديعة سالم بن عبدالنبي الناكوع الزنتاني، عندما كان سالم هذا متربصا في الطابونية في إنتظار الفيلق أبلغه شيخ من الزنتان (كان قد هرب من الأسر وتمكن من الفرار) بمواقع مختلف وحدات الفيلق الذي يقوده (غالياني) فغادر الطابونية على الفور وحلّ بودى الخيل في ساعة متأخرة من الليل، غنم فرصة زوبعة القبلى الهوجاء التي كانت تجتاح المنطقة ليتسلل في صمت مطبق ويضرب حصارا حول معسكرنا وما أن طلع الفجر (الساعة 4) حتى بادر بإطلاق النار، وكانت نيران مكثفة، أنقض بعدها على المعسكر ليداهمه بأقصى العنف حتى تغلغل إلى داخله، إلا أن قواتنا سرعان ما تمكنت من تدارك الموقف فقاومت الهجوم ببسالة وحزم وتحولت إلى شن هجوم مضاد خاطف أسفر عن دحر شراذم سالم بن عبد النبي وملاحقتها حتى الملاحات، وفي الإشتباكات المتفرقة فقد الزنتان فضلا عن الخسائر الجسيمة في الأرواح كميات كبيرة من المؤن والعتاد وأعدادا كبيرة من الماشية، وبعد أن كلل مهمته بهذا الإنتصار الباهر عاد (غالياني) مع عصابات خربيش وجلبان إلى جادو عن طريق بئر تلاكشين، أما مشاشي محمد

(1) يراجع كتابي المعنون (معركة العميان واحدة من معجزات الجهاد الوطني الليبي).

بن حسن فتمركزوا في فساطو بقوة، وعاد أولاد بوسيف إلى مناطق ترحالهم المعتادة، وبهذه العملية الموفقة حقق الجنرال غراتسياني الغرضين اللذين يستهدف تحقيقهما؛ الغرض الأول عسكري، وهو تسديد ضربة قاضية أخرى لرجال الزنتان الذين أصبحوا في وضع سوف لن يمكنهم من عرقلة إحتلالنا لغدامس.. والغرض الثاني سياسي، وهو ترسيخ الحزازات والخلافات القديمة التي ظلت تفصل الزنتان عن المشاشى وعن بربر الجبل والريايته والأصابعه، وبدافع من حرصه على تحقيق هذا الهدف الثاني بالذات، فضلا عن ضرورة مواجهة متطلبات ضمان التموين والإمداد، شكل فيلق غلياني أساسا من عناصر من الجنود غير النظاميين الذين برهنوا بهذه المناسبة على مدى تضامنهم وتلاحمهم ليمحوا صفحة عار (خيانة قصر أبي هادي) من خلال ما أظهروه من شجاعة خارقة"- انتهى

لقد أراد بيلاردينيللي بالإشارة إلى الجنود غير النظاميين الملحقين بالقوات الإيطالية ومنهم كما قال (الريايته) بمعنى أن التعبير يشمل كل الريايته وهذا غير صحيح لأن في الريايته رجال قبيلتي (أولاد عبدالعزيز واللعائبيه) مجاهدون كان لهم شرف القتال ضد العدو الغازي مثلهم مثل بقية الليبيين المجاهدين، ويجد القارئ الكريم أسماء أولاد عبدالعزيز الذين استشهدوا في مختلف ساحات الفداء ضمن وثائق هذا الكتاب، وعن معركة الطابونية يقول بيلاردينيللي: "كان للانتصار الذي حققته وحداتنا أعظم الأثر في كافة أرجاء القبلة وخارجها،

ولمس العصاة بأنفسهم الدليل المادي على أنهم سوف لن ينعموا بالراحة والسكينة حتى في الحماده حيث أن قبضة الحكومة بإستطاعتها الوصول إليهم وضربهم في مخابئ كانت حتى وقت قريب منيعة لا تدركها الضربة الرادعة، ولأول مرة يقول الجنرال غراتسياني في كتابه، أصبحت قوة سلاحنا تشعر بثقلها وخطورتها في قلب الحمادة حتى أن نساء الزنتان ما لبثن أن تغنين بلحن مفعم بالجزن والأسى مصدره استخفافهن بصفات (المجندين الوطنيين مع الطليان) وحقدهن عليهم، ويقول:أخذ الكثير من من الخارجين عن طاعة الحكومة طريق الغرب ليلجاؤوا إلى الجزائر، وغيرهم عادوا إلى أوطانهم الأصلية عن طريق غدامس – نالوت وسلموا الجزء الأكبر من أسلحتهم، إلا أن الزنتان رغم الأضرار الكبيرة والجسيمة التي لحقت بهم من جراء الانتصار الباهر الذي أحرزه العقيد غالياني ضدهم، تجمعوا من جديد حول الطابونية حيث تمكنوا بعد زوال الهلع من روعهم من إعادة تكوين محلاتهم وأظهروا رغبة جامحة في إستئناف غاراتهم وغزواتهم، إلا أن تقدم فصل الصيف وقيظه وندرة الأمطار وقلّة الآبار على خط مزده القريات، وغموض موقف أولاد بوسيف بعد مصرع أحمد العياط، كلها أمور دفعت قيادتنا إلى العدول عن القيام بالزحف على الطابونية، وتقرر إعادة الزحف على مزده، وبدأ أنه آن الآوان لإعادة إحتلال مزده بصورة نهائية وبواسطة القوات غير النظامية، فأرسلت فعلا إلى هناك أول تشكيلة من المجندين الوطنيين بقيادة رئيس العرفاء (مورو) وهو من الشرطة الوطنية

الإيطالية ثم ألحقت به يوم 10 السرية الصحراوية المركزية بقيادة النقيب (بياتي) لاستكمال قدرتها على الدفاع، وفي يوم 11 مايو أصدرت قيادة القوات أمرا بقيام طائراتنا بغارات قوية على مراكز العصاة في الطابونية البعيدة وقصفها بعنف حتى يشعر العصاة هناك بقدرتنا على الوصول إليهم أينما وجدوا وبكل الوسائل، ويقول: الحملة على الطابونية (مارس 1924م)، عندما أصبح من الضروري تسديد ضربة قاسية للزنتان كونت قوة من المجندين غير النظاميين (عرب وبربر، كان القادة فيها خربيش وجلبان وبن حسن والعياط) واختير لهذه الحملة التأديبية التي كانت أيضا بمثابة استعراض لعضلاتنا في القبلة الرائد (إيتوري غالياني) قائد قطاع يفرن الذي كان استعماريا عريقا وضليعا بشؤون تلك الأراضي وناسها وبالوضع ككل، كانت تلك القوات المتألفة من 900 رجل من المشاة و 170 فارسا ومفرزة مدفعية محمولة على الإبل قد تحركت من جادو في أول مارس، في يوم 4 وصلت بئر المرحان لتنضم إلى مقاتلي أحمد العياط القادمين من مزده حيث استطاع تكوين محلة قوامها 300 رجل من ثلاث قبائل، وفي اليوم التالي مضت في طريقها صوب وادي الخيل، حيث أدركتها محلة أخرى بقيادة محمد بن الحاج حسن قوامها 50 مسلحا، بعد ضم هذه القوات في فيلق واحد استأنف الرائد غالياني مسيرته في 7 مارس عبر الحمادة حيث تبين أنه كانت هناك محلات عبارة عن مخيمات كثيرة للزنتان المتمردين، وفي يوم 9 وفي الجنوب من طريق بئر الناصرة – الطابونية تقابل مع

طلائع مقاتلي الزنتان عندما كانوا يتأهبون للانسحاب فداهمهم وحطم عددا من خيمهم واستولى على ماشيتهم وفي ظهيرة ذات اليوم أدرك محلات ضخمة للعدو فشن عليها هجوما بالغ العنف تلته معركة تواصلت حتى الغروب وانتهت بانتصار قواتنا انتصارا باهرا، إلا أن ذلك اليوم المشهود قد عكّر صفوه مصرع احمد العياط الوفي".

وتحدث الجنرال غراتسياني بمرارة عن تلك المعركة، فبعد أن عدد المزايا والقدرات التي يجب أن تتوفر في القائد الذي يختار لمثل ذلك العمل الكبير، يقول أنها جميعا توفرت للصاغ غلياني قائد قطاع يفرن الذي وقع عليه الإختيار ليقود عملية الطابونية أو عملية المطاردة (ومما لا شك فيه أنه لا يعني بشكل محدد ذلك الصاغ وإنما أراد أن يتحدث رمزيا عن نفسه لأنه هو القائد الرسمي والفعلي للعمليات الحربية التي عرفت باسم الاسترداد أو الاستعادة) فنراه يقول[1] إن القائد الإستعماري لا يفاجأ بهذه القيادة ولكنه يتكون ببطء في مدرسة الصعوبات وينشأ على المسؤوليات التي يفرضها العمل الإستعماري، إن الواجب صعب دائما، وقد يصبح أكثر صعوبة ومشقة عندما يجب على المرء العمل في أراض صحراوية، حيث تصبح غلطة واحدة في التنظيم أو أي عدم تبصّر من أي نوع مدعاة للوقوع في خطر لا يمكن معالجته لذلك كانت

(1) كتاب نحو فزان، تاليف رودولفو غراتسياني، ترجمة طه فوزي .

الأخلاق يجب أن ترتفع على جميع المواهب الأخرى، إذ يجب السيطرة على التعب الجسماني والأوهام الزائدة والخوف من تحمل المسؤولية المرهقة، ويجب أن يضع القائد نصب عينيه أنه لم تسند إليه حماية الجهاز الحربي وحده، بل قبل كل شئ حماية هيبة الوطن البعيد التي تمثلها وترمز إليها بشكل محسوس الراية الوطنية، وهكذا تصبح المستعمرة منبعا للتمرن على خير الفضائل والخصال العسكرية الحميدة، التي يجب على كل رئيس أن يحرزها، والتي سوف تكون في كل مسرح حربي ضمانا لعمله في القيادة ويكون الحال هكذا بالنسبة لمن تربوا وتعلموا في مدرسة أفريقيا، فقد ولد في كل الأمم رؤساء عسكريون من الطراز الأول وقدموا في ميادين الحرب الأوربية أدلّة عظيمة على الخلق والجدارة، ولقد كان الإشراف على سير العمليات في (حماده) عملا من الأعمال التي تتطلب إستعدادا خاصا في تنظيم العمليات أو تنفيذها، ولقد تم تطبيق نظرية (فرق تسد) تطبيقا تاما وعلى أحسن الوجوه، تلك النظرية التي كانت بسبب ظروف المكان والزمان والعمل عظيمة لذلك أتبعناها، كانت هذه العملية جديرة بأن يجرى التفكير فيها لأنها مليئة بتعليمات ذات طبائع مختلفة"، ثم يضيف: "كان الرتل تبلغ قوته 1000 بندقية بين مشاة وفرسان ويضم قسما من المدفعية المحمولة على الجمال، وقد تحرك من جادو في 4 مارس لينضم إلى

جماعات المجندين في وادي الخيل على مسافة 100 كيلومترا من جادو، وفيه توقف حتى صباح يوم 8 ثم انتقل إلى الملاحة، وكان يلتقي باستمرار بوحدات من الثوار كان ينزل بها خسائر فادحة، وفي يوم 9 استأنف زحفه نحو الجنوب واستمر هذا الزحف 14 ساعة لكي يصل إلى معسكرات الثوار بين الطابونية والنصرة حيث التقى جماعات الزنتان ودخل معها في معارك حامية[1] ويضيف غراتسياني، وبعد أن أمضى الرتل ليلته في مكان العمليات وصل إلى (محلات الثوار) يوم 10 وإلى وادي الخيل يوم 11 وبقي فيها حتى يوم 16 وفي الصباح الباكر قامت محلة كبيرة من الزنتان يشد أزرها عناصر أخرى من الثوار بقيادة سالم بن عبدالنبي الطاعن في السن بمهاجمة معسكرنا بمنتهى الشدة، وتلت ذلك معركة عنيفة ولكن رجالنا تغلبوا على الخصم الذي ولى الأدبار إلى الطابونية"، وبعد معركة الطابونية انتقلت القوات الإيطالية إلى ودى الخيل الذي وصلته يوم 11 مارس 1922م وذلك لتأمين الحصول على المياه بعد معركة الطابونية وقد فوجئ العدو بهجوم شنه الزنتان الذين خاضوا ضده معركة الطابونية تلك التي سلبت فيها مواشيهم، وتقدر هذه الحملة بحوالي ستمائة مسلح استشهد ستون

(1) نلاحظ الخلاف والإختلاف فى المعلومات حول عدد الجنود بين ما ذكره بيلاردينيللي وغراتسيانى لأن الأول قال إنهم المجندين غير النظاميين وأنهم كانو 1250 بينما قال الثانى عكس ذلك، وليس غريبا هذا التخبط منهما !!

بعد أن كبدوا قوات العدو خسائر فادحة وعادوا إلى مواقعهم في الطابونية ولقد لجأت القوات الايطالية إلى استخدام الطائرات في رميهم بالقنابل كما قامت بإلقاء الغازات السامة في محاولة شريرة ودنيئة لإنهاء المقاومة التي رفع الزنتان لواءها في هذه المنطقة، وقامت الطائرات الإيطالية بعدة غارات على تجمعات المجاهدين في الطابونية يوم 15 يونيو 1924م[1]

معركة القريات الأولى أغسطس 1924 م :

هي واحدة من المعارك التي دارت على أرض قرية الشيخ سالم بن عبدالنبي (القرية الغربية) التي ولد فيها هذا الرجل العصامي المجاهد الصادق الذي كان مشاركا في كل معركة وقعت من أجل الوطن في المنطقة الغربية والجنوبية من ليبيا وعلى أرضها الطاهرة، ولم يكن في أي مكان دارت فيه أحاديث السياسة والمنافع أو الوظائف، كان دائما غطاءه السماء وفراشة الأرض الطيبة المعطاءة، وزاده ما تجود به هذه الأرض التي عشقها، ولم يغادرها طيلة حياته إلا عندما أجبر على الهجرة، وبعد أن استنفذ جميع سبل ووسائل الجهاد والمقاومة، وحتى عندما هاجر اختار العيش بعيدا عن المدن وأهلها وما فيها من ترف وصخب حيث عاش في منطقة (دوز) على أرض تونس يزرع ويحصد ليعيش كما كان دون أن يطلب مساعدة من أحد لقاء أي عمل قام به أو تضحية قدمها طوعا وعن

(1) معارك الجهاد فى ليبيا – التليسي

رضى خاطر، وعندما عاد إلى بلاده بعد أن انقشع عنها الضيق والظلم لم يطلب شيئا ولم يتحدث أو يتظلم بل عاش بقية أيام حياته هادئا في قريته إلى أن توفاه الله ودفن في تراب تلك القرية بلا مراسم ولا خطب أو ضجة، حدثت معركة القرية في أغسطس 1925م وكانت المعركة الأولى إذ حدثت بعدها معركة أخرى أعنف وأشد وأشرس، كانت قوات الجنرال غراتسياني قد شنت عمليات متابعة ومطاردة بعد أن سيطرت على مناطق الساحل وغرب ليبيا، ثم صعدت على جبل نفوسه بعد معارك وادي الوخيم والجوش والسلامات ويفرن وغريان ثم مزده والقريات الغربية والشرقية، وجرت في منتصف شهر أغسطس 1925م وقد صمد فيها المجاهدون رغم قوة وشراسة القوات المهاجمة وكثافة نيران الأسلحة المستخدمة بما فيها الطائرات الحربية التي كانت تقصف كل شئ يتحرك على الأرض مع عدم وجود أسلحة لدى المجاهدين يمكن أن تستعمل ضدها، وجرت معركة أخرى في القريات وكانت أيضا معركة عنيفة بين غاز يطارد أصحاب الأرض الذين رفضوا التسليم والإنصياع وظلوا يدافعون عن دينهم وأرضهم وكرامتهم وأسرهم وبين غاز متغطرس يستخدم جميع وسائل الحرق والقتل والتدمير والإرهاب على ناس وفي أرض كان يريدها خالية أو يعتقد أنها خالية من الناس الذين يمكن أن يدافعوا عنها وأن جنود إيطاليا سيقومون بنزهة فقط وليس حربا في أرضها، ولقد وردت أحداث هذه المعركة على النحو التالي :

بعد معركة أبوغره التي جرت يوم 12 يونيو 1928م تحول المجاهدون إلى القرية الشرقية وقد ظلت القوات الإيطالية تلاحقهم طوال الأيام التي تلت المعركة (11–12 – 13 – 14) من شهر يونيو وقامت يوم 15 يونيو1928م بشن هجمات على محلات المجاهدين في القرية الشرقية ونظرت القيادة الإيطالية إلى هذه المعارك نظرة خاصة تنبعث من حرصها على تدمير المقاومة في جنوبى طرابلس الغرب، وتأكيد سيادتها على القبلة، ولذا فقد عبأت لها كل جهودها وكل عنفها وحقدها، ومع ذلك فلم تستطع بعد هاتين المعركتين أن تطمئن إلى سيطرتها وإحتلالها وظلت تعتمد في مواصلاتها على إستخدام الطيران لتزويد حامياتها وقواعدها وربط الصلة بين قواتها النظامية وغير النظامية العاملة في المنطقة، ويقول الجنرال قراتسيانى أن مراحل الطريق ما تزال غير مضمونة وهي تشير بعدم المغامرة في الزج بمجموعات صغيرة من الجيش ولذا فقد أسندت مهمة النقل إلى الطيران، وقد أسقط المجاهدون طائرة إيطالية في منطقة بئر جعفر كان يقودها الكابتن (ماتزيني) وتقدم المصادر الإيطالية قائمة إستعراضية بساعات عمل الطيران التي بلغت 450 ساعة، عدد الإستطلاعات 140رحلة، عدد الغارات والقاء القنابل 35 غارة، وزن المواد المتفجرة 15000 كيلوغرام، عدد خراطيش الرشاشات 3500 خرطوشة، عدد رحلات نقل الجيوش 18رحلة، عدد الجنود والضباط الذين نقلوا جوا 220 فردا، وزن العتاد والمواد المنقولة جوا 2500 كيلوغراما، عدد الجرحى والمرضى الذين نقلوا جوا 28 فردا)

ويذكر قراتسياني أن هذه القائمة شهادة مبينـة تظهـر ضـخامة وضـع مـساهمة السلاح الجوى في التمكن من احتلال القرية الشرقية والاحتفاظ بها" انتهى

ونقول أن هذه الشهادة إنما تفضح حالتهم المعنويـة في مواجهـة المجاهـدين في قتال قرية واحدة، وهي كذلك تفـصح عـن دور الطيـران الايطـالي في مطـاردة مجموعة من المجاهدين لا تزيد على خمسمائة مجاهد، وهـي تفـصح أيـضا عـن مدى المقاومة التـي بـذلها هـؤلاء المجاهـدين بعـددهم المحـدود وسـلاحهم المتواضع البسيط، كما أنهـا تظهـر مقـدار الـضيق الـذي كانـت تعانيـه القـوات الإيطالية في مواجهة هذه المجموعة التـي كانـت تهـدد وجودهـا بـالخطر، فـإذا كانت كل القرى والمدن في ليبيا قد تعرضت للعدوان الايطالي الغاشم وقـصفت بالقنابل من الطائرات والمدفعية الثقيلة وعن الجنود المتعجرفين في هـذه القريـة قد تعرضت بشكل أكثر وبنوع خاص ومتعمد ربما لأن ألم هزيمـة (قـارة سـبها) كان يجري في دماء عروق القادة الإيطـاليين وبالتـالي اسـم سـالم بـن عبـد النبـي الناكوع لابد أنه يبعـث الرعـب في قلـوبهم إذ أنـه كـان المخطـط والقائـد لتلـك المعركة، والقريات الغربية والشرقية اسمهما يرتبطان باسم هذا الرجل الـذي لا ينسى.

***

رحيلي عنك عزّ علىّ جـــدا — وداعا أيها الوطـــن المفدى

وداع مفارق بالرغـم شــاءت — لـه الأقـدار نيـل العـيش كـدّا

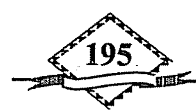
سأرحل عنـك يــا وطـــنى — وإنـــى لأعلـم إنـى جئـت إدّا

ولكنـىّ أطعـت إبـاء نفـسى — أبـت لمرادهـا في الكـون حـدّا

عـلى الـنفس إن عظمـت شـقاء — يلّـد لمـن إلى المجـد أسـتعدّا

شاعر الـوطن

رفيق المهدوي



الفصل السادس
المراوغة والإفلات

بعد أن استمرت العمليات العسكرية لفترة طويلة ما كان أحد يتوقعها بما في ذلك القوات الغازية التابعة لتلك الدولة الأوربية (إيطاليا) أصبحت أحوال المجاهدين صعبة جدا، فلقد تواصلت الحرب دون هوادة منذ بداية الغزو الايطالي سنة 1911م وإلى سنة 1930م ومع الحرب كانت المجاعات والجفاف وندرة الأقوات، اضافة إلى صعوبة الحصول على الذخائر والأسلحة، لأن الغزاة سيطروا على منافذ الإتصال والتجارة مع الخارج، فقد كانت هناك الحدود التونسية والحدود الجزائرية من الغرب، والحدود المصرية من الشرق، وكان المجاهدون يحصلون على بعض البضائع والذخائر والأسلحة بالتهريب عبر هذه الحدود، وكانوا يجدون العون والمساعدة من إخوانهم في هذه البلاد، ولكن الحدود سدّت والمنافذ أقفلت وصارت تحرسها قوات إيطالية ومتعاونون عرب ليلا نهارا، ولقد أضاف الجفاف واحتجاب المطر صعابا كثيرة، ولم يعد متيسرا الحصول على القوت للناس والحيوانات وكان إعتماد المجاهدين على حيواناتهم في العمل والعيش والتنقل والحرب، فما يكون عليه الحال عندما ينعدم الغذاء وتموت الحيوانات أو تعجز عن الخدمة؟

ولكل إنسان طاقة وقدرة وصبر وهذه محدودة، وكانت الصحراء هي ملاذ المجاهدين مع أسرهم وحيواناتهم ولكنها أجذبت وصاروا في ترحال دائم مرهق، وكان الشيخ سالم بن عبدالنبي يتنقل بين مكان وآخر مع أهله وذويه والمجاهدين الذين قادهم ويقودهم في المعارك، وهؤلاء جميعا كبيرهم وصغيرهم صاروا شبه فارين مطاردين من قبل القوات الإيطالية التي بدأت تحكم قبضتها على البلاد والعباد، وبعد معركة بئر علاق بفترة انتقل الشيخ المجاهد إلى مكان قصي (إلى الرمله) وبقي هناك سنة كاملة دون أن يكون على اتصال بأي إنسان أو مكان، ولم تعط الأرض شيئا وقد نفذ ما كان لدى هؤلاء الناس من زاد خلال تلك السنة، وكان عليه باعتباره مسؤولا عن حياة أسر بكاملها، رجالا وأطفال ونساء، كان عليه أن يقرر، وليس أصعب على الإنسان من أن يرى أطفاله يتضورون جوعا ويموتون أمام عينيه دون أن يفعل شيئا، وبعد مرور تلك السنة حدث أن اتصل بالشيخ أحمد الصيد أحد أقاربه ناصحا، وربما مبعوثا من قبل السلطات الإيطالية دون أن يكون هناك ترتيب أو اتفاق مع الشيخ سالم، قيل له أن البلاد أصبحت تحت السيطرة الإيطالية بكاملها، وقالوا له أن الإيطاليين قد أعطوا وعودا بالعفو والتعاون وإعمار البلاد، كان يعلم أنه لا وعد يمكن أن يبقى أو يثبت مهما نمّقت الكلمات، لأن إيطاليا عندما دخلت ليبيا كانت قد أعلنت أنها جاءت من أجل (تعمير وتحضير ليبيا) وكان التعمير بالقنابل القاتلة وغازات سامة خانقة حارقة، كما كان التحضير مطاردة

وتشريدا، ولكن ليس هناك من حيلة، فقد شحّت الموارد وفرغت البطون ولا زرع أو ضرع، فلقد جفّ كل شئ، وافق الشيخ سالم على ترك الرملة على أن يترك رفاقه وأسرهم يعودون إلى قراهم ومناطقهم، قالوا له أن مكافآت ووظائف تنتظر زعماء القوم، لكنه لا يعبأ بذلك فما أراد إلا أن يعود إلى القريات ليعيش هادئا هانئا، ولكن هل يمكن أن يكون هناك هدوء في ظل المستعمر خصوصا بالنسبة لأولئك الذين قاتلوا وما هدؤوا ورفضوا الإغراءات والإنصياع منذ البداية فما الذي يمكن أن يحدث بعد قرابة عشرين سنة من القتال؟

وفي أول لقاء مع الضابط الايطالي المكلف بالإتصال عن طريق ذلك القريب والذي يدعى (حمد الصيد) أحسّ الشيخ بأن وراء الأكمّة ما وراءها، ولكن لا بأس، المهم أن يعود الرفاق بسلام، قيل له إنك يمكن أن تعود إلى القريات أو إلى أوباري وسوف تبلّغ فيما بعد بما يجب أن يكون، ورغم كل شئ فإن المجاهد لا يسلّم سلاحه، وهذا ما يعرفه الشيخ سالم جيدا ولهذا فقد كان له سلاح في أكثر من مكان يظهره وقت الإحتياج، والإيطاليون يعرفون أن مثله إذا ترك حرا لابد أن يمثّل خطرا، وسوف يستقطب الناس من جديد وينظمهم ولابد أن يقاتل طال الزمن أو قصر، وحتى عندما عاد إلى القريات كان تحت المراقبة اليومية، ومع ذلك لم يتركوه أكثر من عدة أيام في قريته قبل أن يبلغوه بأن الوالي في طرابلس يريده هناك، وما كان بينه وبين ذلك الايطالي سابق معرفة أو تعامل فما الذي يريده منه؟ ولكن لا مفر من الذهاب، ذهب المجاهد الذي كان يقود

مقتادا! من الحرية إلى المعتقل وإن كان في مكتب بقرب مقر الوالي، الحاكم الايطالي الذي بدأ يضغط بقدمه على رقاب الليبيين، ذهب المجاهد برجليه إلى طرابلس، وبقي ينتظر لأن الوالي يريده! كان يجلس في مركز شرطة (أبي ستّه) ليلا ونهارا ينتظر وينظر إلى الداخل والخارج والواقف والجالس، إنه نوع من الإذلال، ولكن ما حيلته، هكذا قالوا إنها إرادة الوالي وليس لحد أن يعترض أو يناقش، نقلوه للقاء الوالي بعد فترة إنتظار أو قل سجن مؤقت، أخبره الحاكم الايطالي (الوالي) أن ملفه مليء بالأوراق وهي تحمل كل شئ، سالم بن عبدالنبي الناكوع من قبيلة الزنتان عائلة الغناني قاطع الطريق الإرهابي الخطير، العقل المدبّر لأغلب الغزوات، كان مطلوبا وتقع أعماله تحت طائلة القانون أيام الحكومة التركية وهو كذلك مطلوبا للمحاكمة في العهد الايطالي، هذا رأي الايطاليين وما يوجد لديهم في الملفات، سالم بن عبد النبي المجاهد صاحب العقل المدّبر المنظم، زعيم المجاهدين في عملية اقتحام (قارة سبها) والذي قاتل بشجاعة فائقة في مقدمة رفاقه في أغلب المعارك منذ بداية الغزو الايطالي، الرجل البسيط الورع، هذا رأي الليبيين، وهو الحقيقة، يقف أمام الوالي الايطالي الذي يبلغه بما يحوي ملفه، لا شئ أكثر من ذلك، وعندما ينصرف يقول له الوالي الذي كان يتكلم من أنفه، لا بأس فإن الحكومة قررت العفو، أعيد إلى نفس المكان مركز شرطة، بلا أي جواب، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) ﴾ [الأنفال:30]

يجلس هناك فقط، في مركز للشرطة، هل هو سجين ؟ لا.. هل هو حر ؟ لا..

طالت مدة الانتظار بين السجن والحرية، وأرهقت الأعصاب رغم هدوئها المعتاد، والعقل رغم إتزّانه المعروف، وعندما يكون الإنسان بين أربع حيطان لابد له من الهدوء والحيلة، فكر كثيرا ومليئا وطويلا واهتدى إلى فكرة، إذا أمكن له أن يصل إلى فزان فسوف يفلت من هؤلاء الطغاة، طلب مقابلة الوالي وقال أن الأمر هام وعاجل وله علاقة بالأمن والسلام، قال للوالي أنه فكر كثيرا ولأنه يريد أن يبدأ صفحة جديدة مع الحكومة الإيطالية فإنه يبلغه بأن لديه أسلحة مخبأة في الجنوب ويريد تسليمها للسلطات ولا أحد يعرف مكانها هناك غيره، تركوه وذهبوا يستجوبوا أبناءه بل يجلدونهم بالسوط وهو وسيلة الطليان المهذبة المعروفة في مثل هكذا حالات وهي كثيرة، من أجل معرفة أي شئ، كانوا بالسوط يريدون من أبنائه أن يعترفوا بمكان الأسلحة التي خبأها والدهم، لم يعترف أحد، ولم يجدوا أحد يعرف مكان تلك الأسلحة ذلك أن الشيخ كان حذرا في كل شئ، وبالتالي فإن أسراره لا يعرفها حتى أقرب الناس إليه، لا شئ أمام الوالي وعساكره غير نقل الشيخ إلى حيث توجد الأسلحة، نقلوه محروسا بالجنود المدججين بالسلاح وهو أعزل ووحيد، يتذكر مقابلة الوالي الذي تجاهله في بادئ الأمر، وبعد فترة سأله، أأنت سالم بن عبدالنبي؟ قال نعم هو أنا ولكن اسمي الكامل هو سالم بن عبدالنبي الزنتاني المولود في القرية، قال الوالي

وقد انتفخت أوداجه، نحن نعرف عنك أكثر مما تعرف عن نفسك وهـذا ملفـك يحوي كل شئ عنك، وبعد لحظة توقف، قال: ولكن الحرب انتهت والحكومـة ستعفو، ألـست أنـت الـذي اقـتحم القـاهرة في سـبها وقتـل الـضباط والجنـود الإيطاليين؟ يتذكر الشيخ ذلك وأدرك أنه لا يجب أن يلتقي هذا الوالي مرة أخرى ولا أي ايطالي آخر،إلا إذا قدّر له أن يلتقيهم في ساحة الحـرب كـما فعـل سـابقا، نقلوه إلى سبها عبر هون، وعندما وصلوا إلى مكان (قارة سبها) توقفـوا بـه هنـاك ليسألوه ما إذا كان يستطيع اقتحامها مرة ثانية؟

نظر مليا وتذكر ذلك اليوم المجيد، إنه يوم عاشوراء الموافق 28 نوفمبر 1914م، ابتسم وقال، لقد سمعت من الوالي أن الحرب انتهت، ولم يضف شيئا!! ومن هناك ذهبوا به إلى براك حيث يسجن ابنه صالح وشقيقه، وقف أمام معتقلهما محروسا بالجنود وهما وراء القضبان، لم تكن هذه لفتة كريمة أو هي مودّة من جانب الطليان وإنما هي بالتأكيد ترهيب وتحذير، قال إنني أطلب إطلاق سراحهما لأنهما إذا كانا قد اعتقلا بسببي فإن ذلك السبب الآن قد زال، فأجابوا، بأن ذلك يمكن أن يحدث بعد تسليم الأسلحة المخبأة، كانت الأسلحة مخبأة فعلا في مزرعة المجاهد بإدري ولهذا فقد اتجهوا به من براك إلى إدري للبحث في المزرعة عن الأسلحة وهم لا يعتقدون أن تلك هي الحقيقة، لأنهم يرون فيه المخادع الرهيب على حد تعبير (بيلاردينيللي) ولكن لا بأس فهو أعزل وبين حراس أشداء ومنطقة آمنه لأنها تحت سيطرتهم، أشار إلى المكان وقال،

احفروا هنا، أتعبهم الحفر فنظروا إلى بعضهم، ربما كان يخدعهم، أو يهزأ بهم، إلا أنه أصر على الإستمرار في الحفر إذا أرادوا إخراج الأسلحة، حفروا عميقا حتى عثروا على الأسلحة مخبأة ومغطاة بالتبن، كان هناك مدفعا وعددا من الرشاشات والبنادق وكمية وفيرة من الذخائر، نقلوها على الفور إلى المركز الايطالي في إدري حيث يوجد القائد الايطالي الذي أبلغ طرابلس على الفور، ووضعت الأسلحة في صناديق وأصبحت في يد الطليان ولم يعد هناك من شئ إلا أن يقرروا مصير الشيخ المجاهد، وهو يعرف تماما ماذا سيقررون إذا أتاح لهم الفرصة، قال إنه يوّد زيارة أسرته في إدري وهي قريبة من مركز الإيطاليين، وافقوا ولكن تحت الحراسة المشددة، وفي اليوم التالي وصلت التعليمات، الشيخ سالم بن عبدالنبي ممنوع من البقاء في إدري ويجب أن ينقل مع أهله وأقاربه إلى براك، كانت تعليمات مشددة ولابد أنها الخطوة الأولى، لهذا وافق فهو يحتاج لبعض الوقت من أجل أن يتدبر أمر المواشي بالبيع أو التصـرف بحيث يكون التنقل سهلا، أعطوه خمسة أيام فقط، وهكذا بدأ يعدّ للعملية التي أراد بها الخلاص من هؤلاء الجلاّدين، لأنهم إذا وضعوا أيديهم عليه مرة ثانية فسوف ينتهي به الأمر إلى حبل المشنقة بلا أدنى شك، فخطط بدقّة كعادته لما أراد، وما يحتاج إليه في طريق الإفلات، الزاد والماء والسلاح والنهاية إذا قدّر له أن لا يفلت، والمواجهة إذا حدثت، كلها وضع لها احتمالاتها، اختار رجاله، اثنا عشـر رجلا، وهو رقم مبارك فقد خاطـب بـه الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى

عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة:60]، وطلب من أهله وخصوصا ابنه المهدي إعداد الأشياء المطلوبة، وبعد أن اطمأن على كل شيء، أبلغهم الخطة، وكان هناك أحد رفاقه القدامى ممن يخبرون جيدا الطريق إلى تونس، وهو نفسه أحسن من يخبر مسالك الصحراء الليبية وشعابها، وفي الوقت المحدد أبلغ القائد الايطالي أنه وأهله وأقاربه على استعداد للانتقال إلى حيث أرادوا، إلى براك، وفي طريق السفر عرّج بحراسه على مزرعته وقال لهم أنهم سوف يغادرون غدا وطلب من أحد أقاربه أن يذبح شاة وأن يعد لهم ما يلزم من الأكل والشرب، وقد حانت الفرصة التي لا يمكن أن يضيّعها المجاهد الحذر الذي وصفه أعداءه الإيطاليون بأنه (داهية) ولنرى ماذا قالوا عن خطة خروجه من بين أيديهم، يقول مؤرخ تلك الفترة (أ. ن. بيلاردينيللى) في كتابة (القبلة) : "بعدالهزيمة التي مني بها في أم الملح 22 أبريل 1929م[1] لجأ هو الآخر إلى الشاطئ وبعد أن استقر به المقام في إدري أجرى اتصالات مع زعيم ورفلّه عبدالنبي بالخير فاستقر رأيهما على مقاومة ضغوط سيف النصر وعدم السماح له بجباية أي خراج من المناطق التي كانت تقع تحت سيطرتهما، وأمام زحف

(1) يلاحظ أن المؤلف قد جانبه الصواب إذ أن الشيخ سالم لم يكن مشاركا فى معركة الملاحة والتى قال عنها انها (أم الملح) لأنه مباشرة بعد أنتصاره فى معركة علاق أنصرف الى الجنوب..

فيالقنا على الشاطئ (فبراير 1930م) غادر سالم بن عبدالنبي مع جماعته من العصاة، غادروا إدري واقتفوا أثر محمد بن الحاج حسن متجهين إلى الحدود الجزائرية[1] وعندما طلب السماح له باجتياز الحدود واللجوء إلى داخل تراب الجزائر رفض طلبه بسبب ما كان قد ارتكبه من تصرفات تحكمّية وجرائم فأدرك أن سمعته السيئة قد سبقته إلى هناك ولذلك لم يندهش عندما تصدت له السلطات الفرنسية ومنعته من اجتياز الحدود هو وأتباعه من الزنتان وأولاد بوسيف الذين كان عددهم 300 مسلح فاضطر إلى العودة أدراجه متوغلا في موقع من الرملة غير المعروفة[2]، وبعدها وبناء على شفاعة الشيخ البدوي والشيخ حمد قرزه صدر عنه العفو من جديد وأمر بالإنتقال مع أتباعه للاقامة بعوينات ونين حيث كان في استقباله قائد السرية الصحراوية الخامسة الملازم (كازو) وبرفقته الشيخ أحمد الصيد، وفي يوليو 1930م أرسل إلى براك للبحث عن الأسلحة المخبأة في مكان هناك لا يعرفه إلا هو، إلا أن سالم بن عبدالنبي سواء بدافع قلقه على مستقبله ومصيره الغامض أم بسبب افراط سلطاتنا في

(1) هنا أيضا جانب المؤلف الصواب إذ أن الشيخ سالم كان قد غادر البلاد بعد معركة علاق بفترة أي أنه غادر سنة 1929م وليس كما أورد المؤلف.

(2)هذا غير صحيح على الاطلاق ويظهر أن المؤلف المدعو بيلاردينيللى كانت غايته الإساءة والتشهير لأن السلطات الفرنسية لو كانت منعته بسبب كما قال المؤلف جرائمه فكيف يستوي الأمر وهي (نفس السلطات الفرنسية) التي استقبلته على الحدود التونسية وأكرمت وفادته، هل يمكن أن نصدق أن السلطات الفرنسية على حدود الجزائر غير السلطات الفرنسية على حدود تونس ؟ !!

ملاحقته والإلحاح عليه ليكشف عن مخابئ الأسلحة الأخرى، أو من واقع خوفه من تهمة الإستيلاء على أراض ونخيل بدون وجه حق، وعلم فيما بعد أن سالم بن عبدالنبي عندما وصل بالقرب من مرعى دوابه (حوالي 50 من الإبل بقيت في الشاطئ بعد أن سلّم نفسه) استغل سذاجة حراسه ورعاته وغفلتهم وتمكن من الهرب والإفلات بكل سهولة وبرفقته حفيده وصهره واثنان من خدمه، اجتاز الحدود التونسية القريبة من سيناون بعد أن سلك دروبا ومسارب غير معروفة كثيرا ولا يعرفها إلا القليل من أبناء المنطقة، ولم يثر فراره أية دهشة أو صدى وانتهى أمره عند هذا الحد، أما أفراد عائلته فبعد عودتهم إلى ديارهم في القرية عاشوا في هدوء"[1] ، نقلنا هنا ما ذكره (بيلاردينيللي) عن افلات الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي، والواقع أن روايته رغم أهمية كتابه لا علاقة لها بالحقيقة على الإطلاق، فأولا، الشيخ سالم لم يصل الحدود الجزائرية اطلاقا فقد كان فعلا متجها إلى هناك إلا أنه في آخر لحظة قرر العودة نظرا لما أصاب الناس من إعياء وعدم استطاعهم مواصلة السفر، وكانت معه أسر بكاملها نساء وأطفال، وكانت فرنسا فعلا قد اتخذت منه موقفا على أساس أنه مجرم كما قال الكاتب الايطالي فإنها ما كان يمكن أن تسمح له بدخول تونس عندما غادر ليبيا وهي التي كانت تحكم تونس والجزائر في وقت واحد.

---

(1) مع الأسف نجد أن هذا الكاتب يزوّر التاريخ ويشكك كثيرا مدعيا أن فرار الشيخ لم يترك أي صدى، والمعروف أن إيطاليا جندت قوات ومخبرين وعملت المستحيل للقبض عليه ولكنها فشلت في كل تلك المحاولات.

وثانيا، فإن مسألة اتصاله بالمجاهد عبدالنبي بالخير لم تكن من أجل الوقوف في وجه سيف النصر أو محمد فكيني لأن هؤلاء جميعا حلفاء وقادة جهاد، وكل إنسان يعرف أن هناك رابطة أخوة وتحالف من أجل الجهاد بين الزنتان وورفلّه والرجبان، وفكيني هو زعيم الرجبان بينما بالخير هو زعيم ورفلّه وسالم بن عبدالنبي هو زعيم الزنتان، وإنما كان هناك تشاور وتنسيق بين هؤلاء الزعماء وهذا شئ طبيعي، مهما كانت تفسيرات الإيطاليين.

ثالثا، نحن لا نعرف لماذا تحدث بيلاردينيللي عن (أم الملح) ولم يذكر (بئر علاق) لأن الحقيقة أن الشيخ سالم بن عبد النبي قد حقق نصرا مؤزرا في معركة بئر علاق، أما معركة (أم الملح) وهي بعد معركة بئر علاق مباشرة فإنه لم يكن أحد قادتها ولا حتى مشاركا فيها، ولقد كان المجاهدون قد انقسموا بعد معركة بئر علاق، بعضهم اتجهوا إلى أم الملح حيث حدثت معركة غير متكافئة مع القوات الإيطالية التي استخدمت الطيران بشكل كثيف بينما اتجه الشيخ سالم ومن معه إلى الجنوب.

رابعا، القول بأن إفلاته لم يثر أي اهتمام أو صدى أو دهشة وأن عائلته وأبناءه قد عادوا إلى القرية واستقروا هناك بلا أي مضايقة أو ضغط فإننا نرد عليه بنص القرارات التي أصدرتها السلطات الإيطالية مباشرة لنرى كيف كانت السلطات محمومة وليس مندهشة فقط، فبعد اختفاء الشيخ سالم بن عبدالنبي أصدرت السلطات الإيطالية قرارا بتاريخ 10 أكتوبر يقضي بمصادرة والإستيلاء على جميع

أملاكه في الزنتان وغريان وفزان بما في ذلك المزارع وما فيها مـن نخيـل وآبـار، وأصدرت في نفس الوقت والتاريخ قـرارا بوضـع شـقيقه وابنـه تحـت المراقبـة العسكرية الدائمة ولمدة عشر سنوات.

ولهذا فإن ما قاله بيلاردينيللي لا يعتمد على أي برهان وهـو مجـاف للحقيقـة والواقع ولقد حاولت السلطات الإيطالية القبض على الشيخ سالم ولاحقته في كل مكان ولكنها فشلت وما قول الكاتب الايطالي أن الشيخ سلك دروبـا ومـسارب غير مطروقة إلا دليلا على أنهم لم يتمكنوا من اللحاق به.

***

سـيدك نـوا للهجـرة لا   زلبحاتـا فائـده لا تجـرا

بهذا البيت كأن الشيخ سالم كان يتجاوب مـع مـا قالـه الـشاعر الليبـي أحمد الشارف في قصيدته الوطنية البليغة:

ومما زاد في الـوطن إسـياء   وإجحافا وإبعـاد كـل دان
كعاملـة نفّـت ثقـة وأمنـا   وأفضت للمذلّة والهـوان
وأهـواء وسفـسفة وغـدر   وخـوف بعـد إعـلان الآمـان
وخـرق للـشريعة وإنتهـاك   لحمـة كـل ذى شـرف مهـان

الفصل السابع
حياة الهجرة

عندما قرر الشيخ سالم بن عبدالنبي الهجرة وهو الرجل الذي لم يغادر أرض الوطن على الإطلاق، وكان يرى ما آلت إليه أمور بعض الناس الذين تحولوا إلى تجّار أو أصحاب أعمال أو مناصب، لم يكن من السهل عليه أن يهاجر وأن يترك كل شيء، الأهل والأقارب والأرض التي أحبها وقاتل من أجلها طويلا، بعث إلى ابنته (عنايا) قصيدة طويلة كان مطلعها يقول:

(سيدك نوا للهجرة لا زلبحاتا فائدة لا تاجرا)

وهو لم يهاجر مثل أولئك الذين هاجروا عند بداية الحرب وتأزم الأمور، وإن كانت الهجرة غالبا ما تقع بسبب الظلم أو الاضطهاد الذي يحدث للإنسان، لكنه حمل البندقية وقاتل، قاتل كفرد في صفوف المجاهدين، وقاتل كقائد مع مجموع من القادة، وقاتل كقائد منفرد بالقيادة والتخطيط، وفي هذه المواقف والمراحل كان فاعلا وبارزا، ولقد حدث أن هناك من هاجر مع خروج الأتراك من ليبيا أي مباشرة عند بداية الحرب، وهناك من هاجر وابتعد بعد المرحلة الأولى من الحرب الوطنية، أي بعد عام 1915م وهناك من هاجر بعد أن ابتدأت المرحلة الثالثة من فترة الحرب الوطنية، تلك الفترة التي عرفت باسم (حرب

الاستعادة أو الاسترداد) على حد تعبير الغازي، أي خلال سنة 1922م أما رجال الصحراء قادة الجهاد الدائم فلم يتركوا البندقية ولا هاجروا وهجروا البلاد (ونحن هنا لا نعيب على أحد موقفه لأن الظروف مختلفة وإنما نريد أن يكون لكل ذي حق حقه) ولقد صدق ابن خلدون عندما قال: "أهل البادية، أهل الصحراء أسلم عقلا وبدنا من أهل القرى الذين ينعمون بحياة أكثر رخاء، أهل الصحراء أكثر نقاء، وأجسادهم أكثر صفاء، وقواهم أكثر إنسجاما وجمالا، وأخلاقهم أكثر اعتدالا، وعقولهم أشد مضاء وتفهما واستعدادا لنيل المعارف الجديدة من أهل الريف، ولنقارن بين الغزال والنعامة والظباء التي تعيش في الصحارى ومثيلاتها التي تعيش في المناطق المأهولة، فالأولى أكثر نقاء وبريقا في فرائها وإنسجاما في أعضائها ومضاء في حواسها" ، لقد كان الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع من أهل الصحراء، فهو يزرع ويحصد ويرعى الإبل وبذلك فهو يجوب الصحراء وقد خبرها منذ كان طفلا يافعا، وعندما غادر بلاده متجها إلى تونس في فبراير سنة 1930م وهناك في هجرته أيضا عاش في الصحراء ومارس الزراعة والحصاد وتربية الإبل، ولقد خيّروه في المكان الذي يريده فاختار منطقة (دوز) بتونس وهي منطقة صحراوية ذات مراع وأهلها يعنون بالإبل والأغنام، وحتى عندما اختير رئيسا فخريا لجمعية التعاضد الليبية التي تعنى بشؤون المهاجرين الليبيين لم يرغب العيش في المدن فكان يساهم ويشارك ثم ينصرف إلى (دوز) إلى مكان إبله وزرعه، وقد بقي في أرض الهجرة أربعة

عشرة سنة كاملة وكان معه اثنا عشرة من أصحابه انصرفوا جميعا مع الزمن ولم يبق إلا اثنان هما ابناه (المهدي وأبوبكر) وحتى بالنسبة لولديه هذين لم يبقيا طويلا فقد توفي بعد فترة الإبن الأصغر (أبوبكر) وتلك إرادة الله التي لا راد لها، البعد عن الإهل والأولاد ثم فقدان أحد الإعزاء، آلام ومعاناة، ولكن الله مع الصابرين، فوجد في أولئك الناس الذين يحملون هموم الوطن على أكتافهم وشجونه في قلوبهم خير رفاق، ولذلك لم يبخل بجهده في تقديم النصح والمشورة، وقد قابل التقدير الذي أولوه إياه بالمداومة على الحضور والمشاركة في أنشطتهم المختلفة لأنهم جميعا كانوا يتطلعون إلى وطن حر ومواطن عزيز في بلاده، ليبيا المستقلة العربية المسلمة، هذا كان هدف الجميع، ومن أجل هذا الهدف كانت جمعية التعاضد تقدم مساعداتها للمهاجرين الليبيين، وكانت تجري اتصالات التنسيق بين كل المهاجرين الليبيين الذين توزعوا في بلاد المهجر بين تونس ومصر وسوريا وتركيا، وكانت الجمعية قد سارعت لتوجيه رسالة إلى الشيخ سالم بن عبدالنبي عندما تبلغت بمجيئه إلى تونس كان نصها :

" حمدا لله وصلاة وسلام،،، حضرة الوطني الغيور والمجاهد الصادق سيدى سالم بن عبدالنبي حفظه الله، تحية وإحترام، وبعد

فقد رأت لجنة جمعيتنا الإدارية، جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين بتونس أنه من المناسب إفادتكم ببعض الإيضاحات فيما يتعلق بالخصوص

بالغايات الشريفة التي تقصدها هذه الجمعية المتأسسة منذ عهد قريب فقد وجدت إقبالا عظيما بين إخواننا المهاجرين.

أن هذه الجمعية لم تتأسس إلا لإغاثة من أصبح منكم في حالة من الضنك والفقر والتعاسة ويمكن لنا الآن التصريح والتأكيد بأنها مستعدة بكل حنان وشفقة وصدر رحب للقيام بما أنيط بعهدتها من الأعمال الخيرية التي منها، الإعانات المادية والأدبية للمهاجرين والأفراد وعائلاتهم، ومعالجة المرضى منهم وإيجاد الشغل لهم، لمن لا عمل له، وتأسيس مطابخ خيرية وإعطاء الثياب لمن يكون في حاجة إليها، وغير ذلك من وسائل الإعانات والمساعدة، سعيا وراء تخفيض آلام المجاعة والبؤس والمرض، كل ذلك مجّانا سوى دفعكم معلوم الإشتراك في الجمعية وهو بالنسبة للفوائد الخالصة لكم منه لم يكن شيئا مذكورا، فقد اتضح جليا مما تقدم شرحه أن الجمعية ما تأسست إلا لتكون لكم عضدا قويا وساعدا متينا، ومن المحقق أن الطرابلسيين المهاجرين لا يجدون منها إلا قبولا حسنا وشفقة وحنانا ومجاملة وبشاشة، فهلم أيها المهاجرون إلى استلام بطاقاتكم السنوية، فمن كان منكم يستطيع القدوم إلى مركز الجمعية الكائن بباب سويقه 148 بتونس، فليفعل ذلك بدون تأن، ومن لم

يستطع وله موانع تمنعه من ذلك فليخاطب رئيس الجمعية السيد محمد عريقيب الزليتني ليمده بكل الإرشادات المفيدة، والله في عون المرء مادام في عون أخيه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، والسلام عليكم ورحمة الله.

التوقيع، اللجنة الإدارية لجمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين الليبيين".

وبعد أن اختارته جمعية التتوادد والتعاضد بين المهاجرين الليبيين في تونس نائبا للرئيس كانت تدعوه للاجتماعات وتبعث إليه منشوراتها بين وقت وآخر، ولأنه غير محب لحياة المدن فلم يوافق على الإنتقال إلى العاصمة حيث مقر الجمعية، ولهذا قرر أعضاء الجمعية انتخابه ممثلا للجمعية ونائبا لها في المناطق التي يتواجد بها، وكان وقت توجيه الرسالة إليه يقيم في منطقة اسمها (برج القصيرة) قرب الحدود التونسية الليبية، وكان تاريخ تلك الرسالة (13 ديسمبر 1939م) وهذا نص الرسالة:

"حضرة الوطني الغيور السيد الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني ، ببرج القصيرة حفظه الله، تحية واحتراما، وبعد .. فإن جمعيتكم، جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين بتونس تضع ثقتها التامة في شخصكم المخلص وأنها تعتمدكم من الآن فصاعدا بأن تكون نائبا لها في كل كامل التراب في المناطق التي أنت بها قاطن، وأنا في إنتظار جوابكم على قبول هاته المهمة التي أناطها بعهدتكم أعضاء الجمعية لنرسل لكم كمية من المناشير والبطاقات الخاصة

بالإنخراط في الجمعية، وليكن في علمكم أن كل بطاقة تسلمونها لمن أراد الإنخراط في الجمعية لكم مقابل تعبكم معلوم تقييدها، فمن أراد الدخول بصفة عضو متبرع مثلا، يجب عليه أن يدفع 15 فرنكا، عشرة منها معلوم الإشتراك هي لصندوق الجمعية والخمسة الباقية لمعلوم التقييد هي لك مقابل خدمتك، ولك أن تجعل في كل قرية من قرى المراقبة التي أنت ساكن بها نائبا عنك لتستعين به على حصر إخوانه الطرابلسيين القاطنين هناك وعلى خدمتك، وليكن في علمك أن جمعيتنا هذه قد حظيت بإلتفاف عظيم وعناية فائقة من لدى الحكومة الفرنسية وستجدون أنتم كامل العناية والتبجيل من جميع حكام جهتكم الأفاضل ودمتم محترمين.. والسلام كاتب الجمعية".

ولم يكن الشيخ سالم في مهجره يتلقى أي مساعدة من أية جهة بل كان يعتمد على نفسه ولقد اضطر مؤخرا إلى أن يبيع بعضا من إبله التي كانت معه ليواجه متطلبات الحياة، وحياته كانت بسيطة، وبعدئذ وعندما لم يبق لديه ما يبيع اضطر ابنه الوحيد الباقي معه إلى أن يلتحق كمجند مع السلطات الفرنسية هناك بحيث يمكن أن يوفر لهما بعض الدخل، وكان الشيخ ينتظر يوم العودة إلى الوطن بفارغ الصبر، وهو يعرف أنه لن يستطيع العودة طالما بقيت إيطاليا على أرض بلاده، وقد قامت الحرب العالمية الثانية وكانت إيطاليا تسيطر عليها دعاية الحركة الشوفينية التي عرفت باسم (الفاشيستية) وقد نفخ أعضاء تلك الحركة بالتطبيل والمظاهرات وإضفاء الألقاب والتمجيد في روح موسوليني حتى اعتقد

أنه قد يحكم العالم، وأن إيطاليا في ظل قيادته ستستعيد أمجاد الرومان، وبالتالي تملي إرادتها على العالم، وما كادت الحرب الكونية الثانية تنفجر حتى وجد الفرصة، وكانت في ألمانيا حركة مثل حركته وزعيم غوغائي مثله، تلك هي النازية وذلك هو هتلر، تحالف الزعيمان واحترقت أصابعهما وشعبيهما في حرب كونية كانت فيها الغلبة للعقل، وكان النصر للحلفاء، فانهزمت إيطاليا الفاشية وكان على إيطاليا أن تنكمش وأن تلعق جراحها الدامية وهكذا تخلصت ليبيا من ظلم وسيطرة إيطاليا وجزمة عساكرها، تلك السيطرة التي اتسمّت بالقهر والظلم والعدوان الذي لم تشهد له هذه البلاد مثيلا، وقرر فورا المجاهد الشيخ سالم العودة إلى أرض الوطن بعد هجرة إجبارية استمرت أربعة عشرة سنة، ولقد صدق الشاعر الليبي رفيق المهدوي الذي ذاق آلام الهجرة قائلا:

رجع المطوّح من بعاده ... عاد الغريب إلى بلاده

الحب يفعم روحه ... والشوق يلهب في فؤاده

وبشائر المستقبل الزاهي ... تضاعف في جهاده

ليرى حياة حرة ... هي وحدها أقصى مراده

كانت مناه وكان من ... جرائها سبب إضطهاده

أهون بما قاساه من ... عسف نأى عن بلاده

لو كان مقتصرا عليه ... ما تفكر في إزدياده

لكنه الوطن العزيز ... أصيب حتى في جماده

ظلم العدو وجوره ... بلغ النهاية في إشتداده

قد ضر لكن لم يكن ... بأضر من عدم إتحاده

من ذا الذي يدعو إلى	تقسيم جزء وإنفراده
تفريق برقة عن طرابلس	خروج عن سداده
ما تلك غير جناية	تأتي على باقي عناده
ومن الذي يرضى بحكم	غير حر في بلاده
وطن إذا لم تستقل	بغير شرط من قياده

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾

[النساء:97]

صدق الله العظيم

ألا أيها الليل الطويل،ألا أنجلي	يا صبح، وما الأصباح منك

إمرؤ القيس

الفصل الثامن
العودة إلى الوطن

شد الشيخ سالم الرحال عائدا إلى الوطن، وما كان له من مطلب أكثر من أن يقبّل ترابه وأن يدفن في موقع رأسه عندما تحين إرادة الخالق، أن يدفن في القرية الغربية، وكانت عودته في بداية سنة 1944م ولم تكن العودة إلى القرية مباشرة، فقد رأى من الحكمة أن يتجه إلى أوباري أولا ليتدبر بعض الأمور لأن غيبته كانت طويلة (هكذا قيل) ولم يعرف أحد لماذا لم يرجع مباشرة إلى القرية الغربية، وهو عندما غادر بلاده مرغما كان متخفيا وقد قضى خمسة عشر يوما في الصحراء متجها إلى تونس، كان يسير برفاقه ليلا عبر مسارات صحراوية لا يعرف أحد من الطليان دروبها وكانت غير مطروقة إلا من قبل أولئك الذين خبروا الصحراء وبشكل خاص الذين قطعوها سيرا على الأقدام، عندما غادر بلاده كان يخشى أن يلتقيه أحد فيشي به إما متطوعا، وهذا كثير، وإما مرغما لأن هؤلاء الطغاة يمكن أن يستخلصوا المعلومات من الحجر الصلد، ولم يطمئن أو يهدأ باله إلا بعد أن وصل الحدود التونسية، وحتى هناك عندما وصل وكان على إستعداد أن يسلم سلاحه للسلطات التي تحكم ذلك البلد، فإن الضابط الفرنسي الذي في مركز الحدود أبى أن يفعل ذلك، وعندما أبلغ

رؤساءه قالوا له، استلم الأسلحة من رفاقه واترك له سلاحه وعامله باحترام لأن المجاهد من هذا الطراز لابد من احترامه، فإذا كانت التحية العسكرية تعطى للقائد المهزوم عندما يبدأ في التسليم فإن الإحترام واجب تجاه مجاهد لم يستسلم وإنما لجأ عندما أعيّته الحيل وتعذر عليه مواصلة الكفاح.

عاد إلى بلاده مرفوع الرأس، وسلك نفس الطريق عبر الصحراء ولكن ليس من خلال المسالك الوعرة والوديان السحيقة، وليس ليلا وإنما نهارا وعلى رؤوس الأشهاد، عاد إلى إدري يرافقه إبنه المهدي بعد أن كان قد دفن ابنه الثاني (أبوبكر) الذي توفاه الله بتونس منذ زمن ليس ببعيد، تركه هناك لأن أرض الله واسعة، وهي أرض إسلام، في إدري كانت له أملاك صاردها الإيطاليون وحاولوا بيعها لمن يرغب ولكن الناس رغم الخوف من الإيطاليين وحكمهم الجائر يجلّون الرجل الذي يعرفونه حق المعرفة ولم يجرؤ أو يرغب أحد في الشراء غير مواطن واحد كان يعمل جنديا مع الطليان وحتى هذا الأخير عندما سئل، كيف يمكنك أن تقابل ذلك الرجل المجاهد الجليل إذا ما عاد يوما ما؟ قال: لقد اشتريت المزرعة بالذات لأنني أريد أن أحافظ عليها إلى أن يأتي صاحبها، ولأنني لم أشأ أن تمتد إليها أيادي العابثين.

وبعد عشر سنوات من هجرة الشيخ سالم حاول ابنه صالح أن يسترد بعض أملاك والده ولم يمكّن من ذلك، ثم عاد المجاهد واسترد أملاكه بالتراضي والتفاهم ولم يطلب شيئا غير ذلك، وبعد شهرين تقريبا قضاها في إدري عاد إلى

القرية الغربية موقع رأسه ومقر أهله ولم يعش طويلا، فقد انتقل إلى جوار ربه بعد أقل من شهر من عودته إلى القرية الغربية، وكان لي أن زرت قبره في القرية الغربية خلال شهر يناير 1993م عندما كنت أقوم بزيارة القريات للقاء أبناء المجاهد الشهيد من أجل جمع المعلومات عن حياة وجهاد الشيخ سالم، هنا أيضا تذكرت بضع كلمات للشاعر الليبي المبدع (إبراهيم الأسطى عمر) وهو يقول:

(مجّدوه فهو رمز المجد بل رمز الفخار

وأجعلوا من قبره المجهول تمثال يزار

وأنثروا الورد على القبر بصمت ووقار)

وعندما التقيت أولئك الرجال أبناء المجاهد وأقاربه في القرية الشرقية خيّل إلي أنني كنت أسمع دقات قلوبهم قوية متتالية وهم يتحدثون عن الجهاد والمجاهدين، عن الأجداد والآباء، كما كنت في فترة سابقة قد التقيت ابنة الشيخ سالم المسماة (عنايا) قبل أن تنتقل إلى مثواها الأخير وقد حدثتني كثيرا عن والدها وكيف كان يعيش وقالت إنها كانت أقرب أسرته إلى قلبه حتى أنه كان لا يطمئن لأحد في إعداد سرجه وفرسه إلا هي، واحتفظ لها بتسيجلات قيمة، وعندما زرت القرية الغربية نظرت إلى هامات نخيل تلك القرية التي تحتضن رفاة المجاهد الكبير في قبرمتواضع في مقبرة تلك القرية، كان النخيل في صفوف كأنما هو بتلك الصفوف يريد أن يحمي القرية من رياح القبلي التي تهب عليها عاتية أحيانا حاملة طبقات من الأتربة، رأيت صغيرات تلكم النخلات خضراء

يانعة بينما كبيراتها جريدها يشبه المكانس القديمة، وكأن هذه النخلات تعلن عن الفرق بين جيلين، الجيل القديم المثمر الذي يصارع الرياح، والجديد اليافع اليانع النامي في عنفوان، جيل كان مثمرا مضحيا، وجيل لا أعرف ماذا سيكون عليه، وعندما زرت قبر الشهيد المجاهد تذكرت قصيدة الفرزدق:

سقى الله قبرا يا سعيد تضمّنت	نواحيه أكفانا عليك ثيابها
وحفرة بيت أنت فيها موسّد	وقد سدّ من دون العوائد بابها
لقد ضمنت أرض يا مصطخر ميتا	كريما إذا الأنواء حف سحابها
شديدا على الأذنبن منك إذا احتوى	عليك من الترب الهيام حجابها
لتبك سعيدا مرضع أم خمسة	يتامى ومن صرف القراح شرابها
إذا ذكرت عيني سعيدا تحدرت	عليّ عبرات يستهل إنسكابها

والمتجوّل في القريات، وخصوصا الغربية لما فيها من نخيل يصطف في وسط واديها الذي يمتد في تعرّج بسيط من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، ويقف أمام قبرالشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي ذي الحجارة البيضاء في نهاية رأس الوادي المتفرع في إتجاه الشمال الشرقي وبين كفي جبل صغير يرتفع على حافتي فرع الوادي لابد أن يعجز عن اختيار كلمات يعبر بها عن جلال الموقف، ولا أعرف ماذا كان يمكن أن يكتب لنا الرحاّلة العربي القدير (الحشائشي) في كتابه (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) الذي كتبه في نهاية القرن التاسع عشر، لو كان قد زار ذلك المكان كما زرته ورأيته في نهاية القرن العشرين،

ولكن رحالة آخر قد يفعل ما قصر دونه الحشائشي وأبوالقاسم العياشي وغيرهما من رحالة العرب والإفرنج، لقد رأينا مما تقدم أن القريات قد تعرضت لثلاث هجمات إيطالية، بل في الحقيقة ثلاث غزوات، ورأينا أن معارك كثيرة وهامة في تاريخ الجهاد الوطني الليبي قد حدثت في مناطق القبلة (معارك مزده وزمزم والطابونية وبئر علاق وأم الملح وودى الخيل وبئر القريزية ودرج وإدري الخ) وكانت القبلة مأوى آمنا وحصنا حصينا للمجاهدين، فلابد أن يكون مفيدا للقارئ الكريم أن يعرف ما هي القبلة، التنقل فيها والرعي والمناخ والمعيشة والطبيعة بشكل عام، بحيث يعرف مقدار ما كان يواجه أولئك الرجال الذين وهبوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله والوطن، فقد وصفها المؤلف الجغرافي الايطالي (بيلاردينيللي) بشكل تفصيلي نستفيد منه في الحديث عن القبلة، وتحدث كذلك عنها القائد الايطالي (غراتسياني) وغيرهما من الإيطاليين الذين كتبوا عن الحرب في ليبيا، كما تحدث عنها بعض الرحالة وإن لم يكن بتفاصيل وافية، فالقبلة المتعارف عليها تشكل على وجه التحديد الجزء المتاخم من الجنوب لجبل نفوسه (الجبل الغربي) إلى الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي وحدودها كما يلي:

1- ظهر فساطو ويفرن وغريان شمالا

2- أرض ورفلّه وجبل السوداء وجبل فزان شرقا

3- منخفض وادي الشاطئ وحوض فزان جنوبا

4- خط واحات غدامس درج سيناون غربا

ومساحة أرض القبلة التي تقع بين الخطين الطوليين (11 و14 شرقي خط قرينتش) وخطي العرض(40-38 و 30-31 الشماليين)، ويمكن تقديرها بحوالي 90000 كيلو مترا مربعا، وتنقسم القبلة إلى مناطق : (الوعساء – والحماده الحمراء، غربا ... مزده – القريات – الشويرف، شرقا)

الوعساء: تمثل أرضا ناعمة ولكنها قاحلة في معظمها، وهي منطقة رعوية بحته، تحيط بها مرتفعات رأس الحصان جنوبي جادو وأعالي سوف الجين وسواني ذويب (وهي بئر تحمل إسم ولي الزنتان، سيدى الذويب) وجبل المشرق (جبل الكهف) ووادي فيصل (وهذا هو الإسم الذي يطلق على قسم سوف الجين عند مروره على بعد بضع كيلومترات غربي مزده) وجراجة الطريق، وبئر القريزية وودى الخيل وبئر علاق وبئر تلاكشين.

الحمادة الحمراء : هي بقاع مترامية الأطراف موحشة، كثيرا ما وصفها الرحالة بأبشع النعوت، وعلى أنها صحراء مترامية مرعبة لا تقاس أهوالها بأقسى الصحارى وحشة لأنها بقعة من الكرة الأرضية انقلبت إلى جثة هامدة قبل الآوان وتمتد هذه البقاع الصحراوية القاحلة الخالية من الماء ومن الحياة والتي تبدأ من الخط الطولى 31 تقريبا وتمتد جنوبا إلى مسافة تزيد على مائتي كيلومتر بمعدل عرض (من الشرق إلى الغرب) 500 كيلومتر تقريبا وتبلغ مساحتها 70000 كيلومترا مربعا وحوالي 100000 حسب تقدير الرحالة ريكلوس)،

ومن الصعب تحديد حدودها على وجه الدقة، ويمكن للمرء أن يتصورها على أنها في هيئة مربع منتظم الأضلاع، تكون زواياه (سيناون – الطابوتية – عوينات ونين – حاسي أفرطاس) مع إمتدادين أحدهما في الجنوب ويصل الشاطئ الغربي والثاني إلى الناحية الجنوبية الغربية نحو الحدود التونسية حيث تتصل بحماد نيم غيرت، وإلى الشمال يمتد طرف من الحمادة الحمراء على هيئة إسفين بين سواني فسانو وبئر الجعفري، إلى أن يصل إلى مسافة 40 كيلومترا جنوب مزده، أما السكان المحليون فيصفون حدودها: (ما بين بئر حريز – العقبة، سانية الرجل (بكسر الراء) بئر علاق، ودى الخيل، بئر القريزية، أم النصل، بئر الخرب، بئر الطابونية، بئر أم المرافق، أما الخط الطولي فيكون، الطابونية، إدري، الحد الشمالي للشاطئ الغربي، عوينات ونين، البئر المر، حاسي دابانه، عين إزرار، درج، سيناون).

فالحمادة الحمراء بمجاهيلها المتربصة بالقوافل وما تكتنفه من خبايا وفخاخ تنتظر كل متهور ومغامر يتحداها لتفتك به، ظلت دائما في الماضي ميدان تناحر وغزوات شرسة ضارية بين القبائل المتاخمة لها التي كانت تنقض على القوافل التي تعبرها لقصار الطريق بين فزان والساحل، أضف إلى ذلك أن المشاهد العجيبة الناتجة عن السراب كثيرا ما أغرت عابري السبيل وقادتهم إلى الموت الفظيع، والشريط والوسيلة الوحيدة التي توفرها الحمادة للعيش هى الشريط الضيق الذي على أطرافها ولا يتعدى عمق 30-40 كلم عندما تحوله الأمطار

إلى بساط أخضر رهيف عندها ينتعش هذا الشريط فيصبح مرعى للإبل وأسراب الغزلان والثيران البرية وينمو الترفاس (وهو نوع من الفطريات التي تشبه الكمأ) منها الأبيض والأحمر الذي يتهافت عليه أهالي تلك المناطق، وعدا هذا الشريط هناك الوحشة والقحط، لا عين للماء ولا حتى قطرة منه، ولو في شكل قطرات الندى أو الضباب، فلا أثر للحياة بعد النبات الشوكي هنا وهناك لكسر رتابة مشهد أرض جدباء صخرية موحشة، فالعرب يقولون، بعد الحمادة يبدأ السرير إشارة إلى أن بعد هذه الأرض التي مازال فيها الرجاء يأتي السرير والصحراء الرهيبة، انتهى كلام بيلاردينيللي[1] .

وربما يتساءل القارئ الكريم عن علاقة القبلة بموضوع الكتاب، أو علاقة القبلة بالشيخ سالم بن عبدالنبي؟

ورغبة في الإجابة على هذا السؤال أردنا أن نبدأ بما ورد في كتاب القبلة الذي ألفه ايطالي عاصر تلك الحرب وتنقل في الصحراء لكي يعرف القارئ الكريم مقدار المعاناة والتضحية التي بذلها وكان يواجهها المجاهدون الذين عاشوا وناضلوا وجاهدوا بكل شئ وهم في هذه الصحراء التي قال عنها هذا الايطالي أنها (موحشة، جذباء صخرية لا توجد فيها حتى قطرات الندى، ولا تقاس أهوالها بأقصى الصحارى وحشة الخ)، علما بأن هذا الكاتب وغيره من الضباط والجنود الإيطاليون يتوفر لهم كل شئ في تلك الصحراء من الماء الوفير البارد

(1) بيلاردينيللي، كتاب القبلة.

إلى بقية ما يحتاجه الإنسان، وفي المقابل لا يتوفر للمجاهد الليبي شيئا غير حبات تمر وقليلا من الماء أن وجد ورغم هذا كله فإن المجاهدين بأسرهم، أطفال ونساء عاشوا فيها سنوات تقارب العشر، ولم يكونوا مستقرين بل كانوا يحاربون ويتنقلون من واد إلى جبل إلى سهل، ومن أجل رسم الصورة الكاملة عن هذه الصحراء والحجم الكبير للجهد والتضحيات التي بذلها المجاهدون فإننا ننقل بقية المعلومات عن القبلة، فإذا ما اعتبرنا بطحاء القبلة ومرتفعاتها بالمعنى الأكمل لمجمل مساحتها تظهر لنا خصائصها التشكيلية واضحة ومتميزة كما يلي:

الجزء الغربي، كما سبقت الإشارة، صحراء مترامية الأطراف تتكون من صخور وحجارة وأرض جافة منبسطة كلها إذا ما استثنينا بعض التعرجات الثانوية فهي لا يوجد بها أخاديد عميقة لأنها صحراء موحشة قاسية وحيدة الشكل ورتيبة المنظر حتى أنها تشعر المرء بالإنقباض والأسى.

أما الجزء الشرقي فمتنوع تتخلله تضاريس متفاوته من حيث الإرتفاع والإنحدار وتشقه أخاديد انحراف والتواءات، وتسمى بمنطقة الوديان الكبيرة، شقتها أودية ملتوية لا تنتهي بأعماق متفاوتة وتحفها بعمق سلسلة من الأخاديد المتشعبة كونتها وتكوّنها روافدها المباشرة وغير المباشرة، وهكذا تظهر هذه المنطقة وكأنها منطقة جبلية بحقّها وحقيقها، وهاتان المنطقتان المتباينتان تباينا

كبيرا من حيث تكوينهما وتشكيلهما الطبيعي تلتحمان معا في شريط مرتفع طويل يأخذ شكل القوس المتجه لناحية الشمالية الشرقية ويرتبط طرفاه بجبل غريان وجبل السوداء في فزان.

إن ضلع الترابط هذا والذي يشبه إلى حد كبير دعيمة السقف يظهر أعلى المرتفعات ويشكل علامة للخط الفاصل بين حوض تجمع المياه أعلى الساحل الممتد من مصراتة إلى سرت، وبين الحوض الثاني المكوّن للمنخفض الشاسع الواقع على طرفي الحدود بين تونس وطرابلس من غدامس إلى نالوت، وبعد سرد طويل ودقيق يتحدث بيلاردينيللي عن مصادر المياه في تلك الصحراء، فيقول:"تتجمع في الجزء الشرقي من القبلة جميع الوديان الكبرى تقريبا، التي منشؤها في أطراف الحمادة الحمراء واتجاهاتها بصورة عامة، من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي لتصب في البحر ما بين تاورغاء وسرت، وأهمها مجرى سوف الجين العالي والأوسط وجرى وادي زمزم وأعالي وادي البي الكبير، وسوف الجين يتولد من فوق الجبل بالقرب من الرحيبات ويسير في خط يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وبعد حوالي 60 كيلومترا من منشأه يشق أراض مزده ابتداء من المنطقة القريبة من وادي وامس وكاف المخترق ينعطف جنوبا، وبعد أن يسير في شكل قوس واسع حيث يسمى وادي فيصل يصعد صوب الشمال لينعطف من جديد عند كاف حفال، نحو الشرق

ليشق طريقه خلال شريط الكتبان بالمنحدر المترامي الأطراف حيث تقع مزده[1] وفي بومعتق بعد حوالي25 كلم ينحني مجراه من جديد في اتجاه الجنوب الشرقي، وفي الملاقي تتلاقى وديان ثانوية عديدة، ويترد خط سيره المعتاد في إتجاه الشرق ليتسرب من خلال بطون وأودية ضيقة وملتوية ويصل إلى أراضي ورفلّه، وأهم روافد ضفته اليسرى التي يتجمع فيها جزء كبير من مياه سفح جبل يفرن وغريان هي (وادي المرموته ووادي وامس ووادي النسمه ووادي التفالغو ووادي تارسين ززادي بني وليد وأودية أخرى ثانوية لا حصر لها، أما روافد ضفته اليمنى التي تتجمع فيها مياه منحدرات الحماده الشرقية الحجرية فهي (وادي فساتو ووادي البطحه ووادي عمران ووادي الحليله ووادي المزّي ووادي البقله ووادي الدريدر ووادي مرسيط بروافد الطلحه وفروتن ويبلغ طول مجراه حوالي 400 كلم[2] وبالنظر إلى شساعة أراضيها فإن القبلة تفتقر إلى الماء خاصة خلال فترات الصيف الطويلة وبصورة أخص خلال سنوات الجذب، وتتكون الموارد المائية أساسا من الآبار والصهاريج (المعاطن، الفسقيات، المواجن) وكذلك المستنقعات الطبيعية (تجمع مياه المطر –غدير – تمد) التي تقع على مسافات متباعدة أحيانا وفي مواقع لا يعرفها إلا الأدلاء المحنكون، خبراء الصحراء، والماء ثقيل في غالب الأحيان، ومذاقه يميل إلى

(1) راجعنا في هذا الشأن مؤلف السيد روفيريتو (جوبوجيا ومورفولوجيا).

(2) كتاب القبلة – بيلاردينيللي – طبعة سنة 1935م

المرارة والملوحة بسبب الطبقات الجوفية الكبيرة المشبعة بالأملاح والجبس، أما الصهاريج فمعدة لتخزين مياه المطر إن هطلت وكذلك (التمد) التي هي حفر أو خنادق قليلة العمق يسهل حفرها في قاع الأراضي التي تتجمع فيها مياه الأمطار أو الفيضانات، في بطون الوديان أو المنخفضات التي تتجمع فيها مياه الرشح، وخطوط الآبار بصورة عامة تتجه في إتجاه خطوط الطول والعرض، وتجد سلسلة منها على مسافات متباعدة جدا في بعض الحالات، على أطراف المتعرجات الحجرية التي تفصل الحمادة عن المناطق المتاخمة لها، ومن ناحية حدودها مع أراضي غدامس وعلى طول طريق القوافل (ودى الخيل، الناصرة) توجد أيضا سلسلة من السبخ والمستنقعات ذات المياه المالحة (الملاحات) والتي أهمها: (ملاّحة عطوة أو قرارة عطوه التي توجد بجوارها بئر ماؤها عذب يتدفق من عمق ثلاثة أمتار فقط) ويذهب الرحل إلى الملاّحات لجمع ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) للاستعماله في الأغراض المنزلية) .

إذن فإن القبلة هي أرض شاسعة مخيفة قاحلة قاتلة تفتقر إلى كل شيء، لا توجد فيها المياه ولا الأشجار ولا سبل العيش، إنها جذباء لا تقاس أهوالها بأقسى الصحارى وحشة وكما وصفها هذا الكاتب (هي بقعة من الكرة الأرضية انقلبت إلى جثة هامدة) هذه الصحراء الموحشة أقام فيها المجاهدون وعاشوا هناك وهم يقاتلون العدو الغازي بقواته المختلفة وأسلحته المتطورة، وليس الماء فقط أو انعدام النبات وإنما وجود الزواحف القاتلة السامة، ونجد

بيلاردينيللي يصفها قائلا : "هناك الحيوانات البرية المفترسة مثل الضبع والذئب والثعلب والقط البري والبقر الوحشي والودّان، أما الزواحف فهي الحيّة أم القرون والأفعى أم الجنب والأفعى أم القنادة والورل والعقرب وهذا لذغته مميتة، وهناك أنواع كثيرة من الحشرات، أما عن الطقس فهو يغلب الوصف بسبب تقلّبه، والسائد منه هو القبلي الشديد الحرارة والقوة في عصفه، وأشد هذه الرياح عصفا وإلتهابا هي الريح المعروفة (بالغدامسي) وهي ريح جنوبية غربية تأتي من إتجاه غدامس وعندما تبلغ هذه الريح ذروتها من العنف وتعصف بالمناطق الرملية تقلبها إلى ما يشبه الأنهر الرملية المنصهرة التي تنبعث منها سحب حمراء لافحة تصفع الوجوه وتكبت الأنفاس وتنتشر فيما بعد كالدثار الكثيف إلى إرتفاع 200 م لتغطى كامل المنطقة بلون حريق أصفر قاتم"[1] .

ويصفها الرحاله (هائمان) قائلا : "تظهر بوادر هذه الريح عادة عند الغروب الذي يكون في مثل هذه الحالة أكثر تأنقا وروعة حيث تنتشر في السماء خطوط طويلة من السحاب الخفيف الذي تنعكس عليه أشعة الشمس الذهبية الغاربة في منظر غاية في الروعة، وفي فجر اليوم التالي تشرق الشمس مكفهرة اللون تحف بها هالة من البخار التي تزداد كثافة مع ظهور النهار، حتى تصبح السماء منشأة بطبقة موحدة صفراء مغبرة تشرق من خلالها أشعة الشمس متفسّخة ومحّرقة، وسرعان ما تكتسي المنطقة بلون نحس، فتلقى الأشجار بذورها بعدما ذبلّها

(1) كتاب القبلة – بيلاردينيللي – 1935م

جفاف الجور الخانق، أما الحيوانات التي تشعر مبكرا وبالسليقة بقرب هبوب العاصفة فتختفي وراء النباتات والخمائل، الضب والثعابين وأنواعها هي التي تخرج من جحورها في أعداد كبيرة وكأنها تنعم بلفيح القيظ الخانق، ومنذ الساعات الأولى من النهار تبدأ الريح تعصف بصورة متقطعة وعلى فترات متباعدة ثم تنقلب إلى هبوب متواصل لا تتخلله إلا فترات توقف قليلة وتصحبها أصوات غريبة وعويل يبعث في النفس الذعر كما لو كانت أصداء أنين أولئك التعساء الذين كبتت أنفاسهم هذه الريح الجهنمية في جوف الصحراء، والهواء الحاد في جفافه ولهيبه يبدو كأنه مندفع من فوهة فرن، يلتهم الرمال الناعمة الدقيقة التي تتسرب إلى كل مكان"انتهى

هكذا هي القبلة، وقد أردنا أن نرسم بهذه الكلمات صورة للقارئ الكريم ليعرف مدى المعاناة والشقاء اللذين كان يواجههما أولئك الناس، رجالا ونساء وأطفال، من مختلف الأعمار، ولكن الله لا يغفل عن عباده الصالحين..

***

وإنى لمحتاج إلى ظل صاحب

يروق ويصفو إن كدرت عليه،،

أبو العتاهية

الفصل التاسع
رفاق الشيخ سـالم في قيادة الجهاد

كان زعماء وقادة الجهاد الوطني الليبي كثر وهم من أغلب القبائل العربية، وكانوا من المدن والأرياف والقرى والصحارى، ونحن لا نميّز بين زعيم وزعيم أو قائد وآخر لأنهم جميعا يمثلون رموزا بارزة في سجل تاريخ جهاد آبائنا وأجدادنا، نترحم على أرواحهم ونفخر بجهادهم ونضالاتهم وتضحياتهم، وما يدعونا إلى الكتابة عن معارك وقادة ومواقع حدث فيها وعنهم خلاف بين بعض الذين كتبوا عن أحداث التاريخ الوطني، نقول خلاف حول التفاصيل من جانب البعض، والتزوير والتغيير من البعض الآخر، وتحديدا حدث الخلاف أو الإختلاف حول مذكرات الشيخ المجاهد سليمان الباروني المعنونه (صفحات خالدة) حيث أننا نعتقد أن الشيخ الباروني ربما كانت شهادته سماعية التي جاءت في مذكراته تلك والتي نشرت بعد وفاته بفترة طويلة بواسطة ابنته لأننا نعلم أنه لم يكن حاضرا في الجنوب الليبي وقت حدوث تلك المعارك (التي ورد الحديث فيها أو عنها) وربما أنه لم يلتق بأولئك الرجال الذين قادوها، ومن هنا قلنا خلاف أو اختلاف، أما التزوير والتغيير فقد ابتكره واحتكره السيد محمد سعيد القشاط الذي لم يكن حاضرا ولا شاهدا أو مشاركا فيها ولا عاش خلال

فترة الجهاد الوطني تلك، وإنما التقط واقتطف وسمع وغير ونسب الأمور والمواقف إلى غير أهلها قاصدا عامدا، وهكذا أردنا أن نصحح لمن أخطأ أو اختلق ونفند كلام من زوّر أو حرّف، وسنتناول عدداً من المعارك وسير بعضا من القادة خصوصا تلك التي قادها الشيخ سالم بن عبدالنبي ورفاقه وهم: (المجاهد علي الشنطة، المجاهد سالم دنّه، المجاهد محمد الدحنوس، المجاهد أحمد المحروق، المجاهد الشيخ أحمد البدوي، المجاهد الشيخ أحمد السني، المجاهد المهدى كنيفو) .

المجاهد علي الشنطه: مجاهد وسياسي لعب دورا هاما وبارزا في الجهاد الوطني الليبي خلال السنوات من (1911م إلى 1924م) والده أبوالقاسم الشنطه ووالدته غاليه بنت أحمد وكلاهما من الزنتان، وهو مولود ببلدة الزنتان وقد قبضت عليه السلطات العسكرية الإيطالية متهمة إيّاه بالخيانة العظمى، وقدم لمحكمة عسكرية خاصة بمنطقة العزيزية هو وآخرون فأصدرت حكمها بإعدامهم شنقا ومصادرة أملاكهم بتاريخ 15يناير 1924م، ثم غيّر الحكم إلى المؤبد، وعند صدور العفو العام لم يشمله ومات مسموما في السجن، وكان له دورا بارزا في معركة قارة سبها وكان رفيقا مناصرا للشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني الذي قاد تلك المعركة الفاصلة في تاريخ الجهاد الوطني الليبى، رحمه الله رحمة واسعة.

المجاهد سالم دنّه : الزنتاني بن عبدالله بن السيدة مبروكه بنت الفيتوري، كلهم من الزنتان، ولد سنة 1885م ببلدة مزده، عاش بنفس البلدة فلاحا مثل أهلها، شارك في معارك الجهاد الوطني وكان أحد أعوان الشيخ سالم بن عبدالنبي حيث شارك في عملية احتلال قارة سبها، وصفه الطليان بأنه مقاتل شرس وأنه أحد أركان حرب الشيخ سالم، ووصفه كاتب ليبي يدعى القشاط بأنه انكشاري مخلص تابع لسالم بن عبدالنبي، وهذا الوصف يعد إهانة لمجاهد أفنى عمرة في الكفاح والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله أكبر، علما بأن معنى كلمة (انكشاري) تعني مرتزق أو لقيط !! ونحن على يقين أن مثل هذا الوصف لا ينطبق على مثل هذا الرجل لأنه من أصل شريف وأسرة عربية عريقة، ولقد ظل على الوفاء للخلق والمبادئ السامية التي تربى عليها في مجتمعه العربي الليبي، رحمة الله رحمة واسعة.

المجاهد محمد الدحنوس: رجل مشهود له بالذكاء، وقد ارتبط اسمه بالشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي حيث رافقه أخا وصديقا ومقاتلا حتى عدّ حسب تعبير الطليان أنه واحدا من أركان حربه، شارك في الكثير من المعارك بعد مشاركته في معركة قارة سبها، قال عنه الكابتن الايطالي بترنياني في كتابه (الصحراء الطرابلسية): "كان واحدا من رؤساء المحلة التي قامت بالهجوم على قارة سبها، وهو واحد من أكثر المتمردين شراسة وضراوة، وكذلك فهو المسؤول عن العملية الوحشية ضد جنودنا الذين وقعوا في الأسر بنالوت، وهو

متطرف وعنيد وعديم الوجدان حيث لا يقبل التراجع"، وصف مشرّف من عدو لمجاهد ليبي رحمه الله رحمة واسعة.

المجاهد أحمد المحروق: هو أحد أبطال الجهاد الوطني الليبي وأحد رفاق الشيخ سالم بن عبدالنبي، وقد ذكره الكاتب الايطالي (بترنياني) في كتابه المعنون (الصحراء الطرابلسية) على أن اسمه محمد المحروق الزنتاني وقال عنه أنه أحد أكثر المتمردين الزنتان شراسة، ورغبة منا في التأكد من اسمه وعمره ومكان مولده وبعض المعلومات الأخرى لأن هذا المجاهد يستحق أن يخلد إسمه ولو ببضع كلمات في كتاب يحمل اسم أبرز رفاقه وهو الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع، وقد أفادنا عنه ابن أخيه محمد المحروق والذي قال أن اسمه أحمد المحروق واسم والدته إمباركه الدحنوس وقد ولد ببلدة الزنتان سنة 1885م وتوفاه الله سنة 1955م رحمه الله رحمة واسعة.

المجاهد الشيخ أحمد البدوي: هو العالم الجليل أحمد البدوي بن محمد الأزهري، اسمه مركّب مطابق لاسم أحمد البدوي دفين طنطا بجمهورية مصر العربية واسم أبيه محمد، ألحق به نعت الأزهري لغزارة اطلاعه وعلمه إذ لم يكن من الذين درسوا في الأزهر الشريف واسمه (أي أحمد البدوي) والدته السيد عنايه بنت المليقطه، ولد في بلدة الزنتان سنة 1877م حفظ القرآن الكريم وتضلع في اللغة العربية والفقه على يد والده في زاوية طبقه التي تولى الإشراف عليها من بعد والده، كما تفقّه أيضا على يد الشيخ عيون الغزال البوسيفي ولم

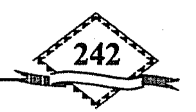
تكن له رحلات علمية خارج الوطن وتلاميذه جم غفير من الناس كأبناء قبيلة الزنتان وغيرها، شارك مجاهدا في سبيل الله في أغلب المعارك، له اهتمام ومشاركة في الطب الشعبي وعلم الأجناس والأنساب وأصول القبائل وكانت له جهود طيبة في المصالحات والتوفيق بين المتخاصمين، رحمه الله رحمة واسعة.

الشيخ المجاهد أحمد السني: هو قائد معركة فروتن ولد بمسلاته في شهر جمادى الأولى عام 1307 هجرية الموافق 1889م والدته عائشة بنت صالح الشريف، عاش فترة في امسلاته ثم انتقل للاقامة مع والدته بمزده وفي سنته الخامسة ابتدأ بتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم الذي أتم حفظه على يد الفقيه عبدالقادر بن لامين الزنتاني وكان عمره وقتذاك اثنتي عشرة سنة، سافر والده عام 1895م إلى الكفرة ومنها إلى السودان الأوسط وبقى هو مع عمه عبدالسلام بمزده وفي سنة 1906م رافق أسرته إلى الكفرة لمقابلة والده الذي رجع من السودان الأوسط في ذلك العام وبقي هناك مدة شهرين ثم رجع لمساعدة عمه في شؤون الزاوية، وعندما كان عمره ستة وعشرون سنة قاد معركة فروتن التي وقعت في يوم 6 أبريل 1915م مع الشيخ أحمد البدوي وكان معهما حوالي 305 من المجاهدين الذين كانوا من مختلف القبائل العربية الليبية بينما كان يقود القوة الغازية الإيطالية المقدم (جانيازي) قائد المنطقة العسكرية في غريان والذي وصل مزده يوم 13 مارس 1915م ثم غادرها جنوبا ليقوم بحركة التفاف نحو الشرق وليلتحم مع جيش مياني بمنطقة سرت وخلال المعركة

حدث أن وقع العديد من الجرحى الإيطاليون وقام أحمد السنى والشيخ أحمد البدوي ومن معهما من المجاهدين بمعاملتهم معاملة حسنة تليق بشهامة وطباع المسلمين ومن بين أولئك الجرحى الملازم الطبيب (فيلتريه) الذي أرسل إلى مزده ورفيقاه للعلاج لأن الإمكانيات المتاحة للمجاهدين لا تسمح بالعلاج الميداني في ذلك الوقت، وقد اعترف بذلك الإيطاليون أنفسهم.

المجاهد المهدى كنيفو: ابن سالم محمد الزنتاني هو بطل معركتي (إدري وأوباري) وكان رفيقا مخلصا للشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الزنتاني، ولد في بلدة الزنتان سنة 1871م والدته تدعى بارقة إبراهيم محمد، نشأ بمنطقة طبقه ودرس القرآن الكريم بزاويتها واحترف الفلاحة كبقية أقرانه في تلك النواحي حيث كانت الفلاحة هي المورد الأساسي للرزق وقتذاك، شارك في العديد من معارك الجهاد الليبي بالإضافة إلى قيادة المجاهدين في معركتي (إدري وأوباري) ومنذ بداية الغزو الايطالي للسيسا سنة 1911م حيث قرر الليبيون المواجهة للدفاع عن بلادهم ودينهم وكرامتهم اندفعت مجموعتان من الزنتان، واحدة من بلدة الزنتان (تاغرمين) والأخرى من مناطق القبلة لملاقاة الغزاة في خط الدفاع الأول (سواني بن يادم والعزيزية) وكان المجاهد كنيفو أحد أبرز قادة مجموعة القبلة، وحدث أنه بعد معركة جندوبه سنة 1913م تلك التي تعرض فيها المجاهدون لخسائر كبيرة وكان على بعضهم نتيجة لذلك أن يتراجعوا إلى الصحراء والجنوب من أجل جمع وتنظيم الصفوف والإستعداد للمرحلة

الجهادية التاليه، وكان للمجاهد المهدى كنيفو دورا كبيرا في إعادة التنظيم وجمع المجاهدين والإستعداد لمواجهة قوات الكولونيل (مياني) المتجهة إلى الجنوب عبر سوكنه، وهكذا اشتبك المجاهدون بعد أحداث معركة جندوبه وبعد أن تجمعوا من جديد، اشتبكوا مع قوات مياني في معارك الشب وأشكده والمحروقه في 24 ديسمبر1913م وقد استشهد في المعركة الثالثة (المحروقه) الشيخ المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي، ونظرا للخسائر الكبيرة بين المجاهدين بسبب حجم القوات الإيطالية من حيث العدد والعدة، تفرق المجاهدون مرة أخرى، وكان على الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي والمجاهد المهدي كنيفو أن يتجها بمن معهما من أقاربهما وحلفائهما إلى رملة زلاف حيث يمكنهما أن ينظما المجاهدين في منطقة آمنة نسبيا لمعرفتهما بطبيعة تلك المنطقة ويستعدا لمعارك يتوقعانها وما هي إلا فترة قصيرة حتى عقد إجتماع هام بينهما وبين مبعوثين من طرف السيد محمد عابد السنوسي في بئر زلاف من أجل التنسيق ووضع الخطط للمواجهة القادمة أو الهجوم حسب تطور الظروف الحربية، وفي هذا الإجتماع تقرر تكوين حملة كبيرة من المجاهدين وبالتالي وضعت خطط الهجوم على ثلاث مواقع وهي (قارة سبها وأوباري والشاطئ) كانت الأولى بقيادة الشيخ سالم بن عبدالنبي والثانية بقيادة المهدي كنيفو والثالثة بقيادة محمد كاوصن يساعده مصباح بن محمد، وتم الإتفاق على القيام بالهجوم على هذه المواقع في وقت واحد لإرباك الإيطاليين، وقد اقتحم الشيخ



سالم بن عبدالنبي ومجاهديه قارة سبها ليلة 27 و 28 نوفمبر 1914م وسيطر عليها بينما حاصر المهدي كنيفو أوباري في نفس اليوم (27 نوفمبر) حسب الخطة العامة للمجاهدين المتفق عليها في اجتماع بئر زلاف وبقي يحاصرها أربعة عشر يوما إلى أن نصره الله ومن معه وسيطروا عليها في معركة فاصلة وقد قتل قائدها بينما استشهد في هذه المعركة سالم كنيفو وهو شقيق المجاهد المهدي كنيفو، وبعد هذا النصر المؤزر طلب السيد محمد عابد السنوسي من المهدي كنيفو قيادة مجموعة من المجاهدين لتحرير غدامس ودرج والواحات المجاورة، وفي أواخر شهر ديسمبر 1914م وصلت قواته إلى غدامس وكانت المجموعة تتكون من مجاهدي الزنتان والسبعه والغنائمه والطوارق والمقارحه ولم يكن عددها يزيد على مائتي مجاهد، وبعد وصولها انضم إليها المجاهدون الموجودون هناك من الرجبان والحوامد وأولاد محمود ومجاهدون من درج، وجرت معركة زمزم الأولى في يناير 1915م والثانية في فبراير 1915م انتصر فيها المجاهدون.

***



الفصل العاشر
معارك الجهاد التي قادها أو شارك فيها مع رفاقه

معركة الهاني: أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا وبدأت هجومها على طرابلس ليبيا في أكتوبر 1911م فسارع من في المدينة وضواحيها إلى حمل السلاح المتوفر للجهاد والدفاع عن مدينتهم بكل ما في حوزتهم من وسائل الدفاع وهي عادة متواضعة جدا (بنادق قديمة وسكاكين وسيوف وفؤوس الخ) لكنهم رغم ذلك السلاح البدائي وعدم كفاءته القتالية مثل البنادق المسماة (بوفتيله وأبوصوانه) وكان وجودها لدى الناس قليلا وهذه لم تكن تعبأ بالخرطوش أو المقذوفات من الخلف وإنما تعبأ بمسحوق البارود وخصلة من نبات الحلفاء أو شبهه من الأمام وتردس بمرداس خاص وتوضع بعده كتلة مكوّرة من الرصاص، كل ذلك يوضع من الأمام أي من فوهة البندقية ثم تشعل الفتيلة وتصوب البندقية إلى الهدف أو ينزل القادح على حجاب الزناد وتكون الصوانة بين فكي القادح فتحدث شرارة تتجه إلى نقرة صغيرة في خلف السبطانة بها ثقب صغير يؤدي إلى البارود فيحدث الإنفجار وهذا يستغرق وقتا طويلا نسبيا إذ لم تكن البنادق من النوع ذي المخزن الثنائي أو الفردي أو الخماسي أو السداسي متوفرة وحتى الذين لديهم بنادق حديثة في نظرهم ونظر غيرهم من المجاهدين لم تكن إلا ما

يعرف باسم (أبي سيف) وهي أحادية التعبئة الخرطوشية، أما الطليان فكانت لديهم بنادقهم الحديثة ومدافعهم الميدانية وبوارجهم الحربية ورشاشاتهم الثقيلة بالإضافة إلى التدريب العسكري المؤثر في ميادين القتال، لقد كانت القوات الإيطالية الغازية التي هاجمت مدينة طرابلس قوات نظامية مدربه، أما المجاهدون فلم يكونوا متدربين عسكريا وحتى من كان منهم على خبرة بالأمور الحربية فخبرته ذاتية محدودة بناء على محاولات الخطأ والصواب والتكرير ليس أكثر، ورغم ذلك فقد صمدوا وأثبتوا شجاعة وجرأة وأمكنهم إصابة الأهداف مما نقل عبر وسائل الإعلام التي كانت معروفة في ذلك الوقت إلى بقاع العالم، وبما أن وسائل الإتصال والمواصلات كانت بدائية تعتمد على السفر أيام وساعات باستعمال الخيل والإبل والحمير والبغال والمشي على القدمين فإن الليبيين الذين يقطنون في الدواخل أو ما يسمى عسكريا بالعمق الحربي أو الإستراتيجي فإن المواطنين في تلك المناطق لم تصلهم أنباء المعارك بسرعة ولكنهم ما أن سمعوا بما حدث في طرابلس حتى تجمعوا في حالات عاجلة في كل قرية أو نجع ليتدبروا فيما بينهم لما يجب فعله مما نتج عنه النزول من الجبال إلى الساحل والسفر من عمق الصحراء إلى ميدان القتال جماعات وأفرادا، ولم يتخاذل أو يتباطأ منهم واحد كائنا من كان فخاضوا ملاحم ضارية، وتذكر الروايات والحكايات المتواترة والأخبار المدونة أن منطقة كالزنتان مثلا

قسّمت فيها الناس جماعات جماعات تتبادل المواقع أسبوعا بأسبوع فالرجال الذين يكون أسبوعهم قتاليا ينخرطون في صفوف الجهاد، وأما أطفالهم فكانوا يصحبون آباءهم في السفر إلى ساحة القتال ليقوموا برعاية الإبل خلف جبهة القتال ويقوموا بإسناد المجاهدين بما يشبه الدعم اللوجستي، وهكذا بالنسبة لكل القبائل المجاهدة ونظرا لظروف الحياة في المناطق التي يعيش فيها هؤلاء الناس وبعدها غالبا عن طرابلس وصعوبة المواصلات فقد كان ذلك عائقا للناس بأن يكون في الميدان خلال الأيام الأولى من الحرب، كذلك فإن الاعتماد على الامداد الذاتي في التموين وغيره تتطلب فترة من الوقت للاستعداد باعتبار أن الحرب قد تطول مما جعل سكان المناطق البعيدة يتأخرون قليلا عن بداية المعركة وإن قد شاركوا مباشرة في معركة الهاني سيدي المصري يوم 26 نوفمبر 1911م في حين أن المناطق القريبة من طرابلس شارك ساكنوها في الحرب منذ الأيام الأولى، ومعارك الهاني هي عبارة عن ثلاث معارك كما يلي: (الهانى شارع الشط 23 أكتوبر 1911م-الهاني أبي مليانة 26 أكتوبر 1911م - الهاني سيدي المصري 26 نوفمبر 1911م)، وتعتبر هذه المعارك من أهم المعارك التي خاضها المجاهدون ضد القوات الإيطالية الغازية عقب عمليات النزول، ومن المعروف أن الإيطاليين قد نزلوا بشواطئ المدينة وأحتلوها دون مقاومة تذكر سوى تلك المقاومة البسيطة التي أبداها حصنا الحميدية

والسلطانية[1] أما الخطة التي اتخذتها القوات الإيطالية التي كانت بقيادة الجنرال (كانيفا) فذات ثلاث قطاعات حربية:

الأولى، منها عند شارع الشط وأبي عيسى من البحر إلى الهاني وإلى سيدى المصرى، والثانية، تبدأ من أبي مليانة إلى باب قرقاش، والثالثة، تبدأ من الهاني حتى سيدي المصري وأبي مليانة حتى يتم تطويق المجاهدين فيتم التغلب عليهم، وقد فوجئت قوات العدو هذه بهجوم المجاهدين قبل استعدادها وبدئها القتال، وقد اعترفت القيادة العسكرية الإيطالية بدقة وحرج الموقف وخطورته رغم الخطة المحكمة التي وضعتها، وقد نقل الأستاذ التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا صفحة 492) اعتراف الإيطاليين فقال: "لقد حاول العرب المسلحون بمساعدة تلك المواقع الغامضة المعقدة الدخول إلى ميدان العمليات ومهاجمة مؤخرة القوات المرابطة على مواقع المعركة وقد استهدفوا بصفة خاصة ثكنة الفرسان ومخزن البارود"

<u>معركة جندوبه:</u> جندوبه أرض منبسطة تحيط بها بعض تلال تقع على رأس الجبل الغربي مباشرة وهي من امتداد أراضي الأصابعة، كان للمجاهدين العرب الأبطال من الزنتان وأولاد أبي سيف وغيرهم فيها معركة ضارية خاضوها ضد الجيش الايطالي المعتدي، وكانت في يوم 23 مارس 1913م ولقد كانت خطة الإيطاليين الحربية تقتضي توجيه قوة نحو جندوبه وقوة ثانية تتحرك من

(1) معجم معارك الجهاد فى ليبيا – التليسى

العزيزية لتطويق المجاهدين من منطروس موقع قرب الرابطة والرابطة الغربية لكي تسهل السيطرة على الجبل الغربي توغلا من الطليان في داخل المنطقة الغربية من ليبيا لكن المجاهدين بقيادة كبار الزعماء من رجال الحركة الوطنية في ذلك الوقت تصدوا للطليان تصدى الأبطال الأحرار الشرفاء، غير أنهم لقلّة عتادهم وعدم إمدادهم وإسنادهم قد فقدوا عديدا من الشهداء ورغم ذلك "فإن قسما كبيرا من المجاهدين لم يلق السلاح وظل على إصراره في مقاومة العدو"[1] ونذكر منهم بالذات أولاد أبوسيف والزنتان والمشاشه حيث انتقلوا إلى فزان تحت لواء محمد بن عبدالله البوسيفي الذي خاضوا معه معركة محروقه التي استشهد فيها.

<u>معركة القاهرة (قارة سبها):</u> تعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة في تاريخ الجهاد الوطني الليبي إذ بعدها مباشرة وعلى إثرها بدأ الطليان في الإنسحاب من مواقعهم وتقهقروا نتيجة هزيمتهم فيها وإنكسار شوكتهم وخسائرهم المادية والمعنوية الكبيرة في الأرواح والمعدات، وبعد تلك الهزيمة المدمرة لعنفوانهم مالوا إلى مهادنات مغلّفة وإستمالات لبعض ضعفاء النفوس والطامعين، غير أن العرب الليبيين لم يتيحوا لهم الفرص لتمرير مخططاتهم بل كانوا طيلة وجود الأعداء في منطقة من المناطق يشنون عليهم المعارك تلو المعارك ويكيلون

(1) معجم معارك الجهاد فى ليبيا ص – 109 – التليسي

الضربات تلو الضربات لهم ولمن انضم إليهم أو سار في ركابهم أو مال إليهم حربا أو إستخبارا، ويتلخص الكلام عن معركة قارة سبها التي خاضها المجاهدون بقيادة الشيخ سالم بن عبدالنبي الناكوع الزنتاني (مساء يوم 27 نوفمبر 1914م) وكان أولئك المجاهدون الأبطال من عدة قبائل هي (زنتان، غنائمه، أولاد بريك، حساونه، قوائد، قديرات، مقارحه، حطمان، سهكه، زوائد، وفزانيين) حسب ما أفاد المجاهد سليمان الباروني في مذكراته التي عنوانها (صفحات خالده) والتي أعدتها ابنته (زعيمه الباروني) ونعتقد أن الباروني قد أبلغ بتلك المعلومات لأنه لم يكن موجودا بالجنوب الليبي[1] ولنا تعليق على كلام الشيخ سليمان الباروني في شأن قلعة قارة سبها حيث أورد حديثا عنها قائلا: "علي الشنطه لم يكن موجودا مع المجاهدين الذين احتلوها بالرغم من أنه يذكر أن الشنطه كان قائدا للقافلة التي تحمل الغنائم منها للذهاب بها إلى (واو) ونسي أو تناسى قول بترنياني وهو الضابط الايطالي الذي أسر فيها ليلة الهجوم وكان قد اقتيد إلى مكتب الكولونيل (مياني) فوجد سالم بن عبدالنبي وراء منضدته وعلى الشنطه يسجل الغنائم وكان ذلك عند الساعة الخامسة وأربعين دقيقة صباحا حسب قول بترنياني نفسه الذي بقي سجينا في (واو) سنة كاملة وقد سجل ذكرياته وما شهده في كتاب بعنوان (الصحراء الطرابلسية)

(1) انظر ص – 134 صفحات خالده من الجهاد، جمع وترتيب زعيمه الباروني

ونعتقد أنه أوثق في معلوماته من أي مراقب آخر" وربما يكون للشيخ الباروني عذره لأنه نقل معلومات سماعية وهو لم يكن من المتواجدين بفزان وجاءته الأخبار متناثرة فسجلها كما هي دون أن يتحقق منها معتقدا صدق ناقليها إليه.

ونجد الأستاذ خليفه التليسي يقول عنها في كتابه (معجم معارج الجهاد في ليبيا: "وقام المجاهدون مساء يوم 27 نوفمبر 1914م بمهاجمة القلعة (يقصد قلعة القارة) واستولوا عليها بالتعاون والإتفاق مع الجنود الفزانيين العاملين في الجيش الايطالي وقد فوجيء أفراد الحامية الإيطالية عند الساعة الرابعة صباحا بالمجاهدين وهم يفرضون سيطرتهم المسلحة على القلعة وذهبت عبثا جميع محاولات الحامية الإيطالية لإستعادة السيطرة وقد قتل منهم من قتل وأسر الباقي وخرج أمر السيطرة على سبها من أيدى الإيطاليين بهذه الحركة البارعة، وما كاد يعلم الكولونيل (مياني) بذلك حتى اتخذ طريقه رأسا إلى سوكنه تاركا بقية الحامية تواجه مصيرها، وكانت هذه من الضربات العنيفة التي وجهت لحملة مياني وهي جزء من العمليات الموفقة التي انتشرت في ذلك الوقت في القبلة وفزان والجفرة ضد الحاميات الإيطالية والقوات الإيطالية عموما"[1]، ولا يؤخذ على الأستاذ التليسي إلا قوله بالتعاون والإتفاق مع بعض الجنود العاملين في الجيش الايطالي حيث أنه عبّر عن شخص واحد بكلمة بعض مما يوحي بأن العدد قد يتجاوز خانة الأفراد، ويؤخذ عليه أيضا أن ذلك الشخص

(1) ص 274-275 – معجم معارك الجهاد فى ليبيا – التليسي

يدعى سالم الحطماني وهو من الجنود المنضمين إلى حامية الطليان في القلعة وكان قد دلّ المجاهدين على طريق خلفي يقود إليها بعد أن أجبره سالم بن عبدالنبي ولم يتركه يفلت من يده حيث كان يقوده بحبل طرفه على كتف الحطماني وطرفه الآخر في يد سالم خوفا من هروبه وتحوّطا وهدده بأنه لو أخبر أو تكلم بكلام يفهم منه صراحة أو رمزا بأن المجاهدين في طريقهم إلى القلعة سيكون مصيره الموت، ولكن الحطمانى لم يفه بكلمة لأحد ولم يرمز إلى شئ حتى انتهى الإستيلاء على القلعة (قلعة القاهرة) وقد يكون سكوته وسلوكه هذا ناتج عن صدق نيّة في مساعدة المجاهدين، وربما إقتناعا بما يقوم به لأنه في النهاية ليبي يحس بما يجري في بلاده، أو لخوف من القتل والله أعلم.

ومعركة قارة سبها نتيجة لأنها ضربة مميتة للغطرسة الإيطالية لم يستطع غراتسياني أن يتحث عنها في كتابه (نحو فزان) واختصر الحديث عما كان يشعر به من أسى وحصرة وحزن وضيق في سطرين اثنين فقط نوردهما نصا حسب ما وردا على الصفحة 17 : "وبعد الهجوم على سبها في 27 نوفمير 1914م واستيلاء الثوار عليها اتسع نطاق الثورة إتساعا كبيرا وتلا ذلك سقوط أوباري[1] وهذا التعبير على قصره يدل دلالة واضحة أنها كانت أما للملاحم التي جاءت بعدها وخاضها المجاهدون بكفاءة وشجاعة بالغتين، وتظهر حالة الإضطراب والإنكسار النفسي والإنهيار المعنوي لدى قادة الحكومة الإيطالية العسكريين

---

(1) ص 17 من كتاب نحو فزان – تأليف الجنرال غراتسياني

والسياسيين في تعبير غراتسياني القائل "ولما فوجئت الحكومة بهذه الحوادث وكانت تعوزها القوة لمواجهة الموقف أصدرت أمرها للكولونيل مياني بسحب الحاميات من فزان ونزولا على هذا الآمر أخذ الكولونيل مياني بعد أن عمل على إنقاذ مواطنيه في مرزق في التراجع من براك حيث كان معسكرا هو وجنوده وأتجه إلى سوكنه في أول ديسمبر وبلغ مصراتة في 25 منه وفي هذه الأثناء كان قد بدأ تراجع حامية غات وبعد ذلك مباشرة 27 يناير 1915م تم إخلاء الجفرة" .

<u>معركة محروقه :</u> محروقه قارة تقع غربي آقار في وادي الشاطئ على شمال المتجه إلى برقن بالطريق الحالي المعبّد وقد وقعت بها معركة من شهيرات المعارك التي أبلى فيها المجاهدون من أولاد بوسيف والزنتان ومن انضم إليهم من قبائل أخرى بلاء حسنا وكانت بقيادة المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي رحمه الله رحمة واسعة، وكانت قوات الإيطاليين بقيادة الكولونيل مياني مسلحة بأسلحة متقدمة جدا قياسا بأسلحة المجاهدين وهي تتكون من سبعمائة وخمسة وسبعون جنديا ومجندا مع 12 مدفع ثقيل ورشاشين من العيار الثقيل، أما المجاهدون الذين كانوا في المعركة فلا يزيد عددهم على 500 مجاهد وهم من (أولاد بوسيف والزنتان والمشاشى ومن انضم إليهم) وقد خاضوا تلك المعركة بشجاعة وإقدام وهي التي اتسمت بالضراوة والتي تكبد فيها العدو خسائر فادحة حيث قتل عدد كبير من ضباطه وجرح العديد من جنوده وقد

دامت المعركة خمس ساعات متواصلة لم تهدأ فيها المعارك ولا توقف القتال[1] ويذكر أن المصادر الإيطالية تعتبرها من المعارك الحاسمة في تاريخ الحملة العسكرية على ليبيا .

1 -معركة مرسيط – الخدامية:

خرمة الخدامية ربوة عالية منفرده في وادي مرسيط الشهير شهدت معارك حامية الوطيس بين الطليان وأتباعهم من ضعاف النفوس من جانب والمجاهدين الليبيين من الجانب الآخر ويصعب في هذا الوقت بسبب البعد الزمني أن يذكر أي كاتب كل القبائل المشاركة في تلك المعركة الشهيرة ولهذا نلتمس العذر مقدما من اي قبيلة شاركت في المعركة ولم يذكر اسمها لأن الباحث قد لا يكون في إمكانه الإحاطة الشاملة إذا لم تكن لديه تقارير وشهادات واضحة صحيحة موثّقة وموثوقة تتحدث عن المعارك التي هو بصدد الكتابة. عنها وإنما يستقي معلوماته والحالة تلك من بعض الأحياء في عصره وما يتوفر لديه من روايات وأخبار متداولة، وتتخلص الأحاديث والوثائق عن معركة الخدامية في أن الزنتان والغنائمه والقديرات والسبعة والرجبان والقنطرار والسنية وغيرهم من المجاهدين قد خاضوها بضراوة وحنكة وشجاعة نادرة الوجود، ويكفي الحديث عنها ما ذكره الأستاذ التليسى على الصفحة 220 في كتابه القيم (معجم معارك الجهاد في ليبيا) نورد هنا نصه: "خرمة الخدامية موقع

(1) ص 456 كتاب معارك الجهاد فى ليبيا – التليسى

قرب مزده بذلت الحكومة الإيطالية محاولات يائسة للأحتفاظ بمواقعها في الجبل والقبلة ومناطق سرت وورفلّه، بعد إنسحابها من فزان سنة 1915م وقامت بتجريد قوات كبيرة لهذه الغاية وتنظيم حملتين كبيرتين الأولى ضد القبلة والثانية ضد سرت، وجمعت في آخر مارس 1915م قوات في مزده للقيام بشن هجوم على وحدات المجاهدين هناك في محاولة للقضاء على الثورة، خوفا من انتشارها إلى المناطق الجبلية، وتحركت هذه القوة من مزده في يوم 3 أبريل حيث وصلت في الخامس من إبريل إلى خرمة الخدامية وهناك فوجئت بهجوم عنيف أثار الرعب في صفوفها، وعطل قوتها (6 أبريل 1915م) وتعتبر هذه المعركة جزء من المعركة التي جرت في اليوم التالي بوادي مرسيط[1]

2 – معركة مرسيط – فروتن:

تتكون ملاحم مرسيط من ثلاث واقعات (معركة) وإن عرفت جميعا باسم واحد شامل الموقع الجغرافي الذي وقعت فيه، ذلك أن وادي مرسيط يضم خرمة الخدامية باعتبارها واقعة فيه وقد أشرت إليها آنفا، أما الملحمة الثانية فقد وقعت في جزء من الوادي إذ أن وادي فروتن يعتبر فرعا من فروع وادى مرسيط وإمتدادا له، وفي الحديث عن فروتن يجب أن نتذكر ما قاله غراتسياني في كتابه (نحو فزان) حيث اقتنع بأن القبلة هي غرفة الإنفجار في القطر الطرابلسي، فقد كانت منطقة رئيسية كما قال التليسي "من مناطق الثورة والتوتر والرفض

(1) كتاب معجم المعارك فى ليبيا – التليسي

للاحتلال الإيطالي سواء من المراحل الأولى والأخيرة في الجهاد[1] فإن الذين كانوا في القبلة من القبائل جميعهم يأنفون من الخضوع لأي كان إلا الله ولا يرتضون أن يعيشوا في الذل والهوان تحت ظلال أعلام المستعمرين ذلك أنهم قد تربوا على الحرية وعاشوا بها، وهم جميعا في طباعهم سواء بسواء لا فرق بينهم مستديم الإقامة في القبلة أو الطارئ نازح إليها من أماكن وجوده بعد سيطرة الإيطاليين إلى تلك الأماكن لا هربا وإنما لإستراتيجية حربية حكيمة إستردادا للنفس وإستعدادا لخوض الجهاد من جديد، وقد كانت فروتن من المناطق التي انطلقت منها الشرارات الأولى للثورة على الوجود الايطالي، إذ تصدى الناس جميعا في القبلة من مختلف القبائل (زنتان ورجبان وأولاد بوسيف ومشاشه وقنطرار وغنائمه وقديرات... الخ) بالتصدي لحملة مياني على فزان بقيادة محمد بن عبدالله البوسيفي وزملائه الأحرار من زعماء الجهاد يذودون عن الدين والأهل والوطن، (كما كانوا خلف الهزيمة النكراء التي لحقت بإيطاليا في معركة وادي مرسيط يوم 7 أبريل 1915م التي سبقت معركة القرضابية وكان لها من الأثر على الاحتلال الايطالي ما أدى إلى هز هيبته واندحاره وانسحابه من المناطق الداخلية، وفي نطاق حركة المقاومة التمهيدية جرت معركة وادي فروتن يوم 17 يناير 1915م وكانت واحدة من سلسلة المعارك التي شهدتها المنطقة في تلك الفترة.

(1) معجم معارك الجهاد فى ليبيا - التليسي

3 -معركة وادى مرسيط:

في إطار التشبث اليائس والمحاولات التي باءت بالفشل أمام تصميم المجاهدين وعزيمتهم كان الطليان يصبون جام غضبهم وحقدهم وعنجهيتهم على كل حي في ليبيا ويفسدون كل نبات ويدمرون كل أثر من آثار الحضارة العربية الإسلامية فيها وامتد بهم حقدهم إلى الصحارى يطاردون القبائل الناجعة ويرمون قنابل طائراتهم ومدافعهم على كل من يرصدونه يتحرك سواء كان مسلحا أو غير ذى تسليح، فهم كانوا في حالة توتر نفسي وعصبي ناتج عن فشل خططهم وجبنهم وكل من انحاز إليهم، والتوتر عادة ما يدفع إلى الدمار بضربات يحسبها المتوتر هي التي تكون المخرج والمهدّي لكنه متى يلاقى مقاومة عنيدة وجبهة قتالية شديدة خططها سديدة لا يفلح فيما أراد أو تمنى، وهذا هو ما حدث للطليان والمتطلينين في مرسيط حيث كانت واقعاته ثلاث عرفت بفروتن والخدامية ومرسيط، والموقع واحد لكن التسميات جزئية وقعت في كل جزء معركة، وهذا التكرار يدل دلالة واضحة على هزيمة العدو الداخلية مما بعث فيه روح الإنتقام في كل مرة، ويدل بجلاء على صبر المجاهدين وحسن بلائهم وتشبثهم بأرضهم وفدائها بدمائهم الزكية الطاهرة (فعلى أثر الثورة التي اندلعت في القبلة والجنوب وأدت إلى انسحاب الحاميات الإيطالية بالدواخل وتقلص النفوذ الايطالي أبدى الوالي الايطالي (تاسوني) محاولات يائسة للتشبث بالمواقع التي كانت بيد الإيطاليين، وكان يستجيب في ذلك إلى توجيهات الحكومة

المركزية التي هالها إنهيار الوضع، وإلى شعوره الشخصي بعدم وجود ما يبرر هذه الإنسحابات الواسعة، وقد اندفع تحت هذا الشعور المغرور إلى تشكيل قوتين كبيرتين للقيام بعمليتين حربيتين رئيسيتين في القبلة ومنطقة سرت، وقد انتهت الأولى بالهزيمة المنكرة التي تعرضت لها القوة الإيطالية في خرمة الخدامية ووادي مرسيط والثانية في معركة القرضابية المشهورة، وتعترف المصادر الإيطالية الرسمية بأن الواقعتين قد سجلتا نهاية النفوذ الايطالي في القبلة ومنطقة الخليج وأدتا إلى تراجع الإحتلال الايطالي وانحصاره في بعض المراكز الساحلية[1]، وملخص هذه الواقعة أن قوات كبيرة متكونة من جنود إيطاليين ومن ضعاف نفوس ليبيين انضموا إليهم يحاربون في صفوفهم تحركت لإخماد روح الثورة والجهاد في الجبل الغربي والقبلة بقيادة العقيد (جانينازي) القائد الايطالي لمنطقة غريان العسكرية تسندها وسائل الحرب الحديثة وكان عدد الجنود الطليان والمتطلينين 1400 جندي، أما عدد محلة المجاهدين فكان 400 مجاهد من مختلف القبائل التي أبت الإنصياع للطليان أو غيرهم، وهي تتألف من الزنتان ومن كان في صف الجهاد معهم من الليبيين مثل الغنائمه والقديرات وأولاد أبي سيف وقنطرار وغيرهم، وكان المجاهدون بقيادة أحمد السني وغيره من المجاهدين الزنتان يعسكرون في تاقجّه وقد بعثوا بطلائعهم إلى خشم فروتن ووصلت القوات الإيطالية والمتطلينة إلى وسط وادي مرسيط

(1) كتاب معرك الجهاد في ليبيا، التليسي

وبدأت في نصب الخيام وإعداد الموقع للقتال لكنها فوجئت بالرصاص ينهمر عليها من بنادق المجاهدين مما أثار الفزع والإضطراب في معسكر الأعداء كله ولقد وصف العقيد بيلاردينيلي هذه المعركة في كتابه (القبلة) ووصفه لها ما هو إلا شهادة منتزعة من الأعداء فيقول "لم يستغرق كل ذلك سوى لحظات قليلة ولكنه أثار الفزع بين القوات غير النظامية التي لاذت بالفرار بعد أن جرّت معها بعض أفراد القوات النظامية وقد اضطر الضباط إلى استخدام السلاح وشهروا مسدساتهم في وجوه الجنود النظاميين لإلزامهم بالصمود ومواجهة المجاهدين"[1].

وبحسب ما أورد الرواة أن الذين كانوا متطلينين من الليبيين يحاربون في صفوف الأعداء كانوا وهم في الطريق قبل بدء المعركة يرددون في أغانيهم الحماسية والمتخاذلة وأهازيجهم المتناحزه هذا البيت:

(السني اللي مدّلل برأسه نمشوا له ويجي بالكاصه)

أما سليمان الباروني وإن كان شاهد عيان لزمن المعركة فإنه لم يحضرها لبعد المسافة بين مكان وجوده وبين مكان وقوع المعركة، ولكنه تحدث عنها حديثا قد يكون سمعه من أناس ذوى مآرب مختلفة فصدّقه ولخّصه في كتابه

(1) كلام بيلاردينيلي حسب نقل التليسي عنه فى ص 519 من كتاب معجم معارك الجهاد فى ليبيا يدل على أن الطليان أنفسهم كانوا فى داخلهم يلعنون المتطلينين بدليل وصف هذا العقيد بالفرار من أول وهلة وأن الضباط شهروا المسدسات فى وجوههم إستهانة بهم، فلعنة الله والناس أجمعين على الخونة والعملاء.

(صفحات خالدة) الذي هو عبارة عن رسائل وبرقيات ومذكرات جمعتها ورتبتها ابنته زعيمه الباروني فإننا نراه يلخص الواقعة في قوله "وأحاط بهم المجاهدون من كل جهة وفي نصف ليلة 22 جمادى الاولى عند طلوع القمر باشروا في الرفع على الإبل للفرار وعند الفجر تحركوا تاركين أشياء كثيرة جبخانه ومأكولات ومدافعهم وما شابهها فاقتفى أثرهم المجاهدون قبل أن يتمكنوا من طريقهم فتشتتوا وطاردهم المجاهدون من الفجر إلى الظهر فقتلوا كل من التجأ إلى الجبال والأودية ونجا من ذهب مع الجادة وتركوا مدافعهم 3 والماترليوز 1 (وفي هذه الأثناء وصل خليفة بك وتلاقى مع الغزى في جهة غدامس) و40 صندوق فوشيك و50 صندوق جبخانه مدافع وكهرباء"[1] إلى تجمعت قرب مزده وابقوا معه واحدا وأرسلوا واحدا فأعطى الخبر لمزده، فأتوه ورفعوه أوتومبيلجيا[2] سلموه لصفي الدين بواسطة البدوي وهم وأسارى الزنتان 45 وأسارى نالوت وهم 230 فتركهم في ترهونة وكان الوقت زرعا وقد مسكوا نحو 80 أسيرا عربيا استخدموهم هم وشباكهم في حصاد زرعهم[3] – انتهى

(1) يعنى سيارة

(2) سائق

(3) صفحات خالده ص 143 جمع وترتيب زعيمه الباروني، الجزء الأول من الكتاب الثاني

ويذكر الأستاذ التليسي ما قالته الأجهزة الحربية الإيطالية الإستعمارية بقوله "وتوفرت الأجهزة الحربية الإستعمارية على دراسة الأسباب الكامنة وراء هذه الهزيمة فانتهت إلى تحديد العوامل التالية:

1 – ضعف جهاز المخابرات وقلّة المعرفة بأحوال السكان وأوضاع المنطقة وعدم التقدير الصحيح لقوة المجاهدين وتنظيماتهم.

2 – الطريقة الساذجة التي اتبعت في تجنيد القوات غير النظامية التي كانت تضم عناصر حاقدة على الإيطاليين" [1]– انتهى

هذه وجهة نظر إيطالية، أما نحن فنقول أن العامل الرئيسي في انتصار المجاهدين كان الإيمان والشجاعة والثبات والعزيمة مما جعلهم يتغلبون على الأعداء ويأسرون ويقتلون ويغنمون ما أورده الباروني في حديثه عن هذه المعركة، ويثنّي التليسي على هذه المعركة فيقول : "لقد كانت هذه المعركة ومعركة القرضابية نهاية للهيبة الإستعمارية الإيطالية، وكانت هزيمتهم بهذه المعركة من أفدح الهزائم التي لحقت بهم في تاريخهم الإستعماري بليبيا بالنظر إلى النتائج الخطيرة التي ترتب عنها، ولم تستطع القوات الإيطالية أن تعود إلى هذه المنطقة في نطاق الحملة الثانية سنة 1924م"

(1) انظر ص 519 وما بعدها من كتاب معجم معارك الجهاد فى ليبيا، التليسي، وانظر معركة الخدامية ومعركة فروتن فى نفس المصدر.

معركة القرضابية:

من المعارك الحاسمة التي خاضها المجاهدون الليبيون ضد الغزو الايطالي في فترته الأولى وكانت يومى 28 و 29 إبريل 1915م وتعتبر هذه المعركة من أعظم المعارك في تاريخ الجهاد الليبي بسبب توحد القوى الوطنية بها من الشرق ومن الغرب ومن الجنوب وقد كان للزنتان نصيبهم في المشاركة حيث شاركوا بمجموعات من المجاهدين كعادتهم في معارك الجهاد الوطنى، ومثلها معارك سابقة أشد هؤلاء وأكثر معاناة، ولكن هذه المعركة ومعركة الكردون بالزنتان ومعركة قاهره بسببها كانت من المعارك الفاصلة، التي أجبرت فيها قوات الإحتلال على التراجع مدحورة مهزومة إلى الساحل إذ لم تبق تحت سيطرته إلا بعض النقاط الساحلية، فقد توقفت العمليات الحربية فترة تجاوزت السبع سنوات حتى تم استئناف العمليات الحربية الإيطالية في الفترة الثانية منذ عام 1922م إبّان ظهور حكومة موسوليني والتي عرفت بالاسترداد أو بلغتهم (لا ريكونكويستا) أي إعادة الإحتلال والتي بدأت بنزول القوات الإيطالية في مصراتة (قصر أحمد) وانتهت في المنطقة الشرقية من ليبيا بعد إعدام عمر المختار شيخ المجاهدين يوم 19 سبتمبر 1931م وعلى الرغم من أن أغلب المصادر الإيطالية تحاول التغاضي عن هذه المعركة كعادة العدو في التقليل من شأن حركة الجهاد، إلا أن العدو قد تكبد فيها خسائر فادحة ليس أقلها سقوط هيبة إيطاليا وفقدان كل مواقع قواتها في الجنوب والوسط والغرب الليبي

واندحارها إلى نقاط ساحلية محدودة، وبالتالي جعلت عمليات إعادة الإحتلال الثانية عمليات حربية كأنها لم تخض من قبل في هذه المناطق، وتعتبر هذه المعركة تأكيدا لما مني به الكولونيل مياني من فشل ذريع وإخفاق كبير في حملته على فزان، نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة التي أبداها المجاهدون الليبيون في معارك الشب وإشكده والمحروقه بزعامة المجاهد محمد بن عبدالله البوسيفي شهيد محروقه في ديسمبر 1913م وغيره من الزعامات الوطنية الشريفة التي رافقت ذلك البطل بعد معركة الأصابعة (جندوبه) في مارس 1913م واتجهت قوافلها إلى الجنوب للتربص بالمستعمر الايطالي الزاحف إلى مناطق الوسط والجنوب الليبي، والتي تكبدت فيها إيطاليا هزائم أخرى زادت وسرّعت من تحطيم أسطورة أبطال وجنرالات الأكاديميات العسكرية الإيطالية، وكان من بين تلك الهزائم سقوط قلعة (قاهرة) بسببها يوم 28 نوفمبر 1914م كما تحطمت مع تلك الهزائم المتتالية أحلام إعادة أمجاد القائد الروماني (كورنيليو بالبو) وكانت رغبة القادة الإيطاليين أن يعيدوا ذلك المجد إذا ما هزموا المقاومة في عام 1915م فكانت النكبات المختزنة في رحم القدر قد قذف بها إليهم في هذا العام في معركة وادي مرسيط في 7 إبريل 1915م بغرب ليبيا، وكانت الأخرى في انتصارهم في وسطها يومي 28 و 29 إبريل من العام نفسه وهي ما تعرف في المصادر الإيطالية بمعركة قصر أبي هادي (القرضابية) وفيما يلي بيان بعدد القوات الغازية وعدد المجاهدين مقابل الطليان(84 ضابط

إيطالي، 900 جندى إيطالي، 2089 من المجندين الملوّنين "باندات"، 300 من رجالات المحلات المحلية التي جندها مياني، 250 فارسا من المجندين المحليين، 12 مدفعا، 2000 جمل محمّل بالمؤن والذخيرة)، أما قوات المجاهدين فقد كانت لا تزيد على 1500 مجاهد، ومقارنة بين 1500 مجاهد مقابل 6500 مقاتل في الحملة الإيطالية يتضح إيمان المجاهدين وإصرارهم على مجابهة العدو مهما كان عدده وعدته، قال تعالى ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:249]، وما تميزت به الفطنة العربية حطمت ما فعلته الأكاديميات العسكرية الإيطالية من تخطيط وتكتيك وإسناد لوجيستي، إذ أن من جنّدهم الكولونيل مياني قسرا وزج بهم في هذه الحملة عرفوا كيف تكون النهايات ومنهم رمضان السويحلي والشيخ الساعدي بن سلطان والمبروك المنتصر الترهوني وغيرهم من الأبطال الذين اضمروا في أنفسهم الانتقام من المحتل الإيطالي في الوقت المناسب، ففي يوم 28 إبريل 1915م وبعد أن انطلقت تلك القوات من بئر القداحية يوم 14 إبريل من نفس الشهر واشتبكت مع طلائع المجاهدين في (أبي شناف) ثم واصلت زحفها على القرضابية مستهدفة قوات المجاهدين هناك وعند اندلاع القتال ركزت قوات المجاهدين بقيادة السويحلي هجومها على الجانب الأيسر من تلك الحملة والذي كان يضم محلات مسلاته وترهونه، وهنا وقع ما لم يكن يتوقعه العدو

والقائد مياني حيث انقلبت هذه المحلات مع المجاهدين ضد القوات الإيطالية وكذلك فعلت محلة مصراتة بزعامة رمضان، وأدى هذا الإنقلاب المفاجئ إلى اختلال كل الخطط التي وضعها ذلك الكولونيل السئ السمعة والسيرة وانقلب السحر على الساحر، كما يقول المثل وجرّع العدو كأسا شديد المرارة من كؤوس الهزيمة والمذلّة والمهانة، تجرّعه مياني وقواته الإيطالية الظالمة، وتلقى صفعة أخرى سددها مجاهدونا الأبطال في سجلات التاريخ الملئ بالأمجاد والبطولات والتضحيات، ونجد الجنرال الايطالي غراتسياني قد سجل في كتابه (نحو فزان) انطباعاته عن هذه المعركة حيث قال: "قررت الحكومة القيام بعمليتين هامتين واحده في القبلة والآخرى في سرت، ولكن الأولى باءت بالفشل في المعركة المشؤومة التي وقعت في وادي مرسيط 7 إبريل، وأما الثانية فقد انتهت نهاية أليمة في قصر بوهادي 29 إبريل"(1).

ولقد حاول الإيطاليون خلق مبررات لهذه الهزيمة بأن أوجدوا لها التعليلات الواهية التالية:

1- غدر المحلات الوطنية

2- ضعف الحس السياسي لدى الكولونيل مياني وانخداعه في العناصر الوطنية

3- تجاهله للأحداث التي وقعت في القبلة وهزيمة القوات الإيطالية في وادي مرسيط يوم 7 إبريل 1915م .

---

(1) الجنرال غراتسياني – كتاب نحو فزان – مكتبه صائغ القاهرة 1976 – ص 18

4- تصعيد الكولونيل مياني للموقف بإقدامه على الأعمال الإنتقامية والتجنيد الإجباري القسري[1] .

ونحن نقول بأن أسباب هزيمة الإيطاليين هي إيمان وصلابة وشهامة العرب الليبيين ووطنيتهم تصديقا لقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:39] صدق الله العظيم ، وفيما يلي قائمة بأسماء المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعركة وكذلك الذين جرحوا أو سجنوا أو أسروا أو نفيوا طبقا لما ورد في كتاب (القرضابية) لحبيب وداعه وآخرون[2] : "عدد المشاركين في المعركة 4141 مجاهدا، عدد الشهداء 1045 مجاهدا ويضم العدد شهداء المحلات التي أنقلبت على الطليان، عدد الجرحى 689 مجاهدا ، عدد الأسرى والسجناء والمنفيين 317 مجاهدا من بينهم من الزنتان محمد عمار ضوء دلاله وعامر عون عامر البومبه ومحمد البومبه وعمر لامين "[3] وفي هذه الحالة وبإمعان النظر في عملية الإعداد لهذه المعركة يتبين بجلاء ما أعده المجاهدون لها وغيرها من المعارك، عملا بقول الله عزّ وجلّ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:60] ، ولقد

(1) التليسي – كتاب معارك الجهاد فى ليبيا وكتاب المنفيون الصادر عن مركز جهاد الليبيين

(2) القرضابية – سلسلة معارك الجهاد – مركز جهاد الليبيين – 1990 – ص 129- 211

(3) تسجيلات مركز جهاد الليبيين ضد الطليان

تناول أحداث هذه المعارك القشاط وكعادته في مجافاة حقائق التاريخ وهو دائما لا يهتم بالمصادر أو المراجع ولا يلتفت إلى قراءتها أو الاطلاع على نصوصها ليستقي منها ما يمكن أن يدعم فكرته حتى في التزوير، أو يصحح ما قد يشتبه عليه أو ما يتعارض مع الأخبار التي ترد إليه في ظروف وملابسات زمانية ومكانية لها تأثيراتها في فهم الأحداث وتفسيرات الدواعى والنتائج، فالخبر يكون عادة نتيجة مباشرة لتوجيه السؤال ومنهجية التوجيه ومراد السامع قد يكون له النصيب الأوفر في الفهم خاصة إذا كان مصرا على إجابة معيّنة فإنه والحال هذه قد يكتفي بفقرة أو فقرتين من الإجابة ويستغني عن بقية ما يقوله الراوي لتثبيت النية من قبل المستجوب وتوظيف ما يكتفي به ومن ثم الحكم على القضية التي تشغله فكريا ونفسيا وبالتالي ينطبق عليه قول سادتنا العلماء (الفتوى على قدر السؤال)، وقد يبيّت الكاتب غير المحايد علميا نيّته على بتر الخبر أو النص المستشهد به ليغرس شبهة محددة مسبقا لديه فيجتزئ نصف أو ربع الحديث أو النص ليجعل منه تربة أدبية تاريخية صالحة لإثبات شبهته في أذهان القراء ويستغفلهم بإدعائه النقل من غيره، ويبدو أن هذا وغيره غاية ما كتبه القشاط ولنا دليلنا على ذلك فيما تركه من نصوص كتاب الأستاذ خليفه التليسي المعنون (بعد القرضابية) وهو أشهر من نار على علم كما يقال وقد طبع سنة 1978م والنصوص وردت تحديدا في الصفحات (84 و 85) حول معركتي (الجوش والوخيم) ذكر فيهما الكاتب التليسى : "وهكذا نشبت معركة

الجوش وهي من المعارك التي دارت في هذه المنطقة دفاعا عن الجبل، وقد بدأت المعركة عند الساعة الثامنة والنصف من يوم 12 يونيو عندما قامت مجموعة من المجاهدين بمهاجمة الجناح الأيمن لقوات غراتسياني، وقد أخذت قوات المجاهدين تتزايد بذلك العدد الذي تحول عن الوادي الوخيم إلى المواقع الجديدة وكانت مؤلفة من الزنتان والرجبان والحرابه والصيعان وغيرهم، ويقول غراتسياني عنهم (إنهم أقوام محاربون زادت من جرأتهم الانتصارات التي حققوها ضدنا سنة 1915م)"، ويؤكد الأستاذ التليسي في كتابه هذا بقوله: "لقد كان من قادة الجهاد في هذه المنطقة الحاج محمد فكيني والشيخ سوف المحمودي وأحمد السني وغيرهم وقد قدّرت المخابرات العسكرية الإيطالية عدد المجاهدين بـ(الزنتان 1500 بندقية، الرجبان 1000 بندقية، الصيعان 500 بندقية، الحرابه 500 بندقية، الرحيبات والريباينه وأولاد محمود والحوامد والخلايفه 1000 بندقية"[1] انتهى

ومن المعروف تاريخيا ومنهجيا أن الرواية الشفوية سند أصلي متى كان الراوي شاهد عيان، والذي استمع للرواية محايد علميا، وأما إذا كانت نصوص مكتوبة أو دراسة واقعية مستندة على أرقام وتقارير فالرواية تتحول إلى الدرجة الثانية من الإعتماد عليها فيستأنس بها لتغليب فكرة إيجابية عن نتائج الدراسة أو البحث، وهنا تظهر حولها تساؤلات سلبية بقصد إثارة أو إثراء الآراء حول

(1) بعد القرضابية – تأليف خليفه التليسي – إصدار الدار العربية للكتاب 1978م – ليبيا تونس

المكتوب، أما تعويض الرواية وإيهام القارئ بما يفهمه الكاتب منها والتعتيم على بعض الفقرات أو الكتابات فذلك يثير الشك ويعمم ضبابا فكريا على الحدث المروي الشئ الذي لا يليق بكاتب أن يلجأ إليه، ومن يرجع إلى كتابة القشاط عن هاتين المعركتين سيجد التحوير والتزوير واضحا جليا.

معركة الكردون:

الكردون ربوة مرتفعة من ربى منطقة الزنتان[1] تتوسط البلدة القديمة تقريبا بجانب سوق الزنتان القديم، ونظرا لموقعها الإستراتيجى اتخذ الإيطاليون هذه الربوة نقطة إرتكاز لحاميتهم التي أقاموها في ربيع سنة 1913م بعد احتلال الجبل الغربى، بقصد رصد تحركات الأهالي والمجاهدين، وتطل هذه الربوة على مساكن معظم أهالي الزنتان رغم تطويق الشعاب لها كالسوار بالمعصم، وقد اتخذ هذا الموقع في العهد الفاشيستي أكتوبر سنة 1922م مركزا لأمن القوات الإيطالية، والمكان ذاته صار موقعا لسجن وإبعاد وإعدام العديد من مجاهدي الجبل الغربى، وهو دليل ما زال شاهدا في عين المكان على أولئك الشهداء

(1) تذكر كتب التاريخ ان قبيلة الزنتان لها صولة ومنعة وهى ترجع الى فخذ عوف من بنى سليم وجدها الأول الحسن بن المحسن الحجازى النجدى الذى جاء الى ليبيا مع قبيلته خلال النصف الأول من =القرن الحادى عشر الميلادى واستقر به المقام فى الجبل الغربى من ليبيا فى بلدة (تاغرمين) انظر كتاب (القبلة) لمؤلفه (بيلاردينيللى) الصادر سنة 1935م الصفحه 39 ثم كتاب سكان ليبيا لمؤلفه (هنرى دى اوقسنينى) الجزء الأول تعريب خليفه التليسى سنة 1978م ص 489

العشرة الذين تم إعدامهم في مشهد مهيب أمام أغلب سكان البلدة الذين جمعوا بالقوة ليروا ما يلحق بأهلهم، ومازال (داموس الشهداء العشرة) شاهدا يضم رفاتهم حتى اليوم.

معركة الكردون التي وقعت في الفترة من 2 إلى 10 يوليو 1915والتي نحن بصدد الحديث عنها، كانت من ضمن ثورة التطهير ضد القوات الإيطالية التي اندحرت من جنوب ليبيا بعد معركة محروقه في ديسمبر 1913م ومعركة (قارة سبها) سنة 1914م وتقهقر القوات الإيطالية واللتين تلتهما معركة وادي مرسيط في 7 إبريل سنة 1915م ومعركة القرضابية في الأيام 28 و 29 من الشهر نفسه واللتين شكلتا المعارك الفاصلة لصالح المجاهدين ضد القوات الإيطالية المدعومة بالمرتزقة والمجندين قسرا وطوعا، فكانت أحداث معركة الكردون من 2 و 10 يوليو العام 1915م السالفة الذكر حيث حاصر المجاهدون القوات الإيطالية بالزنتان المتكونة من 170بين ضابط وضابط صف وجندي، هذه القوة التي كانت مكلفة بمهام استطلاع وحراسة هذه المنطقة خلال الشهور الأولى من السنة نفسها (1915م) وكان إلى جانب كراهية الأهالي للطليان كمحتلين يختلفون عنهم لغة ودينا وبسبب أعمالهم الإنتقامية من سجن ونفي لأهالي هذه البلدة، إذ كان قد تم سجن مائة مواطن وأبعد إلى طرابلس كل من أحمد دقالي ومسعود كريّم لأن أبويهما انضما إلى المجاهدين (الفلاّقه حسب التعبير الايطالي) وقد حكم عليهما بالإبعاد لمدة سنة في طرابلس، وكانت نيّة

المستعمر نفيهما كغيرهم من الليبيين إلى احدى الجزر الإيطالية النائية لولا تداخل الأوضاع الدولية نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، وأصبحت الأخبار غير السارة هذه تصل المجاهدين في القبلة على أهاليهم المقيمين ببلدة الزنتان، وحال وصول تلك الأخبار قرعّت طبول الجهاد فاجتمع بالوديان (مفردها وادي) وهي تقع جنوب الزنتان بحوالي 300 كيلومترا حوالي ستون رجلا مجاهدا وقد عقدوا العزم على مهاجمة الحامية الإيطالية التي تشكل الدفعة الأولى والتي لحقت بها الدفعة الثانية في اليوم الثالث، وحسب الروايات الشفوية من شهود عيان[1]"كنا بوادى ويسيق والناس منتشرون في الطابونية وطبقة والقريات والوديان حتى جاء إلينا العكرمي الشطنه ومحمد عبدالله ديره وأحمد الشاطر وأخبرونا عن الحالة السيئة التي عليها الأهالي بتاغرمين حيث كان البعض في السجن والآخرون في شدة لا يعلمها إلا الله ولابد من نجدتهم" ، ورغم توزع الأهالي في المناطق السالفة الذكر وفي القبلة وبعدها عن بعضها البعض اتجه الستون مسلحا (مجاهدا) صوب تاغرمين (الزنتان) وبعد عدة أيام قضوها في الطريق وصلوا إلى(شعبة المعذر) التي تبعد عن بلدة الزنتان بحوالي 10 كلم ونيّف والتي رأوها أكثر أمنا من غيرها لانزوائها ووجود بعض الصهاريج بها، والفصل كان صيفا، وبعد راحة بسيطةيقول الراوي: ذهبنا

---

(1) مركز جهاد الليبيين – شعبة الرواية الشفوية – المكتبة الصوتية – أشرطة ارقام (7-68-91-7-313-17)

إلى زيارة ضريح الحاج موسى والذويب[1] وعند وصولنا إلى الذويب اجتمعنا للتشاور واتفقنا أن لا يطلق البارود وأهلنا في غفلة من أمرهم فلابد من إبلاغهم، فذهب البعض لإبلاغهم بينما آخرون ذهبوا لقطع خطوط الاتصال الرابطة بين حامية الزنتان والحاميات الإيطالية الأخرى"، وفي فجر يوم 2 يوليو وصل المجاهدون إلى رأس شعبة الكروم وهي احدى الشعاب التي تتصل بمقر الحامية الإيطالية مباشرة، وفي الصباح خرجت دورية إيطالية مكوّنة من ثلاثة من (الكرابينيري) على البغال، وحالما شاهد المجاهدون أولئك الطليان بداؤا بإطلاق النار عليهم إيذانا ببداية المعركة واستيقضت الناس في البلدة على أصوات الرصاص من بنادق المجاهدين ولذلك التحمت بالمجاهدين وتم حصار الحامية الإيطالية من جميع الجهات وعلى بعد عدة أمتار منها، حيث كانت الأرض بتضاريسها تساعد سكانها فعليا بتوفيرها السواتر في شعابها المحيطة بمقر الحامية الإيطالية، وفي فترة ليست بالطويلة أصبح الإيطاليون محاصرون في حصنهم وبادر المجاهدون إلى السجن الذي يوجد به العديد من المجاهدين من أهالي البلدة وكانت خطة المجاهدين في إخراج السجناء أولا ترمي إلى عدم استغلال الطليان لهم كورقة مساومة، وثانيا لالتحاقهم بإخوتهم المجاهدين في

(1) الجاح موسى أحد الأولياء الصالحين يوجد ضريحه فى بلدة الزنتان وحتى الآن ما زالت تقام له الزيارات والذويب هو جد قبيلة أولاد الذويب وهي قبيلة من قبائل الزنتان وهو أحد الأولياء الصالحين وضريحه يوجد كذلك ببلدة الزنتان .

محاصرة القوات الإيطالية في تلك الحامية وقد تم ذلك، واستمر الحصار سبعة أيام متواصلة دون توقف أو تهاون من طرف المجاهدين حول تلك الحامية الإيطالية التعيسة كما وصفها الإيطاليون في مصادرهم حين نقل غراتسياني عن مقالة نشرت في المجلة الإستعمارية لناشرها (تشيزاري) وما نشره (كادرونا) في كتابه المعنون (صفحات أخرى من صفحات الحرب العظمى) قال: "إني أحتفظ لنفسي بالحق بأن أخرج إلى حيز النور وعلى صفحات هذه المجلة الإستعمارية تدريجيا كثيرا من الحوادث والأعمال التي تستحق اعجاب الإيطاليين، وأننا نذكر اليوم ما يطلق عليه اسم الزنتان وهو اسم لكي يعرفه القليلون هو في ذاته دليل واضح على الصمت الذي أحاطوه به حتى اليوم، ذلك الدفاع البائس وتلك التضحية السامية التي قدمتها فصيلة من فصائل جنودنا التي فقدناها في داخل طرابلس الغرب صيف 1915م بقيادة اليوزباشي (ميليو) الذي هو الآن برتبة كولونيل (عقيد) ويعمل قائدا لكتيبة المدرعات، فقد حوصرت في الزنتان وهوجمت في صباح يوم 2 يوليو، ولم تستطع إطالة أمد الدفاع فقرر قائدها فتح الطريق لنفسه بالسلاح وذلك أثناء الليل واستطاع المرور والإتجاه نحو بئر الغنم"[1] كما أكد غراتسياني على سرعة هجوم المجاهدين الذين أربكوا الحامية الإيطالية مما جعلها عاجزة عن الحركة والتعرض لخسائر فادحة في الأرواح والعتاد بعد أن استطاع قائد تلك الحامية (الكتيبة) الإنسحاب عند منتصف ليلة

(1) غراتسياني، كتاب نحو فزان – مصدر سابق ص 125

من ليالي شهر يوليو، ولكنه وقع أسيرا واقتيد إلى مركز البلدة مع حوالي 50 من جنوده، ويضيف غراتسياني، وهم الذين بقوا من جنود الكتيبة الفصيلة البالغ عددها 170 رجلا عند مغادرتها من مخيمها في الكردون الذي يبعد عن يفرن حوالي 48 كلم، ولقد تألفت تلك الكتيبة من ثلاثة ضباط وهم اليوزباشي (ميليو) والملازم أول (بترافينتى) والملازم ثاني (مافي) وثلاثة من ضباط الصف وهم (جالينا) و(ماركيزي) و(كونتي)" [1].

وكعادة القوات الغازية المحتلة نجد قادتها دائما يحاولون خلق المبررات لهذه الهزائم أمام قوة وقدرة المجاهدين وصلابة صمودهم في مواجهة العدو وميادين القتال، وهذا غراتسياني يقول في سياق تبريره لهذه الهزيمة، أن السبب في وقوعها هو: "عددالمجاهدين المشاركين في تلك المعركة الذي بلغ 600 مجاهد" رغم أن العدد الذي قدم من القبلة كان حوالي 60 مجاهدا ولكن يبدو أن الصفر كان كومة بجانب غراتسياني عند كتابته للوقائع التاريخية، وليجد مبررا آخر قال، "قلة التموين ونقص المياه"، ونقول: كيف يمكن تصديق هذه الأكاذيب عن كتيبة في منطقة حربية ساخنة من مناطق الجهاد والمقاومة لم يكن لديها التموين الكافي والمياه اللازمة، وقيادتها تعرف أن أقرب نقطة يمكن اللجوء إليها تقع على بعد 48 كلم وأن الطريق صعبة واحتمال تعرضها للمخاطر قائما، رغم كل ذلك تكون مؤن ومياه الكتيبة من القلّة بحيث تنفذ خلال عدة

(1) غراتسياني، كتاب نحو فزان

أيام؟! وعند وصف غراتسياني للمعركة يقول: "في مساء يوم 2 يوليو أعلن رجال الكشافة وجود بعض الأهالي الوطنيين على مقربة من المعسكر وسرعان ما خرجت احدى الدوريات وقبضت على أربعة من جواسيس القبلة إذ أنهم بعد أن تقدموا قريبا من الجدار لم يستطيعوا الفرار في الوقت المناسب"، ويضيف "في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحا قامت فجأة جماعة غير نظامية صاخبة تتألف من حوالي 600 رجل وانقضت كما لو كانت تلبي نداء متفق عليه من مرتفعات قرية الزنتان وبعد لحظة قصيرة أطلقت فيها نيران البنادق على المخيم حتى وصلت على مسافة تبعد حوالي 50م من الجدار"[1]، ثم يحاول غراتسياني أن يرسم صورة لجنوده في تلك اللحظات بأنهم يمتلكون الشجاعة في تسمرهم في مواقعهم وأنهم غير مبالين بل فرحين ببداية المعركة، وهذه مبالغات لا يقبلها عقل بشري، فهل لجندي قدموا به من إيطاليا وقطعوا به البحر من أجل إحتلال بلد آخر أن يفرح ببداية المعركة التي ربما يفقد حياته فيها؟ وهل يعقل أن يكون هذا الجندي محاصرا وبلا غذاء ولا ماء (كما أكد غراتسياني نفسه إدعاء) أن يكون فرحا سعيدا؟

وتحليلات هذه المعركة كما سردنا سابقا من قتل وأسر لجنود الحامية الإيطالية، كانت دليلا آخر من أدلة شجاعة وقدرة وكفاءة آبائنا وأجدادنا في الجهاد ومقاومتهم للمستعمر الايطالي على كل التراب الوطني وكان دافعهم

(1) غراتسياني، كتاب نحو فزان ص 127

الوحيد الذوذ عن كرامة الوطن وطلب الشهادة من أجل ذلك، ولقد سقط العديد من المجاهدين بين شهيد وجريح، ونحاول في الصفحات التالية حصرهم حسب مصادر ومراجع مركز جهاد الليبيين، وفيما يلي أسماء شهداء معركة الكردون:

1- محمد عبدالله ديره
2- العكرمي على الشنطه
3- تبره محمد كامور
4- محمد امحمد كريميد
5- عبدالرحمن عاشور
6- سالم بن عيسى
7- الحضيري القنيفيد
8- على السنوسي
9- العترى بن سعيد
10- ميلاد إحداش
11- مسعود بن صالح
12- عائشه على عيسى
13- الناكوع ابو جمجمه
14- عمر القعيد

15- عبدالله جمعه
16- إمدلله مسعود الغول
17- على ميلاد العويتى
18- عبدالله ابو القاسم نصيه

أما الذين جرحوا في هذه المعركة فهم:

1- أبوبكر التومي
2- أحمد محمد عبدالله
3- محمد عبدالله خليفة
4- خليفه خليفه عبدالله القعيد
5- محمد أحمد الباروني
6- محمد امحمد عبدالله
7- على امحمد بن نصيره
8- أحمد بن نصيره
9- عبد القادر الحداديه
10- أبوالقاسم أمحمد عكره
11- مسعود أبوكراع
12- عامر الواعر
13- خليفه أحمد غريبي

14- محمد الحداد

15- محمد سالم مليحه

16- المعلول بن مسعود

17- فرج جلغوم

18- عمّار كريّم

19- على الصاكالي

20- محمد عون سويسي

21- عمار سعد الناجح

22- أمحمد المحروق

23- خليفه محمد المرزوقي

24- على العريفي

25- محمد خليفه الأشتر

26- محمد على نصر

27- سالم إحداش

28- إبراهيم خلف الله الأشتر

29- عمر محمد العقرب

30- محمد خليفه حسين

31- مبروكه ابوعجيله

32- الأطرش المنيفيد

33- ابوالقاسم قصيص

34- أحمد الضبيع

35- سالم القعيد

36- ابوالقاسم الغلام

37- المبروك إبراهيم فنير

38- مفتاح أبو القاسم الأشتر

معركة الجوش:

تقع بلدة الجوش تحت سفح الجبل الغربى شرقي بلدة تيجي وهي ملتقى طريق يربط الجبل بالساحل وتمتاز بكثرة العيون والمياه كما تشتهر بأشجار النخيل المصدر الهام للغذاء خاصة في مراحل الجهاد الوطني وقد جرت على أديمها معركة ضارية يوم 12 يونيو 1922م بين القوات إيطالية بقيادة الجنرال غراتسيانى والمقاومة الشعبية من رجال الزنتان والرجبان والصيعان والحرابه وغيرهم بقيادة المجاهد الحاج محمد فكيني إثر هزيمة قوات غراتسيانى في الوخيم يوم 4 يونيو 1922م حيث ارتد إلى سواني الكردي وبقي بها مدة تسعة أيام وهو ينتظر وصول المدد عن طريق زواره، وهذا يوضّح لنا مدى قدرة وقوة المجاهدين التي فرضت على الجنرال غراتسياني الانتظار كل هذه المدة وهو لا يبعد عن عدوه سوى بضعة كيلومترات إلى أن جاءه المدد، وقد اختلفت

المصادر الإيطالية حول تبرير الهزيمة التي حاقت بهم في وادي الوخيم ويصفها العقيد بيلاردينيللي في كتابه المعنون (القبلة) قائلا: " قوات غراتسياني تتصف بالجرأة والسرعة في خوض معارك الوخيم 3 يونيو والجوش 12 يونيو والسلامات 18 يونيو من خلال عمليات محكمة ومظفّرة"، بينما يقول غراتسيانى في كتابه (نحو فزان) أنهم واجهوا الجهد والعناد من قبل المجاهدين وهو يريد أن يرفع من المعنوية العسكرية الإيطالية.. وهناك من المصادر التي تحدثت عن معركة الجوش غير هذين المصدرين نذكر منها:

1- موسوعة معاركنا الإستعمارية (لبولاتي) وهي لا تختلف في الوصف عن ما جاء به غراتسياني بل تضيف أن المجاهدين الذين كانوا بمكان المعركة من الزنتان .

2-جهاد الأبطال في طرابلس الغرب للشيخ الطاهر الزاوي وهو يعتمد في معلوماته على الرواية الشفوية لأنه معاصر لتلك الفترة .

3-معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الإيطالية في كتاب الأستاذ التليسي، وكتابه الثاني معجم معارك الجهاد في ليبيا ثم كتابه بعد القرضابية.

كل هذه المصادر تحدث فيها مؤلفوها عن معركة الجوش، وبشكل خاص تحدث غراتسياني عن أسباب الذل والهوان وحالة العقلية الإستعمارية الإيطالية خلال سنوات 19، 20، 21 حيث قامت حكومة المستعمرة بإعداد حملة لإعادة الإستيلاء على الجبل الغربي في الفترة ما بين شهر يونيو ونوفمبر 1922م تحت

ذريعة إعادة توطين البربر في نالوت وكاباو وجادو ويفرن، ويقول أن هذه الحملة انقسمت إلى ثلاث مراحل:

أولا، إعادة إحتلال جبل نفوسه وفساطو

وثانيا، احتلال الجبل الأوسط -يفرن

وثالثا، إعادة إحتلال غريان وقد اشتركت فيها الآلايات التالية:

1- آلاى بيتزارى 1600 بندقية 200 فارس 4 قطع مدفعية

2- آلاى غراتسيانى 3000 بندقية 300 فارس 2 قطع مدفعية

3- آلاى بيللى 1400 بندقية 100 فارس 4 قطع مدفعية

وقد أسند الدور الرئيسى لغراتسياني الذي تحرك من زواره يوم 28 مايو1922م متجها نحو الوطيه لإحتلال الجوش كما كلفت بقية الآلايات بأدوار ثانوية إعاقة حركة وتواصل المجاهدين من المناطق المختلفة وعدم تمكنهم من الإشتراك في معارك الوخيم والجوش وغيرها، وهكذا تم.

بداية المعركة كما تراها المصادر المختلفة والتي منها الشفوية، يقول غراتسيانى في كتابه (نحو فزان) : "كان فصل الصيف قد بدأ واشتد الحر اشتدادا عظيما، وكانت ذكرى الماضي الرهيبة تعكس ظلالها الحزينة على الطريق الذي كان يجب السير فيه يعيد ذكرى الرتل الايطالي الذي اتجه من جادو والجوش إلى الشاطئ وتعرض للإبادة في 10 يوليو 1915م) ثم يضيف، "وفي ليلة 12 يونيو وصلت إلى سواني الكردي الكتيبة الليبية السادسة بقيادة الرائد (مارجينوتي) وقد

تلا ذلك مباشرة الزحف على الجوش وكان أمامي طريقان، إما أن أتجه مباشرة إلى الوخيم حيث كان العدو يرابط في أماكن أعدها من قبل لسد مداخل جادو في طريق شكشوك وطريق الجوش، أو أتجه مباشرة إلى هذه الواحة عن طريق الجوش، أو أتجه مباشرة إلى هذه الواحة عن طريق العين الجديدة.. الخ

ثم يقول، "حوالي الساعة الثامنة والنصف هاجمتني وحدات قوية من وحدات العدو كانت تتلقى على الدوام إمدادات من المحلات التي كانت تأتي من الوخيم وكانت هذه كلها من الزنتان والرجبان والحرابه والصيعان وغيرها قوامها 2500 بندقية كلهم من الرجال المدربين على الحروب والذين يفاخرون بإنتصاراتهم التي حققوها في سنة 1915م"، ثم يقول "وسرعان ما أستعرت نيران القتال الحامية حول الآلاى وهو يسير في أراض منبسطة مكشوفة ولولا تدخل القوات الجوية التي كانت تقلع من مطار أعد لها بسواني الكردي والتي شاركت بفعالية في ضرب المجاهدين وأشاعت الفوضى في صفوفهم وتفريق شملهم ونفور خيولهم وذلك لظهورها أول مرة في سماء المعركة فكان أزيز محركاتها سببا في نفور الخيل بفرسانها إضافة إلى حممها التي كانت تلقي بها وسط التجمعات البشرية ولولا الطيران لذاق غراتسياني هزيمة أشد بعد هزيمة الوخيم، وربما تكون القاضية على آمال وطموح حكومة المستعمرة في إحتلال الجبل، وهكذا بعد ثلاث هجمات استطاع غراتسياني احتلال العين الجديدة حيث ضمن الماء وسيلة الحياة والنصر، وبعد محاولتين اثنتين استولى على قلعة

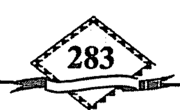
الجوش بعد أن تكبد الخسائر الفادحة في جنوده وخيالته ولم يعد أمام المجاهدين في هذه الحالة بعد أن فقدوا مصدر الماء إلى جانب الخسائر في الأرواح والعتاد إلا الرجوع إلى الجبل وسد المداخل المؤدية إلى جادو والرحيبات عن طريق السلامات غير أن العدو لم يترك لهم هذه الفرصة بالإنسحاب المنتظم إلى حيث يستطيعون الدفاع عن الجبل بعد أن فقدوا السفح، فأرسل العدو الخياله السباهيس تساعدهم الطائرات في ضرب وتشتيت تجمعات المجاهدين من مكان إلى مكان.

المصادر التي تحدثت عن المعركة فهي جميعا تتقارب في وصف معركة الجوش، يقول الأستاذ خليفه التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا): "ودارت المعركة عنيفة مريرة طوال اليوم حول العين الجديدة مما دفع غراتسياني إلى أن يستخدم الطيران على نطاق واسع وإلقاء القنابل على صفوف المجاهدين الشئ الذي حوّل المعركة في النهاية لصالحه واستطاع أن يظفر بالسيطرة على العين الجديدة التي تشكل مصدرا هاما للمياه، ويعترف غراتسياني بأن قواته قد تعرضت إلى خسائر فادحة في صفوف الضباط والجنود"، أما المصادر الشفوية في المكتبة الصوتية بمركز جهاد الليبيين فهي تحتوي على أكثر من خمسة وسبعين مقابلة مع أشخاص من مختلف المناطق والأعمار تؤكد أغلبها على أن الغلبة كانت إلى جانب المجاهدين لولا تدخل الطيران الذي غيّر مجريات المعركة لصالح العدو، وفيما يتعلق بالعتاد والعدة فإن غراتسياني نفسه



يقول أن قواته كانت تتكون من: "3000 بندقية و 300 فارس و 2 قطع مدفعية"، بينما كان عدد المجاهدين 2500 مجاهد يستخدمون بنادق عادية، علما بأن هذه الأعداد كانت قبل بداية المعركة في الوخيم والجوش، أما الروايات الشفوية فقد اختلفت في تقدير قوات العدو حيث أن هناك من قال أنها تتكون من 6000 مسلح و 100 فارس إلا أننا نؤكد رواية الجنرال غراتسياني لأنه شاهد عيان إلى جانب أنه قائدا لتلك الحملة، وعن قوة المجاهدين فإن الروايات أيضا تختلف إذ هناك من يقول أنها كانت بين 300 إلى 400 مجاهد ومن قائل أنهم كانوا في حدود 2000 مجاهد والأرجح أن العدد الأخير هو الأصح، ولم يحدث الخلاف فيما يتعلق بالقيادات ذلك أن غراتسياني كان يقود حملة الطليان بينما كان يقود المجاهدين كل من محمد فكيني وعلى الشنطه، ونتائج المعركة كما تؤكد المصادر المكتوبة والروايات الشفوية فإنها نصر للمجاهدين في بداية المعركة ثم انكسارهم نتيجة لتدخل سلاح الطيران وقد فقد المجاهدون قاعدة من أهم قواعدهم للدفاع عن الجبل، بعد ذلك صار خطر العدو قريبا جدا من مواقعهم مما اضطرهم للتراجع والتقهقر إلى الجنوب بعائلاتهم ومواشيهم بحيث يستعدوا لمرحلة جديدة من الكفاح.

هذه لمحة موجزة عن معركة لم تتكافأ فيها القوى فكانت النتائج تغلّب الآلات الحديثة من طائرات ومدافع ثقيلة ورشاشات مختلفة العيارات إضافة إلى العتاد الآخر والعدد الكبير من الجنود المقاتلين في مواجهة رجال لا يملكون



إلا بنادق عادية وفؤوس وعصي زادهم الإيمان وحب الوطن والذود عن الدين والكرامة.

معركة بئر تارسين:

وقعت معركة بئر تارسين في هذا التاريخ (26 مايو 1925م) وهذا البئر يقع جغرافيا جنوب غريان بمسافة مائة كيلومترا تقريبا، وجنوب شرقي مزده ويشكل غرب نسمه، والمعركة هذه هي جزء من معارك القبلة أو هي المفتاح لولوج تلك المناطق التي اعتقد القادة في جيش الجنرال غراتسياني أنها ستكون ميسّره لكن المجاهدين أبلوا فيهابمقدرة وقهروا قوات الغزاة الطليان، ولقد تحدث عنها الجنرال غراتسياني في كتابه المعنون (نحو فزان) قائلا: "في يوم 26 مايو 1925م قامت فصيلة من الكتيبة الليبية الأولى وقد توقفت في بئر تارسين على مسافة من غريان لحماية محصول الشعير فيها فهاجمتها قوات تزيد على ضعف عددها ولكنها قاومت ثلاثة عشر ساعة كاملة هجوم العدو العنيف وقد احتفظت بموقعها رغم جراح ثلاثة من ضباطها، وقد أصيب هؤلاء بجراح المرة تلو المرة، واستمر الرئيس في المقاومة وتولى زمام القيادة حتى النهاية رغم إصابته أربع مرات بجروح بالغة، كما أن الملازم ثانى (فيرنز) الذي حاز على (ميدالية ذهبية) لم يتوقف عن تحفيز الجنود على المقاومة رغما من أنه كان قد فقد عينيه، وقد وقع من رجال الفصيلة البالغ عددهم 150 بين قتيل وجريح 120 رجلا وتوجّ هذا اليوم المشهود أعمال لا عدّ لها ولا حصر من أعمال

البسالة الشخصية، وكان الجنود الليبيون يقاتلون ببسالة وبطولة لا تقل عن بطولة الجنود الإريتيريين في (الحشادية) وتغلبوا مرة ثانية على التردد الذي ظهر على البعض بسبب ضعف إيمانهم، فلم يتوقف واحد منهم عن القتال أو يتراجع، بل قاتلوا جميعا قتال الأسود ولا يزال هناك أيضا حتى اليوم في بئر تارسين نصب تذكارى من الرخام دليلا على البسالة الليبية، سوف يحكي للسلف عن عظيم قدرة جنسنا وحسن إستعداده لإمتلاك نفوس رعايانا حتى أستطاع ان يتخذ منهم أداة حربية متينة لها إيمان برسالة لا غبار عليها"[1].

هكذا تحدث الجنرال غراتسياني وفي إشارة إلى الجنود الليبيين يقصد أولئك الذين عملوا مع الغزاة ضد أهلهم وأرضهم ودينهم وهم بذلك عملوا إما طمعا أو خوفا أو فقدان إيمان بالدين والوطن، وما يهمنا هنا من كلام هذا الجنرال هو ان جنود فصيلته البالغ عددهم 150 فردا مسلحا تسليحا متقدما ومجهزا بكل أدوات الحرب لم يبق منهم إلا 30 فردا والمائة وعشرون قتلوا برصاص المجاهدين الذين لا يملكون إلا بنادق قديمة وربما شربة ماء بلا أكل وإن وجد الأكل فهو حبات تمر قليلة، ولكن الإيمان دائما يغلب الكفر، ونجد التليسي يقول وهو يتحدث عن هذه المعركة: "كانت ترابط في هذا الموقع قوة من المجندين العاملين في الجيش الايطالي بدعوى عملية حماية حصاد الشعير والقمح في المنطقة وقد تعرضت هذه القوة المكونة في أغلبها من عناصر محلية

(1) كتاب نحو فزان – الجنرال غراتسياني ص 276 -277..

إلى هجوم عنيف شنه المجاهدون عليها يوم 26 مايو 1925م واستمرت المعركة دائرة في الموقع المذكور 13 ساعة تعرضت فيها هذه الحامية لخسارة فادحة إذ تساقط أكثر ضباطها الإيطاليون بين قتلى وجرحى، وقتل وجرح من أفراد هذه الحامية عدد يتراوح بين 120 إلى 150"[1]، ولقد ذكر في بعض المصادر أن غنائم المجاهدين في هذه المعركة كانت (مائة بندقية وثلاثة عشر حصانا وأربعة عشر بغلا وأربعة وأربعون كيسا من السميد وعددا من صناديق الذخيرة والدقيق والقصب والزيت وإثنان من الإبل وعددا من سروج الخيل)، وقد جرح في المعركة ثلاثة وعشرون مجاهدا وأستشهد عشرة من المجاهدين رحمهم الله رحمة واسعة.

❊❊❊

(1) معجم معارك الجهاد فى ليبيا – خليفه التليسى _ ص 144..

لم يعظنى مثل شيبى ولا نصحنى مثل فكرى..

ويا ليت هذا الرجل ينتصح...

الفصل الحادى عشر
مزاعم القشاط وادّعاءاته

لا نعرف تحديدا لماذا تخصص السيد القشاط في الإساءة لعدد من القبائل الليبية المجاهدة وكذلك قيادات الجهاد الليبي ومن ضمنها هذه القبيلة (الزنتان) ورغم كل محاولات التصحيح بالوثائق مثل الوثيقة الموجهة إلى المجاهد عبدالنبي بالخير بشأن اعتقال الشيخ أحمد السنى والتي يجدها القارئ الكريم للمرة الرابعة ضمن وثائق هذا الكتاب وهي التي كانت ردا على فريّة أتى بها السيد القشاط في كتابه الصادر سنة 1998 والمعنون (الصحراء تشتعل) عندما قال: "الزنتان يميلون مع الريح من أجل مصالحهم بدليل تخليهم عن زعيمهم أحمد السني عندما اعتقله عبدالنبي بالخير"، وعلى الرغم من أن الشيخ أحمد السني لم يكن زعيما على الزنتان (ونحن نشهد له بدوره في الجهاد الوطني الليبي) فقد تقدم أهالي الزنتان ومعهم سبع قبائل أخرى (مذكوره في نص الوثيقة) تقدموا برسالة أي (الوثيقة المنشورة) إلى المجاهد الشيخ عبد النبي بالخير يطلبون فيها إطلاق سراح الشيخ أحمد السني، رغم ذلك عاد السيد القشاط في كتاب أصدره أخيرا بعنوان (من قيادات الجهاد الشيخ علي كلّه والشيخ المبروك الغدي) إلى ترديد نفس القصص المختلقة والتي لا يسندها أي

مرجع معترف به، والسيد القشاط في كل رواياته يستشهد بالأموات لأنهم لا يتكلمون !! كذلك حديثه الذي يكرره بمناسبة وبغير مناسبه عن (سقوط قارة سبها سنة 1914م ودور الشيخ سالم بن عبدالنبي فيها) وهو يشكك في دور هذا الزعيم وقيادة المجاهدين هناك، وقد فندّت إفتراءاته بالعديد من الوثائق والروايات الشفوية المسجلة في مركز جهاد الليبيين وهي موثقة ومعترف بها، وكذلك كتابات القادة الإيطاليين مثل (غراتسياني وبيلاردينيللي وأنجو دل بوكا وغيرهم) يجدها القارئ الكريم على صفحات هذا الكتاب، ولقد بلغت به الإستهانة بنضال المجاهدين الليبيين إلى أن يصف تلك القارة التي كانت عملية إحتلالها فاصلا وفيصلا في تاريخ الجهاد الوطني الليبي ضد الغزو الايطالي عندما وصفها بأنها "مجرد مخزن سلاح يحرسه عدد من المجندين غير الإيطاليين"، ولقد أوردنا وها نحن نورد إعتراف آخر صريح جاء في كتاب (أنجلو دل بوكا) وعنوانه (الإيطاليون في ليبيا، الجزء الأول، صفحات 266 – 267) يقول الكاتب الايطالي وهو يصف سقوط قارة سبها تلك القلعة وأهميتها العسكرية وما فيها من سلاح وضباط وجنود "سقوط قارة سبها في أيدى المجاهدين : لقد كانت حامية قارة سبها والتي كانت تحت إمرة النقيب (ميليوريني) مكونة من ثمانية ضباط وتسعة من ضباط الصف وثلاثة وسبعون جنديا إيطاليا وتسعة عشر جنديا حبشيا وتسعة ليبيين من سكان الساحل وثمانية وتستون عسكريا فزانيا وكانوا مزوّدين إلى جانب أسلحتهم الفردية

بمدفعين جبليين من عيار (70 ملم) مع ما يزيد على 1000 قذيفة وأربع رشاشات ثقيلة، وهذا ما فيه الكفاية للاحتفاظ بالحصن (إيليا) الذي كان مقاما على تلّة تشرف على السهل، ولكن نظرا لأن أعمال الإنشاء لم تستكمل بعد فقد كان رجال الحامية لا يزالون يقيمون في الثكنات المنتشرة أسفله، وفي ليلة 27 نوفمبر تمكن بضعة مئات من السنوسيين يرشدهم جنديا هاربا ويقودهم سالم بن عبدالنبي ومحمد دحنوس وعلي الشنطه وسالم دنّه، تمكنوا من التسلق إلى الحصن دون أن يفطن إليهم أحد وسيطروا عليه، ولم ينتبه الإيطاليون إلا في الساعة الرابعة وعشرة دقائق فجرا إلى هذه الخدعة التي جعلتهم موضع تهكّم وسخرية"، وسيجد القارئ الكريم مقتطف النص الايطالي مترجما ضمن وثائق الكتاب، ومع كل هذا مازال السيد القشاط يردد ما اصطنعه خياله بحيث يقلل من قيمة تلك العملية التاريخية ودور المجاهدين الليبيين فيها، وسيرى القارئ أقواله بروايات مختلفة متناقضة مفتعلة فيما يلي:

فمثلا ها نحن نجده يكتب في (مجلة الوحدة العربية الصادرة سنة 1973م) ما نصه على صفحات المجلة أرقام 4، 5، 6 يقول: "كان سالم بن عبد النبي الزنتاني من أخلص العناصر الوطنية في الجهاد، رجلا لا ينام على ضيم ربتّه الصحراء فأحسنت تربيته، وصهرته المحن فخرج قوي العود صلب صعب الشكيمة حاد الذكاء سريع التدبير في المواقف الحرجة، وإلى جانب ذلك كان شجاعا ظهرت بسالته في الإنجازات التي كانت تقوم بها القبائل لاستياق الإبل

أيام ضعف العهد العثماني، وكما هي عادة العرب في القديم"، ثم يضيف القشاط على نفس الصفحة، "استطاع سالم بن عبدالنبي أن يجمع مجموعة من الأشخاص قرابة ثلاثمائة أو كما تقدرهم بعض المصادر 325 رجلا من مختلف القبائل ويخرج بهم من جهة إدري مارا بالقرب من أوباري في حركة سريعة إلى أن وصل الرملة زلاف وهي منطقة رملية صعب الوصول إليها، وقام في الرملة باستعراض رجاله وتفقدهم واتضح له عدم صلاحية بعضهم للقتال فاستبقاهم في الرملة ووضع عليهم حراسا من الموثوق فيهم حتى لا يتسرب أحدهم ليخبر العدو، وقسّم المجموعة التي اختارها إلى مجموعتين، الأولى تتجه إلى (إدري وأوباري) لاحتلالهما وعلى رأس هذه المجموعة (المهدي بن كنيفو الزنتاني والدحنوس الزنتاني) وسار سالم بن عبدالنبي على رأس القسم الآخر متجها إلى قلعة (القاهرة) الحصينة قلب فزان وقلب القوات الإيطالية الغازية" ، ثم يضيف على الصفحة التالية (5) فيقول: "احتلال قلعة القاهرة سبها 38 من نوفمبر 1914م، قبض سالم بن عبد النبي على رجل من الحطمان كان جنديا مع الطليان أخذ إجازته لزيارة أهله، وأجبر سالم هذا الرجل على السير معهم ليكون خبيرا للقوة الصغيرة المهاجمة، وسارت المجموعة القليلة في عددها الكبيرة في إيمانها ووصلت يوم 27 نوفمبر إلى جبل صغير يقع غربي سبها بحوالي 15 كلم وعسكرت هناك إلى أن أظلم الليل وقد كانوا أثناء سيرهم يتتابعون كالذئاب في طابور طويل حتى لا تتنبه جواسيس العدو لكثرة الآثار

ومواطئ الإبل"، ثم يقول تحت عنوان بالخط العريض على الصفحة (6) "سالم بن عبدالنبي الزنتاني يقود 40 مجاهدا ويقتحم القلعة، اللحظة الحاسمة، وغرقت الشمس في بحر الصحراء مساء يوم 27 نوفمبر 1914م وتناول المجاهدون حبات من تمر كعشاء لهم، ووقف سالم يختار من مجموعته القليلة والتي لا تملك إلا أربعين بندقية، المجموعة الفدائية التي ستقتحم القلعة، وسار أربعون شبحا في الظلام يتقدمهم قائدهم يسوق أمامه الخبير الذي ربطه بحبل من يده وبيده رأس الحبل (أرجو أن يلاحظ القارئ الكريم أنني أنقل كلماته المكتوبة حرفيا وكما هي) مهددا إياه بالقتل في حالة إصدار أي صوت أو تنبيه للعدو، ووصلت المجموعة إلى مرتفع صغير قرب القلعة غربي (البطاح) بجوار المطار الآن، بينه وبين القلعة قرابة كيلومترين، وجلسوا هناك للاطمئنان والتأكد من نوم الجنود، وبعد منتصف الليل تحركت المجموعة ومعها الخبير صاعدة الجبل الذي تقع على رأسه القلعة مع طريق ملتو مجهول بالنسبة للمدنيين إلى أن وصلوا إلى الباب حيث وجدوا الحارس نائما فقتلوه بالسيف حتى لا يسمع الجنود إطلاق الرصاص، وأخذوا بندقيته وساروا يتسلقون القلعة إلى أن وصلوا أعلاها فأطلقوا النار على الجندي المكلف بالمراقبة وكان بجواره كلب بوليس فقتلوه هو الآخر، وارتفعت صيحات التكبير في أرجاء القلعة، وكان أول المكبّرين الشيخ سالم بن عبدالنبي كما هو الاتفاق بينه وبين زملائه المجاهدين".

هذه واحدة من روايات السيد القشاط، ونجده يقول كذلك: "وفي سكون الليل قبل الفجر بقليل ترددت في متاهات الصحراء أصداء التكبير والطلقات النارية فبعثت الرعب والفزع في جنود المعسكر الذين كانوا يغطون في نومهم، فأشجعهم هو الذي تمالك أعصابه وعرف طريق الفرار حافي القدمين حاسر الرأس في لباس النوم، واقتحم المجاهدون مخزن السلاح والذخيرة وتسلحوا جميعا وتم لهم الإستيلاء على القلعة دون خسائر تذكر، وفي الصباح لحق بهم بقية المجاهدين الذين تركوا غربي سبها يحرسون الإبل، وهكذا استطاع أربعون مجاهدا اقتحام قلعة سبها الحصينة والإستيلاء عليها دون مساعدة أحد باستثناء ذلك المجند الوحيد الذي أجبر قسرا على أن يقود المجاهدين إلى الطريق المؤدي للقلعة غير أن الإيطاليين يقولون في مصادرهم أن الجنود الفزانيين الموجودين بالقلعة ساعدوا المجاهدين على احتلالها، ولقد ردد ذلك الأستاذ خليفة التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا) معتمدا على المصادر الإيطالية التي تريد أن تخفف من هزيمتها، ولقد كنت أتمنى أن يكون ذلك حقا، ولكن جميع الذين التقيت بهم سواء أكان من الحاضرين في المعركة أم من الذين عاشوها نفوا أن يكون أي جندي مع الإيطاليين ساهم معهم أو ساعدهم بإستثناء الحطمانى الخبير الذي سبق ذكره.

ويستمر السيد القشاط في سرد أحداث تلك المعارك والذي يخالفه بل يتنكّر له بعد مرور أكثر من عقدين من الزمان، فيقول: "وبعد معركة (القاهرة) بسبها

وسقوطها بيد المجاهدين اندلعت الثورة في كافة البلاد، وحاولت إيطاليا إرجاع هيبتها فلم تفلح"، وبعنوان (الثأر والهزيمة) يقول: "موقعة مرسيط 7 إبريل، الهزيمة المنكرة التي تعرضت لها القوة الإيطالية في (خرمة الخدامية) ووادي (مرسيط) والثانية في (القرضابية الشهيرة) والواقع أن الإيطاليين جهزوا ثلاث حملات لا أدري كيف أهمل الأستاذ التليسي ذكر الثالثة، ربما لأن الإيطاليين كتموها في مصادرهم، فالحملة الثالثة خرجت من جادو في نفس الوقت الذي خرجت فيه حملة مرسيط وحملة القرضابية متجهة إلى غدامس لحمايتها من القوة المجاهدة التي استولت على (أوباري) بقيادة (المهدي كنيفو والدحنوس الزنتاني) وأخيرا التحق بهما (خليفه بن عسكر) في رملة (زمزم) بين (غدامس ودرج)".

ونكتفي بهذا القدر من روايات القشاط بحيث نخلص من هذا الذي أورده القشاط إلى أن قائد المجموعة في قارة سبها هو الشيخ سالم بن عبد النبي الناكوع الزنتاني وهو الذي رفع الآذان من أعلى القلعة، والثانية أن قائد مجموعة المجاهدين الذين احتلوا أوباري هو المهدي كنيفو الزنتاني، هذا ما أكّده فيما تقدم، ونسأل الآن ترى ماذا قال بعدئذ في كتبه عن القارة وعن سالم بن عبدالنبي وعن المهدى كنيفو؟ وهذا ما قاله في كتابين متتاليين، في كتابه المعنون (الصحراء تشتعل) قال: " ليلة 27 و 28 هاجم المجاهدون القلعة إذ اختاروا أربعة عشر مجاهدا لاقتحامها والصعود إليها يتقدمهم سالم الحطماني ويسير

خلفهم بسيفه رحومه التركي السباعي وكان سالم بن عبدالنبي مع المنتظرين أسفل القلعة ولم يصعد معهم إلى أن تم إحتلالها ورفعوا الآذان في أعلاها"، ها نحن نرى العجب العجاب، قال فيما سبق أن سالم بن عبدالنبي كان يقود أربعين مجاهدا اقتحم بهم القارة وكان أول من رفع الآذان، وفي هذا الكتاب جعلهم أربعة عشر وجعل سالم بن عبد النبي الذي قال عنه أنه شجاع ومقدام وذكي وأنه القائد، جعله يخاف ويبقى أسفل القلعة إلى أن أحتلت ورفع الآذان في أعلاها وكان المؤذن المجاهد امحمد البريكي!! جاء هذا الكلام على الصفحة (68) من الكتاب المشار إليه ثم وعلى الصفحة (69) في شأن تطهير أوباري قال : "وصل كاوصن على رأس قواته المجاهدة إلى أوباري ونشبت المعركة مع الإيطاليين المستحكمين داخل الحصن، وطوقهم المجاهدون مدة ستة عشر يوما حاول خلالها قائد المجموعة الإيطالية الملازم (توكوتيكا) الفرار ولكنه قتل وأخيرا استسلمت الحامية بعد أن أرسلت مجموعة من نداءات الإغاثة (للجنرال) ميانى لنجدتها".

نذكر القارئ الكريم مما تقدم أن القشاط قال أن الذي قاد مجموعة المجاهدين الذين احتلوا أوباري هو (المهدى كنيفو الزنتاني) ونراه الآن يجعله شخص آخر!! ودون خجل ولا حتى قليلا من الإحترام لما يكتب قال في كتابه المعنون (من قيادات الجهاد، على كلّه والمبروك الغدى) وعلى الصفحة رقم (258) أن عبدالوهاب الزنتاني ينصّب المهدى كنيفو الزنتاني قائدا لمعركة

أوباري دون أي دليل يدفعه الحماس لقبيلته متجاهلا قيادتها الفعلية !! يا سبحان الله كيف يستطيع القشاط أن يلحس كلامه ويسفّه نفسه؟! ألم يقل هو نفسه أن المهدي كنيفو قائد معركة أوباري وهو ما أوردناه فيما تقدم ؟؟

وهذه قصة أخرى حول خروج الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبي إلى تونس بعد إنتهاء الحرب حيث سيطر العدو على البلاد، هذا الخروج سمّاه السيد القشاط هروبا، خروج الشيخ المجاهد سالم بن عبد النبي الناكوع إلى تونس في نهاية سنة 1929 م فالقشاط كان قد كتب عن رحلة الشيخ سالم وخروجه إلى تونس قائلا (ولم يضع الناكوع وقته فقد لاحت بادرة الأمل التي يترقبها فبادر ببيع الإبل الهزيلة والمواشي التي لا تتحمل السفر وأعد عدّته واختار 14 مجاهدا ممن تسعى السلطات الإيطالية للإطباق عليهم، وممن سألوه عنهم في التحقيق، وأبلغهم بخطة الهرب كاملة وحدد لهم التوقيت، وطلب إليهم تجهيز الزاد والماء ودلّهم على البنادق التي خبأها ابنه صالح، ولكي يطمئن (البريقادير) عاد إلى إدري وأبلغ السلطات بأنه سينقل عائلته وأقاربه إلى براك حسب الأوامر والموعد المحدد فأرسل معه (البريقادير) عددا من الجنود الإيطاليين، فعرّج بهم على مزرعته وأمر أحدالعمال بأن يعد للجنود طعاما وأن يسقيهم عصيرا من جذوع النخيل وبقي معهم حتى ساعة متاخرة من الليل إلى أن فقدوا السيطرة على عقولهم ثم اقترح عليهم الاستمرار في لهوهم وسهرهم وأضاف أنه لا داعي لإزعاج أنفسهم لأنه ذاهب للتأكد أن النجوع قد تم

تجهيزها للرحيل وأردف قائلا سأراكم في الصباح الباكر عندما تكون القافلة قد استعدت للتوجه إلى (براك) ولكن كان قد بيّت أمرا فما ان غاب عن أنظارهم حتى وجد أصحابه في إنتظاره الإبل والزاد والماء والبنادق فدعاهم للاسراع صوب تونس واستغلال ما تبقى من الليل للسير مسافة أكثر قبل إنبلاج فجر الصباح وسأله المجاهدون، أتترك ابنك وأخوك في السجن ؟ فرد قائلا ليس هذا وقت كلام ولنعتبر الذي حدث بمثابة هجوم نجا منه من نجا وراح من راح، انتظر الحراس الذين تركهم في المزرعة وقتا طويلا، ومضت الساعات وهم يتوقعون مجيئه ولكنهم في النهاية غادروا المزرعة مسرعين إلى المركز وأبلغوا (البريقادير) بأن الناكوع هرب فأودعهم السجن وأبرق إلى القيادة فأمروا باعتقاله هو الآخر لأنه وافق على منح الناكوع فرصة لبيع مواشيه وترحيل أسرته، فاستغل الناكوع الظرف وأفلت من الإعدام لأن في مخططهم إعدامه بمجرد الحصول على الأسلحة ووضع أسرته وأقاربه ببراك تحت الإقامة الجبرية، وانقطعت أخبار الناكوع والمجاهدين المرافقين له رغم خروج أعداد من الجنود الطليان للبحث عنه ولكن بعد خمسة أيام من هروبه قابل رجلا في مكان يسمى (عوينة ونين) على حافة الحمادة الحمراء، وسأله عن وجهته فأخبره المجاهد أنه ذاهب إلى الوالي الإيطالي بعد أن يطمئن على إبله ويتركها في رعاية شخص ذكر له إسمه، وأضاف بأنه سيخبر الوالي عن المعاملة السيئة التي لقيها من السلطات الإيطالية في سبها وانتشر هذا الخبر في فزان فساعد على صرف انتباه المستعمرين إلى

ناحية عدم جدية الهروب وخلق تباطؤ في البحث عنه الأمر الذي ساعد المجاهد ورفاقه على النجاة (ونلاحظ أن هذه التفاصيل التي ذكرها القشاط بشأن خروج الشيخ المجاهد أغلبها غير صحيح لكن ذلك ليس مهما لأن المهم أن الشيخ استطاع أن يفلت من بين فكي الأسد وحقق مراده)، ونجد السيد القشاط في كتابه (من قيادات الجهاد، الشيخ علي كلّه والشيخ المبروك الغدي) يقول عكس كل الذي ذكره تماما، وهذه روايته الجديدة، قال على الصفحة رقم (315) في غدامس تم تجنيد الشباب بالقوة ومن بينهم الشيخ محمد الذي حمل اسم والده الشيباني الصويعي ووصل في الجيش إلى رتبة (شمباشي) وقد ساهم في مساعدة الكثيرين من الليبيين الذين يقعون في قبضة الإيطاليين، كما ساهم في مساعدة الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني على الهروب، وعطّل المجموعة التي كلفت باللحاق به وهو يعرف أن الشيخ سالم عند إنطلاقه كان بدون سلاح كما أخبرني شخصيا رحمه الله!!

ما هذا الكذب المفضوح؟ قال في السابق أن الشيخ المجاهد كان معه أربعة عشر مجاهدا يحملون الماء والزاد والسلاح وأن السلطات الإيطالية حاولت اللحاق به ولسبب ما تأخرت، ثم نجده في كتابه هذا ينسب هرب الشيخ سالم لأحد الصيعان الذي عطّل الطليان عن اللحاق بالمجاهد الذي لا يحمل سلاحا!! شمباشي يعطّل الطليان ويساعد مجاهد كبير على الهرب، لاحظوا تعبير الهرب!

ونراه يقول عندما كان يتحدث عن عائلته أنها هاجرت! ومتى كانت هجرة أبيه وجدّه؟ لقد هاجرا سنة 1913م وعادوا إلى البلاد سنة 1929م أي بعد انتهاء الحرب ومع ذلك يقول أنهما هاجرا، أما الشيخ المجاهد الذي شارك في أغلب معارك الجهاد الليبي كقائد شهد له الإيطاليون أنفسهم والذي خرج في نهاية الحرب اى سنة 1929م فهو حسب تعبير القشاط هرب!!

والسيد القشاط لا يخجل فنجده يختلق المعركة ويصطنع لها قادتها ورجالها كما يصوّر له خياله مخالفا ما كان كتبه عنها سابقا وأحيانا في نفس الكتاب، ففي كتابه المذكور (من قيادات الجهاد، علي كله والمبروك الغدي) يعود للحديث عن قارة سبها فيقول ما هو أعجب من العجب في التناقض والتزوير، فعلى الصفحة رقم (122) يقول: "توجه الشيخ المهدي السني من (واو) إلى فزان ليستطلع الأوضاع ويحرّض الناس على الجهاد، والتقى في طريقه إلى مرزق بأم الأرانب مجموعة تتكون من حوالي ستين مواطنا ذاهبين لزيارة السيد عابد السنوسي للتبرك به، فاجتمع بهم وحرضهم على الجهاد وطلب منهم العودة وجعل من منطقة زلاف مركزا لتجميع مجموعات بعد أن اشترط على كل شيخ أن يحضر معه 25 مجاهدا فاحتلوا (قاهرة) في 28 نوفمبر 1914م وأبادوا حامية أوباري واستولوا على إدري" انتهى

يرى القارئ هذا الإختلاق والتزوير المناقض لكل ما ذكره القشاط سابقا، فقد اختلق قصة شبه بوليسية لا أساس لها، وهذه قصة أخرى ربما وردت في

ذهن السيد القشاط في منام مسهد؟ يقول في هامش الصفحة (128) من نفس الكتاب (المجاهد ارحومه التركي السباعي من قيادات الجهاد الليبي وقائد مجموعة اقتحام قلعة سبها (القاهرة) هنا أيضا ادعاء واختلاق وقد جاء في نفس الكتاب بين الصفحتين فقط !! قال في الأولى تزويرا أن السني قاد المجموعة واستولى على القلعة، وفي الصفحة التالية جعل القائد الذي استولى على القلعة هو ارحومه التركي السباعي !! ترى بماذا يمكن أن يوصف هذا الكاتب؟!!

وبعد هذا كله ولولا ضيق المساحة والضيق من سماجة تزوير القشاط ورغبة في تخصيص كتاب آخر لدحض جميع ما أورده القشاط في كتبه لذكرت الكثير الكثير من التناقض والإفتراء والتزوير، ثم ها نحن نجده يقول بكل عنترية على الصفحة رقم (12) من كتابه هذا: "فلا أحد من العقلاء له مصلحة في تزوير التاريخ أو إخفاء الحقائق" !!

ونقول، صحيح لا أحد من العقلاء ولكن أين العقل من هذا الذي جاء في كتاباتك يا أستاذ؟! ولأنه أعاد نشر زعمه عن حادث اعتقال الشيخ أحمد السني رغم أنني نشرت كما ذكرت سابقا نص رسالة الزنتان إلى الشيخ المجاهد عبدالنبي بالخير التي تحدد موقفهم من اعتقال الشيخ أحمد السني فقد جعلت أبحث رغبة في وجود مصدر ربما يلقي الضوء على تلك العملية حتى علمت أن أحد معارفه ومعاصريه ما زال على قيد الحياة وهو يعيش في منطقة أوباري بالجنوب الليبي، وكان أن التقيته وجرى الحديث التالي :

قال اسمي خليفة أبوالقاسم امحمد بوراوي من قبيلة العميان مولود سنة 1930م في حطية أوباري التي تسمى الآن المنصورة، أعرف أن عبدالنبي بالخير اعتقل أحمد السني لأن هذا استلف منه ألف مجيدي، لما اجتمعوا في سبها عبدالجليل سيف النصر وعبدالنبي بالخير وسالم بن عبدالنبي علشان ايديرو دفاع مشترك هاداك الوقت في الجنوب، الطليان وصلت الجنوب لكن سالم بن عبدالنبي كسرهم وقعد الجنوب حر منهم، اجتمع القاده هادول وقالو الطليان يمكن يرجعو وكانو على علم أن الطليان يحشدوا في قواتهم، سالم بن عبدالنبي كان احتل قاهرا في سبها وأوباري احتلها المهدي كنيفو وهادول زنتان ولما جو في زلاف، الحقيقة سالم بن عبد النبي مشهور بالدبارا (التدبير) كان قال لكنيفو قايدين ما يجيش في عمليا واحدا ونبو واحد يمشي لأوباري وواحد يمشي لسبها، اختار كنيفو أوباري وسالم بن عبدالنبي هجم على قارة سبها، بعد هذا الكلام وبعد مشى الطليان إلى طرابلس اجتمع هؤلاء، عبدالنبي بالخير وعبدالجليل سيف النصر وخليفة الزاوي وبعثو في طلب سالم بن عبدالنبي وقالوله تعال نبو إنديرو دفاع مشترك لأن الطليان يمكن إيولّو لإحتلال الجنوب، الجنوب تعداد الناس فيه قليل لكن مساحته كبيرا ويبعد الشاطئ عن سبها وتبعد أوباري عن سبها والشاطئ، قالو إنديرو دفاع مشترك وما نعرفوش منين إيجو الطليان، كان جو قدا الشاطئ ابعثلنا يا سالم واحنا نتلقوه وكان جو من

سبها احنا نتلقوه وإنتا تجينا وهاداك الوقت الشيخ أحمد السني كان معانا باعتباره رجل دين، وكان بأسرته واسلّف من عبدالنبي بالخير ألف مجيدي والزعماء اتفقو على هادا الشئ، رجع سالم بن عبدالنبي إلى الشاطئ وعبدالنبي بالخير مشى لمرزق وعبدالجليل سيف النصر في سبها وزي ما اتفقو، وبعدين عبدالنبي بالخير يمكن ما عجباش الوضع رحل من مرزق وجا لأوباري، وزي المجاهدين حسّو بأن الطليان تقوى والقبائل الليبية بعضها خشّت مع الطليان والبعض الآخر فكر في الهجرة لمكان ثاني، توا المجاهدين من إدري مشو لحدود الجزائر وتونس وهللي من سبها مشو قدا الشاطئ ولما محمد السني سمع بأن عبدالنبي بالخير جا لإدري مشالا يبي يسلّم عليه ولما نزل من على الحصان وجا يبي يسلّم سأله عبدالنبي بالخير وقال جبت الألف مجيدي؟ قال أحمد السني: لا، أنا ماعنديش، فقال عبدالنبي بالخير لعساكرا أحبسوه، حبسوه وقابلوه للشمس، ومعروف هما حبسهم للواحد في العادا يقابلوه للشمس، توا سمعت نساء للشيخ أحمد السني وإحنا نسميهم السنيات يعني عليهن السنّه، دارو قصاع بازين على روسهن والحاكم في هاداك الوقت كان جاتا نساء خلاص مايردهنش، تبلغ عبدالنبي بالخير بأن نساء السني جايات علشان تطلق أحمد السني فقال لعساكرا قابلوهن في الطريق وردوهن، هاداك الوقت الزنتان في أوباري ماهومش في إدري فيه ناس شويين منهم جو للشيخ عبدالنبي بالخير

وسألوه علاش حبست الشيخ السني؟ قاللهم نبي منه ألف مجيدي، وهادوا في هالوقت مشو للزنتان وبلّغو عن حبس أحمد السني وعن الألف مجيدي، قالو هادا حق لكن الناس ماعندهاش، دارو شيء اسمه الفرقه اللى عندك جيبا وقدو الألف مجيدي بضاعا ومشو لعبدالنبي بالخير ليطلق سراح أحمد السني في الأول رفض البضاعا وقال نبي المجيديات وبعدين لما أصرو وافق وأطلق سراح الشيخ أحمد السني واستلم البضاعا، والحقيقة أنا هاداك الوقت صغير السن لكني عرفت القصا حكاها لي جار الشيخ السني وهو رجل كبير واسمه محمد المشيري من قبيلة السحيرية وزوجته زنتانيه قريبة ابن عمي، توفي سنة 1988م وهناك ابن عم محمد المشيري ويدعى أحمد انبيه المشيري وهادا مازال حي، ما زال على قيد الحياة، كذلك ابن أخت هادا الرجل ما زال على قيد الحياة وكما قلت اسمه أحمد المشيري وهو سمع نفس هذا الكلام تفصيلا من خاله محمد المشيري، وعندما قبل منا الشيخ عبدالنبي بالخير البضاعة مقابل إطلاق سراح الشيخ أحمد السني كانت قبائل الزنتان قد اجتمعت وقدموا رسالة بالإتفاق مع قبائل أخرى مثل الغنائمه والقديرات والرجبان وغيرهم تطالب بالأفراج فورا عن الشيخ المجاهد أحمد السني" انتهى

هكذا نرى أن ما أورده السيد القشاط كان مختلقا، والحقيقة هي أن الشيخ عبدالنبي بالخير سجن الشيخ أحمد السني بسبب الألف مجيدي، والحقيقة أيضا

أن الزنتان لم يتخلوا عن الشيخ أحمد رغم أنه ليس زعيمهم كما ادعى القشاط، وأنا عندما ذكرت أن الشيخ السني ليس زعيما على الزنتان اعتمدت على شهادات أولئك الرجال الذين عرفوه وتعاملوا معه على أساس أنه رجل دين يؤم الناس ويرشدهم إلى الخير والفلاح.

أما قصة السيد القشاط عن معركة مرسيط في مقال نشرته له مجلة (الوحدة العربية) وقد تنصل منه القشاط الآن كعادته في نقل الخبر ومخالفته بعد زمن يطول أو يقصر، وهذا نص المقال على الصفحة رقم (6) من المجلة المذكورة قال: "ولقد حضر المجاهد أبوالقاسم المعلول الزنتاني هذه المعركة والتي تليها وهو من أبرز مجاهدي المحلة ومن أهل الرأي والمشورة فيها، اجتمعت به وحدثني عن المعركة قائلا، كنا نجوب القبلة ونغير على الإيطاليين بين الفينة والأخرى وكان الزرع في ذلك العام جيد والناس في المناطق المسيطر عليها الطليان لا يستطيعون الخروج لحصد زرعهم خوفا من بطش المجاهدين الذين يعتبرون الأهالي تحت النفوذ الايطالي ولم يلتحقوا بالثورة (مطلنين) وينالهم ما ينال الطليان من العقاب، ولقد استغل المجاهدون فرصة وجودهم بالقرب من مزارع القمح والشعير فقاموا بحصد الزرع للتزود به واطعام المجاهدين وعائلاتهم، وكان الشيخ أحمد السني بمثابة الرئيس الروحي للحملة، فهو الإمام وشيخ الفتوى بين الحرام والحلال كما كان الشيخ أحمد البدوي يتمتع بين جماعة الزنتان بمكانة مرموقة مما جعله القائد الفعلي للحملة ومن أصحاب الرأي فيها،

وأيضا أبوالقاسم المعلول والحاج سالم الشائبي وجميعهم من الزنتان" انتهى كلام القشاط.

وهذا يعني أن الشيخ أحمد السني لم يكن قائدا ولا زعيما للزنتان، ونحن لا نقلل من قيمته العلمية وحتى الجهادية لأنه كان مرافقا ومرشدا للمجاهدين اقتناعا بجهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، كذلك فهو ليس من قبيلة الزنتان وإنما والده عاش في السودان الشقيق وتحديدا بسنار.

***

مجدوه فهو رمز المجد بل رمز الفخار

وأجعلوا من قبره المجهول تمثالا يزار

وأنثروا الورد على القبر بصمت ووقار)

الشاعر الليبى

إبراهيم الأسطى عمر

الفصل الثاني عشر
حديث الوثائق

عند البحث أو التدقيق في نصوص الوثائق، والتاريخ عموما فإن النزاهة والحياد ضروريان، ومن العجيب أن نجد من يبحث عن الوثائق ويجدّ في ذلك البحث وهو عمل مشكور أن إلا أن المؤسف أن هذا البعض يفسد عمله وجدّه ذلك بالمخالفة في القول، كأن ينشر الوثيقة ويكتب تحتها معلقا بما يخالف ما جاء فيها تماما أو ينسبها إلى غير أهلها كأنما تلك الوثيقة لا توجد إلا في حوزته، وهى إذا ما نشرت مشوّشة في هذا أو ذاك الكتاب لن يهتم بفك رمزها أحد، وإنما سيكتفي كل قارئ أو باحث بما سطرّه هذا الكاتب أو ذاك بحروف بارزة ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:25] وهو بذلك يجرم ويتجنى لأن رأيه ليس الحكم النهائى، ولا هو الفيصل في التاريخ ووثيقته ليست الوحيدة، ومن هؤلاء البعض السيد القشاط الذي بذل جهدا في البحث عن الوثائق والأخبار وتقصي الأحداث وكان يمكن أن يكون ذلك العمل مشكورا ومفيدا للتاريخ لو أنه اكتفى بما أجهد نفسه فيه، أو هو كتب حقيقة ما في تلك الوثائق والأوراق، لكنه وضع الكلمات في أفواه رواة التاريخ أو أحداث التاريخ وكان أغلبهم من الأموات، واستنطق الوثائق أو أنطقها بما ليس فيها على

الاطلاق، كما فعل في أوراق (عون سوف) وقد أشرنا إلى ذلك تفصيلا في كتابنا (حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربي) وأثبتنا أن تلك الأوراق أو المذكرات مزوّرة تزويرا فاضحا مفضوحا، كذلك فعل مشكورا باحث في مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي بشأن تلك الأوراق.

ونجد السيد القشاط مرة أخرى في كتاب (خليفه بن عسكر) يفعل نفس الشئ في أوراق نسبها إلى مجاهدين ومنهم سالم بن عبدالنبي الناكوع الزنتاني، وهذا ما نعالجه الآن دون اهتمام بكتابه لأن ما يهمنا هو تلك الوثائق لأنها تتصل بالجهاد الحقيقي كما أنها ملك لأناس يعتزّون بذلك التاريخ، ونأخذ نموذجين من الوثائق التي نشرت للتدليل على ما ذكرناه:

الوثيقة الأولى نشرت على الصفحة رقم (393) من كتابه وكان نصها كما يلي:

"إلى الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني -حفظه الله آمين

سلام الله وبركاته عليكم، وبعد، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر 17و18]

من المعلوم أننا سابقا صدّرنا ما فيه الكفاية لطرابلس وبرقة وأملنا أن تتفقوا وتتعاضدوا على مصلحة البلاد والعباد والدفاع إمتثالا لقوله جلّ علاه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:2] وإلى الآن لم تتفقوا على ذلك بينكم، بل نروا تجردكم

للأخذ بالثأر من بعضكم بعضا، وهملتم الدفاع عن شرفكم وحريتكم وصرتم تتربصون للإشاعات الواهية مع أنكم تعلمون جميعكم أنا لو كنا نروا لكم شرفا بعدم القتال لتشبثنا لكم في طريقة السلم التي تتضمن راحتكم ولكن بالنسبة لما تجلى من حالة الوطن و.... مع ما شاهدناه انتقامات التي جرت على إخوانكم الذين استظلوا تحت رايته ونسوا قوله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود:113] فلذلك أود أن لا تكونوا متكاتفين مع نشاط إخوانكم أهل الجبل، بارك الله فيكم جميعا، وأيدكم بروح من عنده، حيث أنهم ما وهنوا مما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما إستكانوا والله يحب الصابرين.

ولما أن العدو في هذه الأيام الآخيرة تجرد لأخذ وطنكم بطريقة سياسية بموجب (....) من مشايخ العربان لأنه طالما كان من الصعوبات والضعف فأوصى لكم ترك ما كنتم عليه كما املنا وتتفقوا جميعا إتفاقا واجبا بعد نفي كل ضغينة وتستعدوا بالمال والرجال لدفاع العدو وقطع مساعيه وتسعوا لصالح الوطن تتوطد الروابط الإسلامية ويكون الجبل وطرابلس كعضو واحد، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة:105] و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد:7] وهذا ما عن لنا من التحريض إمتثالا لقوله جلّ علاه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ [الأنفال:65] ولقوله عليه الصلاة والسلام، الدين النصيحة..

وفي الختام أسأل الله النصر والتوفيق والسلام،،

الوكيل العام"

ونجد أن القشاط قد كتب أسفل هذه الرسالة خلاف ما جاء فيها وكما يلي:

"رسالة من محمد رضا المهدي السنوسي إلى الشيخ سالم بن عبدالنبي الزنتاني يطالبه فيها بحث الزنتان إلى الإنضمام للمجاهدين والدفاع عن الوطن (20 محرم 1341م)" ، هكذا بالضبط نص لا علاقة له بفحوى الرسالة !!

نجد هنا نفس طريقة الدسّ، فتعبير (حثّ) يعني أن هؤلاء متقاعصون (والإنضمام للمجاهدين والدفاع عن الوطن) يعني أنهم لم ينضموا بعد وإنما هم ينتظرون من يطلب منهم وأن هناك من يدافع عن الوطن دونهم ولهذا تطلب منهم الرسالة الإنضمام للمجاهدين من أجل الدفاع عن الوطن !! وكما رأينا أن هذا الكلام لم يرد في نص الرسالة على الإطلاق، ذلك أن السيد محمد رضا كان يعلم أن هناك خلافات بين أهل الجبل وتلك حقيقة، والخلافات سببها الطليان الذين دخلوا المنطقة بالرشوة والإرهاب والترغيب والإبتزاز ليستخدموا هذه الفئة ضد الأخرى وذلك بطبيعة الحال أثر على الجهاد والمجاهدين والسيد محمد رضا استوجبت مسؤوليته أن ينبّه إلى ذلك، وقد وجه تلك الرسالة إلى

الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي وإلى عدد من زعماء الجهاد، فحورّها القشاط ليجعل معناها متعلقا بالزنتان فقط!! ولذلك جاء (بتعبير حث والإنضمام وو الخ) ليوهم القارئ بأن هؤلاء الناس لم يجاهدوا وأنهم كانوا ينتظرون من يحثهم على الجهاد وهم كانوا في حقيقة الأمر في مقدمة المجاهدين في جميع المعارك بشهادة كل منصف كتب أو قرأ باستثناء القشاط.

ونأتي إلى الوثيقة الثانية لنرى كيف فسرها القشاط، وهي التي نشرها في كتابة على الصفحة (394) قال: "رسالة من الشيخ سوف إلى أعيان الزنتان يطالبهم فيها بالإنضمام للمجاهدين في جهات مصراته، ويعلمهم بأن الوفد قادم إليهم لدعوتهم، وهم، الشيخ المبروك الغدي والشيخ الطاهر العكروت قائمقام نواحي مصراته وزليطن، ويسلّم عليهم مجاهدو الغرب القواليش والصيعان والبلاعزه والمحاميد، كما وقّع الرسالة عون سوف وتاريخ الرسالة 14 ذى الحجة 1341 هجريه"، وإذا ما أمعنا النظر في معانى الكلمات (الإنضمام للمجاهدين) و(قادم إليكم وفد لدعوتكم) ويسلّم عليكم (مجاهدو القواليش والصيعان والبلاعزه والمحاميد) من هذا سنفهم أن الكلام هكذا وارد في الرسالة وبالتالي فإن هؤلاء يقفون جانبا ولا يشاركون في الزنتان بينما (القواليش والصيعان وغيرهم) يجاهدون !! وإذا عرفنا أن تاريخ الرسالة كان (14 ذى الحجة 1341 هجرية) فهو يوافق تقريبا سنة 1920 ميلادية، والرسالة تقول (تفهمكم بالحقائق) وكاتباها يطالبان بمواصلة الإتصال عندما يقولا (نرجوكم

دوام المخابرة) فلا نعرف من أين جاء القشاط بما كتب أسفل الرسالة المنشورة، وكلمات الإنضمام ودعوتهم الخ ؟! وفيما يلي نص الرسالة التي اقحم فيها القشاط هذه التعابير:

"حضرة جناب المحترمين الأفاضل الكرام الشيخ سيدى محمد الإمام والسيد الشيخ البدوى والشيخ سالم بن عبدالنبي وعموم أعيان الزنتان من غير تخصيص، بعد إهداء واجبات السلام عليكم وعلى من هو بطرفكم وبعد،

معلومكم من زمان لم رينا منكم جواب ولا خطاب، لعل المانع خير، ولم نقدر نفهم حركاتكم وتغافلكم هذا صرت متأسف إلى غاية الأسف عن إخواني ورجال وطني أن يقع فيهم هاد الفشل ويطمع فيهم العافن والملح، معلومكم إخوانكم أهل سرت اليوم في مدة عشرت أشهر لم يرو معاونه من أحد من يوم سقوط ترهونه وأهل مصراته منفرده بنفسها تحارب العدو وأنتم نيستو أعداكم حتى طمعو فيكم في وسط سحراء ولو وجدنا طريق لكان من زمان وصلناكم ومعلومكم اليوم الحرب من حدود مصر إلى نهاية مصراته إلا جهاتكم بواسطة أرباب المال وقع فيكم ما وقع، مع أنه اليوم عموم الإسلام تنتظر منكم الخير في كل وقت وزمان، وطال إنتظارنا فيكم وفي حركاتكم مع أنه لمدة عشرون يوم رجع سعادة نائب الأمير السيد صفي الدين، إخواني انهضو شملكم وبينو أفعالكم القديمة وها نحن منتظرين حركتكم في كل وقت وزمان ولوقعت منكم

حركات لكان طريقنا آمنه وأرجو دوام المخابره وسرعة الحركة على العدو وأيضا بعد وصول السيد خرجت أهالي أكثر من مصراته وطلبت أهل سواحل الذي كانو تحت العدو السيد مجتهد في إصلاح حالة ورفلة ربما يصلح المسلمين لكونهم قبل لم تخرج منهم فايده إلى الإسلام ربنا يصلح أحوالهم وأحوال عموم الإخوان ونحنو باقين في إنتظاركم بسعت ودقيقة على أمركم ولو وقعت منكم أدنا حركا لابد أن تصر الحركات شديدا من هاده جهات أرجوكم دوام المخابرة وإتصال طريقه ونحنو معلومكم من مدة عشر أشهر ونحنو في خطر الحرب مع إخواننا الوطنيون الغيورين رجال مصراته أرجوكم أحيا اسمكم واظهار مصايلكم المشهورة مع أنه نبشركم بنصر أخواننا أهالي بنغازى وقعت محاربات شديدة وغنمو بها الإسلام مدافع ومترليوزات وكراهب حمله وكراهب مدرعه وجبخانه وأنكسر بها العدو وإن شاء الله في هاده الحفظة حسب أمر السيد يتقدم جيش الإسلام وسيتوجه لكم وفد اسلامي ومن جملت الوفد الشيخ المبروك والغدى والشيخ الطاهر العكروت من الزاويه وقائمقام مصراته وزليطن لأجل يفهمكم بالحقائق، يسلمو عموم المجاهدين أخوانكم القواليش والصعان والبلاعزه والمحاميد وعموم أهل الغرب والشيخ سالم عمران التاغمى، 14 ذى الحجة 1341 هجرية".

كان هذا نص الرسالة ونستميح القارئ الكريم لأننا نقلناها كما هى بأخطائها اللغوية التي قد لا تفهم بسهولة لأن أمانة النقل تقتضى ذلك.

ومن نص الرسالة يتضح التزوير وإختلاق الشكوك وتحريف الكلمات الذي ذهب إليه السيد القشاط وحتى أن الرسالة تخاطب قبائل أخرى لكنه لم يجد من يضع عليه اللوم إلا قبائل الزنتان لغرض في نفسه.

والرسالة الثالثة التي نشرت على الصفحة (351) وكتب السيد القشاط تحتها يقول: "رسالة من عابد السنوسي إلى الزنتان بالرملة يطلب منهم تزويد عبيده ومنهم خير يحى بمستلزمات الزاوية"، وللوهلة الأولى فإن القارئ سيفهم من هذه العبارات أن هناك شيئا مقررا يطلبه عابد السنوسي من الزنتان (مستلزمات الزاوية) والأمر في الحقيقة ليس كذلك، وهذا نص الرسالة:

"إنه من عبد ربه سبحانه محمد عابد السنوسي الخطابي الحسني الأدريسي إلى الإجلاء والفضلاء الأعزاء الأبرار، كافة أخوتنا الزنتان الذين بالرملة والوادي بدون تخصيص جميعهم كبيرهم وصغيرهم لا زالوا محفوظين وبعين العناية ملحوظين، آمين، وبعد

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته، موجبة السؤال عنكم وعن كلية أحوالكم التي هي غاية المقصود من الملك المعبود أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر وأسبل عليكم رداء سترته الأولى، وإن سألتم عنا فإننا وكافة الإخوان الذين بهذا الطرف بخير وعافية ونعم إضافية أرجو الله ألا تزالوا

كذلك سالكين في جميع اموركم أقوم المسالك بجاه النبي الشفيع، عليه الصلاة والسلام، وشرف عظم وربنا سبحانه وتعالى يوجه الجميع لما يحبه ويرضاه بجاه نبيه ومصطفاه ويحفظكم ويرعاكم ويكون لكم ولنا وليا ونصيرا ولا زال الدعاء منا لكم مبذولا ومنه إجابة وقبولا، وبلغت منا أزكى السلام لكافة من بالطرف وجميع الإخوان، ومن عندنا يسلّم عليكم خالنا الشيخ السيد محمد وعلى كافة الإخوان، والسلام يعمكم في البداية والنهاية، والختام.. حرر في 25 شوال 1332 هجرية "

هكذا قارئ الكريم ترى أن الرسالة هي عبارة عن (دعاء) وقد اعتاد الناس في مجتمع ذلك الوقت أن يطلبوا (الفاتحة) من أهل التقوى وحملة كتاب الله وخدام الزوايا، ثم نجد أن السيد محمد العابد قد كتب ملحقا في الرسالة يقول فيه :

"إلحاقا خير ونفي كل هم وكدر، نرجو الله أنكم بخير وعافية وما كنا نظن أنكم تبطون إلى الان وما اجتمعنا بكم فالله يجمع بكم على خير وأنتم مسرورين بخير وعافية وها هو عندنا إن شاء الله يصلكم بخير (خير يحى) ومن معه مرادنا يحكون لكم شفاهة إن شاء الله عن لازم الزاوية ومصاريفنا بدون تعب عليكم نريدكم تجمعون لنا طعاما وشلتات خمسه او سته وغراير وحوايا وغير ذلك بارك الله فيكم والحال الذي في الوطن لا يخفى عليكم وغيركم يوصي والمدار كله على راحتكم ودوام سروركم ودمتم وأتم السلام يخصكم منا والبقية وعامة من معنا والسلام، والدهان لا تنسوه أيضا كلكم بارك الله فيكم ودمتم" انتهى

الذي يقرأ الرسالة بنصها يرى أن صاحبها لا يفرض شيئا (كما أراد أن يصور القشاط) وليس هناك شئ مقرر، وإنما هو في الحقيقة يدعو للناس بالبركة والخير والسلام، ثم يشرح وبخجل شديد احتياج الزاوية لأشياء بسيطة وهي تتوفر عادة لدى أهل الإبل والحيوانات، وكانت عبارة عن (شلتات أي أفرشة وأبسطة، غراير "جمع غرارة"، حوايا "جمع حوية")، وفي الأخير يطلب الدهان بمعنى الزيت أو السمن أو الزبده، والرسالة مليئة بالدعاء والمودّة، فلو كان مؤلف ذلك الكتاب قد نقلها كما هي لقلنا له شكرا ولكنه وقد أراد الإساءة والدسيسة فقد وجب التوضيح (وحسب نواياكم تبعثون)، وهكذا الحال بالنسبة لبقية الرسائل أو الوثائق التي نشرها السيد القشاط، كان يدس عليها الكلام ويقحم الألفاظ لغرض في نفسه، سامحه الله، ونحن هنا نعيد نشر تلك الرسائل بإعتبارها وثائق تاريخية حصلنا على بعضها من ابن الشيخ سالم والبعض الآخر توفر لنا من مصادر تهتم بالتاريخ الوطني الليبي، ولابد أن خصامنا على الرغم من أنه من أجل الحق والصدق قد ينطبق عليه قول مصعب بن عبدالله الزبيرى:

(أأقعد بعدما رجعت عظامى … وكان الموت أقرب ما يلينى

أخاصم كل معترض خصيم … وأجعل دينه عرضا لدينى

فأترك ما علمت لرأى غيرى … وليس الرأى كالعلم اليقين

وما أنا والخصومة وهى ليس … تصرف في الشمال وفي اليمين

وقد سنّت لنا سنن قوام … يلحن بكل قبح او دجين

وكان الحق ليس به خفاء … أغر كغرّة الفلق المبين

وما عوض لنا منهاج جهم … بمنهاج إبن آمنة الأمين

فأما ما علمت فقد كفانى … وأما ما جهلت فجنبونى

فلست بمكفّر أحدا يصلى … ولم أجبركم أن تكفرونى

وكنا أخوة نرمى جميع … فرمى كل مرتاب ظنين

فأوشك أن يخرّ عماد بيت … وينقطع القرين عن القرين)

* * *

خواتم القول،،،

(قالوا هجرت الشعر، قلت ضرورة

باب البواعث والدواعى مغـــــلق

خلت البلاد فلا كـــــريم يرتجى

ومنه النوال إنـــــه لا يشترى

ويخان فيه مع الكساد ويســـــرق)

الشاعر القديم

إبراهيم عثمان الغزى

الفصل الثالث عشر
خاتمة المطاف

كانت السيده (عنايا) ابنة الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الكبرى هـي التـي كما ذكرت لنا رفيقته في رحلات الجهاد الطويلة والمضنية، وهـي التـي تعـد لـه متاعه للسفر وتعتني بتنظيف سلاحه وتجهيـز ذخيرتـه وتثبيـت سـرجه، وحتـى تنظيف فرسه على الرغم من وجود من يمكن أن يقوم بذلك من الخـدم، وكانـت كما ذكرت رحمها الله،إذ توفيت عن عمر يناهز السادسة والتسعين، وقبـل وفاتهـا مباشـــرة جـــرت معهـــا المقابلـــة التـــي نقتطـــف منهـــا هـــذا الكـــلام في (24/ 10/ 1987م) في بيتها بالقرية، وقد توفيت بعد تلك المقابلـة بعـام واحـد ودفنت بجوار والـدها، ذكـرت لنـا أنهـا كانـت وكمـا عودّهـا والـدها تـستطيع استعمال كل أنواع البنادق المستعملة في ذلك الوقت، وكانت أدق في التـصويب من أخوتها في ضرب (الإشارة) أي الهدف، ولقـد ابتـدأت الحـديث ببيـت مـن قصيدتها الطويلة:

(نهار البنادق يطلعوا من أيـديكم تبدوا ولايا إفدرجـة أم إعـصابا)

أي أن الرجال الذين يسلّمون سلاحهم سيتـساوون مـع النـساء، بـل ربمـا كـان تعبيرها أبلغ من ذلك حيث قالت (تبدوا ولايا) ثم أضافت (إفدرجة أم إعـصابا)

أي تلك المرأة التي لا تقدم على شئ غير ربط رأسها تأكيدا على أنها أنثى، وهذه قصيدتها كما روتها بصوتها، وهذه القصيدة مسجلة بإرشيف مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي وكذلك لدى المؤلف، ولقد حرصنا على نشرها لما فيها من بلاغة التعبير عن قدرة المجاهدين وإيمانهم وحال الناس وقت الحرب :

(إنكان بوى فيرم عالمعاش ... إوجابا إنظّهر عقاب الطبل للندابا

سيدى حلف بصوما للكفر ... ما يبعث بسط لروما

إيجى منتده راكب على مقبوما ... إتجى ساقطا من عقدها مصروما

مكابد كفلها ... من شعير الصابا

نهار فيه بولرواح كابر شوما ... حتى الصريما تكرها ما تابا

سوا ظالما وألاّ سوا مظلوما حتى ... قصر عالي إفقاهرا ما هابا

نهار قاهرا ما وألاّ نظرا على ... رفاقا والعماد عالّلا

وزوّد على باب الحديد أوحلّلا ... رأسا صحيح وليمنا ضّرابا

عارفين دراجا رمك فيه ... بومشطا خفيف ألواجا

وأذن إفراس القصر فيسع هاجا ... قال عقب رانى إنلم بيه أصحابا

بوى كان فيرم عالمعاش أوجابا ... إنظهر عقاب الطبل للندابا

أنا بوى موش أهوّين للكفر ... ما يبعث كلاما لين

أركان حرب ديما في البرور معيّن ... دم الكفر لين طق إركابا

وراكب على سابق شهير وبيّن ... منين ركرك البارود دار ضبابا

إنهار إيمرّض نهار فيه ... لولاد الملاح تعرض

صبح فيه من فجرا الرصاصا إيقرض ... وقعدت كبايا صغارها ندّابا

كان بوى فيرم عالمعاش إوجابا ... إنظهّر عقاب الطبل للندابا

توا يهبهب عونا وتفتح ... مفاتيح الفرج يأتونا

ضرب قاهرا منا غدت طابونا ... محنّى مناقيرا وطير صيادا

اللى وعد بالسوء يقصر دونا ... وسيدى عمد للحرب عندا عادا

وديما عليه كبيدتى مطعونا ... غريم طاليا سيدى قليل إرقادا

طاليا غارمها حين ما ... قومها يغنمها وهاجم عليها

إفقصرها شكّمها وكامش ... على دينا صلى وإعبادا

كان بوى فيرم عالمعاش أوجابا ... إنظّهر عقاب الطبل للندابا

سيدى نزل في الرملة نجوعا ... بناها بالعمالا جملا

بعدين طق الطبل جونا جملا ... طالق عليه المهر والزغّابا

القصيدة طويلة جدا ونكتفي بهذا القدر منها إذ كانت مناسبة هذه القصيدة أن هناك من تحدث عن علاقة ما للشيخ سالم بن عبدالنبي مع الطليان، بمعنى أن بعض الوساوس بدأت تدور بين الشفاه هنا وهناك في الفترة الأخيرة من الجهاد الوطنى عندما تغلغل الطليان بين الناس وصاروا يبثون الإشاعات ويؤججون الفتن ويختلقون القصص بغية التشكيك في المجاهدين عموما والقادة خصوصا، وقد جاء من يشيع ويوّسوس أن الشيخ سالم قد ذهب إلى الطليان لإستلام المعاش أي المرتب الذي قررته إيطاليا لإمثاله من المجاهدين نظير المهادنة أو الإتفاق، ولقد سمعت ابنته تلك الوّسوسات وهي التي عرفت والدها جيدا وعاشت معه أحلك فترات حياته بين القريات وبلدة الزنتان وإدري وبو القلوب ومزده والطابونية والرملة وبراك الخ، هي التي عرفته مجاهدا في سبيل الله لا يطلب مالا ولا جاها ولا بغيّة له غير الدفاع عن البلاد والدين، وما

كان لها أن تقبل بهكذا إشاعات أو وساوس أو كلام مجاهرة، ولكنها في نفس الوقت لا تستطيع أن تسكت كل الناس، وخصوصا أولئك المأجورون وهم كثر في كل مكان، في فترة سيطر فيها الغازي الأجنبي على البلاد تقريبا، وهكذا كان ردها بليغا وغير مواريا، قالت أن الطبل موجود وهو قديم (عقاب) لأنه استعمل كثيرا في مآتم شهداء الوطن، وأنه لو حدث وتأكد أن والدها قد فعل شيئا من ذلك فإنها سوف تأتي بذلك الطبل لتندب حظها وحظ الوطن والأمة، ولكنها تعرف أن ذلك لم ولن يحدث وهو من المستحيلات.

وقالت، بعد ذلك أن والدي هاجر مجبرا لا راغبا وتحدث عن رأس قصيدته والرد عليها: (سيدك نوا للهجرة)

قالت:

(سيدى حلف بإيمينا   سيد السرايا بوك يا سدينا
نهار الوخيم وبوالقلوب   غبينا كت أوتنهد ما لقا لعتابا
راحو فراسين الجهاد غبينا   وقعدوا المضايع بعدهم

وتتحدث عن تلك المرحلة فتقول: "لقد تعبنا لأننا كنا في الوخيم والحالة حالة حرب ومن هناك في بوالقلوب، نتنقلّ في الصحراء من مكان إلى آخر (سيدى زهلل وخلانا في حالة العدو) فقلت القصيدة التالية:

كبير وإسماه شهير جلا   وإدرى قعدت للغير
سيد العربان وسيد الطبل اللى رنّان   مشى سيدى ذيب الطليان
بدو بعده غير محاسير وبين إدرى   ونين تمسان أومشيتهم غير تبختير

نتمنى سبعميات حصان إيجوهم   في الليل معاوير
منين إينوض فيها القزان وتصبح   لكلاب معافير
ولعت في ذاتى النيران قريب   رانى في الجو إنطير
بديت نجرى زى السكران الشيء   من الله مقادير
الشيخ اللى في البر كبير وإسماه   شهير جلا وإدرى قعدت للغير
الدنيا ما دامت لحد اليوم   في المركز برقلدير
عليهم دمع العين غرد فوق من الخد   غراغيز معاه طايير وقلبى من التنهيد
والجاش ترد وكبدى   راحت دم غزير
منين كان الدوار أسود والخيل تصد   والبل إدير جماهير
اليوم غير النسوان لمد والهول تمد   علينا ما غايب من خير
نبى نحرّم كحل المروّد والجور نكد   ورأسى ما يهواه السير
على بويا ما زيا حد   منين كان القفل إجد من كل بلد
اليوم غير الحوش إيغرد بابا مرتد   سبب في إشكارا كيل شعير
عليه ديما نبنى ونهد غير إنكايد   قريب رانى إندير البندير
جا دونا رقراق أسود   ما فيه إبلد وإفجوج إدير
الشيخ اللى في البركبير وإسماه شهير   جلا وإدرى قعدت للغير

وبعد هذه السياحة المحببة إلى النفس في الشعر، قالت، أنا الآن في الخمسة والتسعين من عمري وأتذكر هذا الكلام (الشعر) غير بالبركة ورضا الوالدين، قلنا أطال الله في عمرك وهناك شاعر شعبى قال:

(كبير سن في الخمسين عمرى عدا   الركبين بادو والحرب بيش إنقدا)

ضحكت وقالت أنا في الخامسة والتسعين وربما أكثر ثم توقفت عن الكلام

قليلا وأضافت، أنا أكبر بنات وأبناء الشيخ سالم وما زلت أتذكر أغلب الأحداث والمواقع والحمد لله، من عمري الطويل هذا قضيت مع والدي خمسة عشر سنة في الصحراء وكنا نعيش على أكل الترفاس "الكمأ"، وبعض نبات الصحراء، في معركة سواني بن آدم كان مع والدي مجاهدون عاد ببنادقهم فقط وكان من بينهم (محمد بوالطويرات وعمر بو الطويرات والزروق الماترسي وإبراهيم بن إبراهيم وحمد الجبو ومسعود الناكوع) وكنت أعرفهم جميعا وقد قتلوا في مكان إسمه (الكدوه) في سوانى بن يادم، صارت تتحدث بمرارة عندما بدأت تقارن بين الجيل الحالي والجيل السابق وإن كانت تقول (الله يبعد عنكم الحرب)، ثم قالت كنا نكرم الضيف ونحميه ونساعده إذا كان في حاجة للمساعدة وندافع عن المظلوم ونموت في سبيل الله، وكان الناس متضامنون حتى أن هذه المنطقة (وأشارت بيدها يمينا ويسارا) كانت تزرع عندما تهطل الأمطار ثم تحصد ويخزّن شعيرها وقمحها (وقفا) أي أنه لمساعدة المحتاج وعابر السبيل.

إلى هنا انتهى اللقاء مع السيدة (عنايا سالم بن عبدالنبي الناكوع) رحمها الله رحمة واسعة، وصدق الله العظيم ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء:13].

ولقد كان الشعر والشعراء دائما في الميدان، ميدان الحرب، وميدان الزهو والفخر والإشادة والإعتزاز والمفاخرة والذم، وميدان الهجاء والإطراء، مجال التقوى والكفر، وهذا شاعر تدفق من قلبه ووجدانه حب عميق لقيم الإنسان الذي يحفظ الجميل ويحمى المجار ويذود عن الحق، ولقد أراد بكل الحب

والحنان أن يعبّر عن مشاعره بكلمات صادقات، وهو يقول انه خبر الحياة وعرف هؤلاء الناس الذين يتحدث عنهم ودرس طباعهم وعاداتهم وتقاليدهم ومواقفهم فأعجبته مواقفهم لأنهم يقاتلون عن عقيدة وإيمان من أجل الوطن والحرية والدين، هؤلاء الذين مارسوا الحرب فعشقوها، واستعملوا الخيل فميّزوها وتميّزوا بها، عاشوا في الصحراء فطوّعوها ولانت لهم كل صعابها، قصيدة هذا الشاعر بليغة في لغتها حميمة في حرارتها أمينة فيما رسمت من صور البطولة وأنفة الرجال وجرأتهم وثباتهم وصلابتهم، هى كلمات نبعت من القلب نابضة بالحياة، مصوّرة لبطولات نادرة وقدرة فائقة على تطويع كل الظروف وصياغتها بكل جرأة وإيمان المجاهدين في قالب صلد، إيمان المجاهدين في سبيل الله، الرجال الذين لا يطلبون شيئا إلا الحياة الكريمة أو الشهادة، يفتحون عيونهم على حمد الله، ويبدأون عملهم بإسم الله، ويقدمون على أخطر الأمور مهللين،الله أكبر، وهاهو الشاعر يتحدث بكلمات كأنها ريشة الفنان الذي يرسم ما يراه أو يتخيله بدقة وإتقان، الشاعر سعد محمد يصوّر لنا معركة الكردون ومعركة العميان ومعركة ودى الخيل كأنه يشارك فيها ويشهد جولاتها كما يلي:

(ريت شعب في الزنتان تفخر بيهم ... تاريخهم يشهد على ماضيهم
تاريخهم من لاوّل جهاد ... في سبيل الله ما يتحّول
وجيش قرسياني عذبوه ... سلاحا خذوا داسوه في ركبيهم
اللى في الحمادا صقرهم ... وأهل الركيب والغنم هى ليهم
ريت حضرهم في الشارف ... وميعادهم عقلا تريسا عارف

قوى عزمهم تشرب ألألأ   يا رب من كيد العدا تحميهم
قوى مزنهم تيار سيلا   خسران هلّلى قال بنعاديهم
هذى شهادا منى وكلمات نبغى   نقولهم متعنى ولجمعهم مبروك فيه
مع جملة الزنتان في ناديهم إركوب   نزهة المتمنى عليه زغرتى للى خاطرا
سيدى ذويب تحيا وإرجال   فيا فيا فزتوا على قطر الجبل جمليا
ثوار وإبلادى إتهنا بيهم عرب باديا   فيهم ضمائر حيا يفكوك
صحيح بمنعوا في الخايف وناس   يكرموا في اللى قصدهم ضايف
لهم في الحمادا نجع دار ضفايف   إتقول مضيفا في البيت وقت
إركيب إمجرد مزن دار حفايف   يا رب من بدر السحاب إرويهم
كانك مشيت إعماهم إيعزّوك   زى نفوسهم وضناهم
كلامي حكيتا بعد جربناهم   نقي عرضهم يلمط كما حوليهم
إن عنتّت يصبو عليك بلاهم   ليا سقموا مهناش من يحنيهم
الزنتان أهل شهاما وسام شرف   عاطيهم شهادة ناما
وكلمة تفضل اولا بكلاما بالخير   ربي إنشاللا يجازيهم
إفكل هود ليهم معركا وعلاما   فروتن ودى الخيل بنسميهم
العميان خشّوه البحر يطاما   فنوه العدو ما صابشى يفنيهم
الكردون عنا خبروا الكلاّما   فعقال شجعانا ثنوا كرعيهم
وحلفوا العدو ما يهربوا قداما   لا سلّموا لا بايعوا بإيديهم

ويقول:

الطيان كملوا والحبش   وقعدوا جيف الذيب ياكل فيهم
عرب باديا أهل النفوس   وبين النواظر ضرب زين إيديهم
حاربوا بنساهم ولا يوم   عدوا الزالا في قفاهم

وجيش قرسياني وين حشّد   قوى عزمهم موحال فلّك فيهم
وإحنا اليوم إنخلّدوا ذكراهم   حيين والقرآن قال عليهم
ريت شعب في الزنتان نفخر بيهم   وتاريخهم يحكى على ماضيهم

ويصف الشاعر معركة الكردون الشهيرة والتي أبلى الزنتان كعادتهم فيها بلاء حسنا، وقد اختمرت فكرة الجهاد والمجاهدين في ذاكرة الشاعر فجاءت كلماته نابضة بالحياة تضيء متلألأة كالمشاعل في الليلة الظلماء، وقد انصهرت الكلمات في مخيلته فصارت دررا وهو يهتف قائلا:

الكردون فرسانا نهار   بين النواظر ضربهم لامارا
حرقوه هو ومن وراه   لين جاف ما بردو صهايد نارا
فرسان ليهم قيما أركان حرب   مشهورين ناس زعيما
وتاريخهم قاعد إمسجل   لين فجر سبتمبر سطع بأنورا
وليام زى الريح في   واللى مجاهد جايبين بشار
أهل أبّادى صحيح   نصرة الشارق منين إينادى
ومن كل جيها يفزعوا   إيجوا من الحمادا راكبين مهارا
وطنى وجيرانى وناس بلادى   لجيوش العدو
التاريخ وين قرينا   ودى الخيل ليه مشينا
وحسب الطبيعا قلت بللى   كيف ما نظرنا جابت الصوارا
وتالا الحمادا الفوق وين   العميان ملطمهم لقيت آثارا
عليهم قرينا الفاتحا   تبرّكت بترابا بنيت زيارا
شيّابهم يحكولى ومنهم   فهمتا كل ما قالولى
أهل البوادى يلبسوا في   عند الشدايد للدرك صبارا

شاعر وما نكذبش صادق … لا نزيد ولانى من الشكارا
لا تتهمنى ولا تقول … الشباب إيديرها في أفكارا
تاريخهم في جبلهم وجرّت … مسارب خيلهم ونعلهم
سقّادت الشارق إنكان وصلهم … يشربوا ما هم من السكارا
ريت في الحمادا سارحات إيبلهم … عرب يكسبوا في الضان والخوارا
كلاما حكيتا واقع لمستا لمس … الشاريط بيدى مرادعا وساويتا
إنهنيك تاريخك عظيم … رقا مزن عالي ساطعات أنوارا
الكردون فرسانا نهار الغارا … التاريخ كتبوا بالذهب أسطارا

ثم تمتد قافلة وخطوات السعادة بالشاعر فيقف متأملا موقع معركة (ودى الخيل) تلك الموقعة التي حدثت في مجرى الماء بين حافتي الجبل الأشم وشاهد قبور الشهداء هناك فألّتهبت مشاعره وهو يذكر تلك الحرب الجائرة التي شنتها إيطاليا على هذا الشعب الصغير المسالم، ويمتزج في نفسه الغضب بالفرحة فيصوّر المشهد بكلمات بليغة وهو الشاعر الشعبى الذي لم يقرأ عن البلاغة ولا طالع دواوين المتنّبى وأبى العلاء ولا حتى رفيق أو الشارف، يقول:

معارك ودى الخيل يا مشهورا … الزنتان في وقت الحروب صقورا
التاريخ هكى قايل فراسين … راهم يعدلوا في المايل
وأنا حكيت الحق موش إنحايل … والحق من يقدر يطفي نورا
حزم وطن ليهم ثقل راهو … حرّاس لبلادى ودرع الثورا
بأولادهم وأجدادهم لوائل ما … عسر الزمان وشورا
التاريخ قال عليهم … من الأول إلى تاليهم
ومانى إنتملق جيت نشكر فيهم … قديم رسمهم قبلى شهير الصورا

مني شهادة حق بنزكيهم أصحاب … عقل موش نفوسهم
وبالخير ربى إن شاء الله إيزازيهم … ظهر فعلهم في كافة المعمورا
خاضوا معارك جمّا، من … الشرق حتى لقبل من ورغما
إفكل معركا نالوا الثنا والهمّا … العميان ملطمهم تفضل زورا
نهار المخترش فيه سافي كمّا وما … خاف من مدفع إيزلزل كورا
مرحول ماهيشى عرب … مشت طاليا مخاذلا مقهورا
أعداد شوّيا الواحد عيارا فوق … وميّا وشايب حكا عنهم إيخبر
فيّا فراسين شاكرهم … أولاد صقورا
أتقول صيد خارب في عقاب … التاريخ كتبوا بالذهب إسطورا
لا كبكبوا لا ولّو لا … سلّموا إفرحولهم واختّلوا
وهربوا النصارا … ذيال الهزيما قى القفا مجرورا
وليام للى صابرين يوللوّ … من استشهد سيّتا مغفورا
بالك إتقول إيزايد … وطماع لمكسب الدنيا رايد
التاريخ من نفسه بروحا … وتيار من يقدر يجى في فورا
وذكر المجتهد ريت فيه فوائد … إنشاللا نهار الحشر في طابورا
إنخلّدوا ذكراهم من فعلهم … قاعد يعيش أسماهم
إنشاللا نهار الحشر من … الغفران بيه إنفوسنا مسرورا
معارك ودى الخيل يا مشهورا … الزنتان في وقت الحروب صقورا

والشاعر هنا يتحدث عن التاريخ الذي قرأه وعاصرة وهو يعترف لأهل الفضل في الجهاد بفضلهم دون أن يجامل أو يواري وكأنه سمع قول شوقى:

(قف دون رأيك في الحياة … إن الحياة عقيدة وجهاد)

أو كأنه يخاطب روح الشاعر الليبي إبراهيم الأسطى عمر ليؤكد له أن ما قاله في الإعتصام بالرأي ما زال هناك من يلتزم به في بلده (ليبيا) رغم طغيان المادة وطوابير المنافقين والمرتزقة:

(لا أبالي أن أقول الحق لا أبـــالي

غضب اليوم الناس أم تعاموا عن مقالـــي

إن للتاريخ أخطاء على سعى الرجـــال

سوف تبقى عبرا للناس ما مرت ليـــالي

وهى لا تقبل نقصا، لا ولا تمحى بحـــال

بل أقص (الواقع) المعروف من غير إفتعـال

وشاعرنا على الرغم من أنه ليس في حاجة إلى التأكيد على أنه لا يبالغ ولا يبالي ولا ينـافق لكنـه مـع ذلـك أراد أن يؤكـد أن الإعتـراف للرجـال بـشجاعتهم وتضحياتهم حق لا يجب إنكاره مهما كانت الأسباب، ولقد شاهد وتأمـل جيـدا وقرأ بعنايـة فوجـد أن هـؤلاء النـاس كرمـاء يـدافعون مـن المظلـوم ويحمـون المستجير، ويحسنون استخدام السلاح حتـى أنهـم يحـددون مكـان ضـرباتهم، وهذه قال عنها الشاعر إنها دائما بين العينين، أي أنها قاتلة على الفـور، ولا يـسعه إلا أن يفخر بأبناء بلده:

(وطنـي وجيـراني ونـاس بـلادي فراسـين لجيـوش العـدو كـسّارا)

ويصوّر لنا معركة ودى الخيل الشاعر (عمـر القحـيص) كأنمـا كـان يتجّـول هناك بآلة تصوير دقيقة فيقول:

(ترى خبـر يـا ودى الخيـل إحكـى شـــن داروا في بوبرطيـــل)

وهو يسأل تلك الروابي وذلـك الـسفح الـذي تلاقـى فيـه المجاهـدون مـع جحافل الطليـان، ويطلـب الحكايـة تفـصيلا، لأنهـا في تفـصيلاتها ربمـا تعجـز الكلمات عن وصفها، أمـا ذلـك الـوادي وتلكـم الجبـال والـصحراوات فهـي الشاهدة على نقاء نوايا الآباء والأجداد في الجهاد من أجل الـوطن والـدين، إنهـا دائما صرخة (الله أكبر) كما كبر المثنى بن حارثـة الـشيباني يـوم أجنـادين ويـوم اليرموك، وكما كبّر سعد ابن أبي وقّاص يوم القادسية، وكما قال الخليفة العظيـم عمر بن الخطاب عندما أرادها معركة الأمة كلها، معركة المسلمين ضـد الغـزاة، قال (والله لأضربن ملوك الأفرنج بملوك العرب) وقد انتصرنا دائما عنـدما كـان الجهاد في سبيل الله، يقول الشاعر:

(جتهم لخيار وفهموهـــــا مـن كل أشـوار

على العميانى شنهو دار اللى جاهـــد ماهوش بخيل

رواهم حنضل ومرار طيح خمسيـــات قتيل

صقر أمحوّم فوق حبار قعدوا في الهـود مسابيـــل

سمعوا العربان وفزعوا شيب وشبان وكل واحـــد

على ظهر حصان وفاجوهـــم في عقب الليل



وضربوهم راحوا طشان قعدوا منهـــم غير قليل

وكل واحد يجرى حفيان ومكسور الجنحان ذليـــل

خبّر شن صار وفهّم هالنـــــــاس الحظار

بين المسلم والكفّار قالوا صار نهـــــار طويـل

فيهم يadarوا بازار حمامـــــــات الدم تسيل

فراسين وشجعان كبار عوايدهم مـــــن جيل لجيل

جوهم من غادى في الخشم بقرب الـــــوادى

عقب الليل كتح الصادى ودار البــــارود تزلزيل

وديما يغلب هللى بادى وهللى راقد مـــوش رجيـــل

حاطت بيهم ناس أبادى خلصوا منهـــم بأوفي كيل

وحلفت بالله لا فاتاتا فرصا ما ليهـــاش مثيل

بكل شجاعا فازت طباتا لا قاوم لا عنـــدا حيل

ضربوا جيشا راح شتاتا بومشطا قاصد وطويـــل

جاتا جمليا كل الناس اللى في الطابـــــونيا

جاتا ظهرية شيطانيا منين لادوا بيهـــم رجاجيل

فرايسهم قعدت مرميا تقول عدفا حادفهـــا سيل

وهان سلاحا والنقليا وجدد كذبـــــا والتدجيل)



وهكذا هي الحياة لا يبقى إلا العمل الطيب لله وللناس والوطن، تلك هي الحكمة الأزلية، لا شئ باق، قال تعالى : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف:58]

***

حسبك من التكريم

أن تكون مستحقا له لا أن تناله

أرسطو

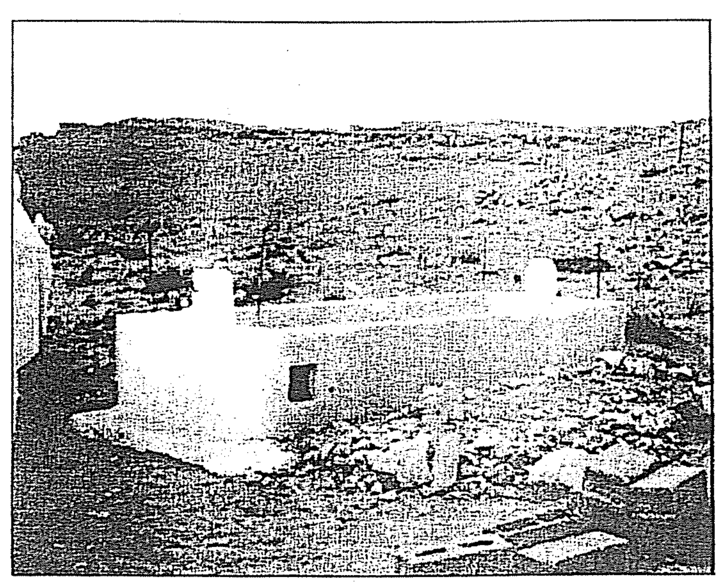
صور ووثائق



الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الناكوع الزنتاني الرجل الذي ناضل وقاد الجهاد الوطني طيلة عشرين سنة كاملة لم يساوم فيها ولم يهادن ولم يتراجع، كان مطلوباً من طرف السلطات التركية لانه يرفض الظلم والعبودية، وصار مطلوباً من طرف السلطات الايطالية لانه يرفض الاستعمار والاذلال والسيطرة.

انه قائد معارك القبلة وبطل معركة قارة سبها (معركة القاهرة).

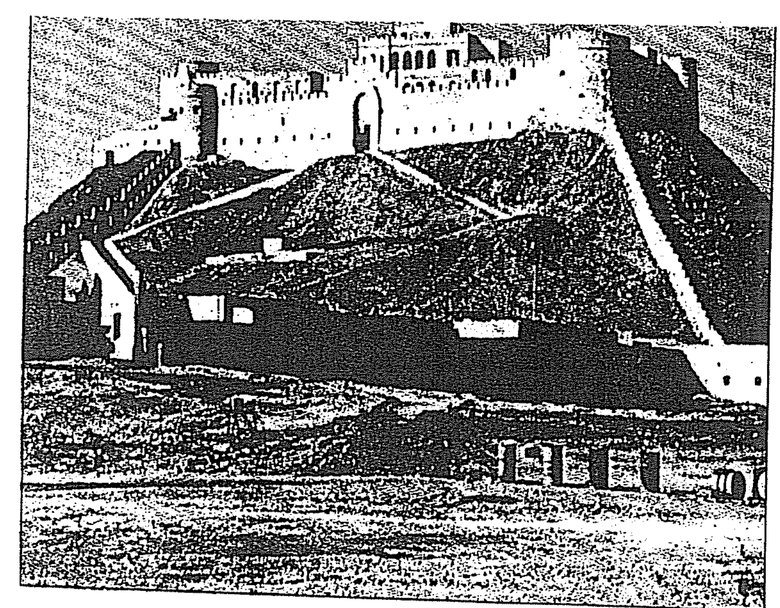
لقد عاش مناضلاً مجاهداً بكل شيء من أجل الوطن والحرية وكرامة الانسان، وتوفاه الله في القرية، موقع رأسه بعد ان تخلّصت بلاده من الاستعمار الايطالي، بلاده ليبيا العربية المسلمة، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



المكان الذي دفن فيه المجاهد الشيخ سالم بن عبدالنبي
وهو موقع رأسه أيضاً (القريات)
وقد خاض المعارك الكثيرة فيها وبقربها،
ويرى قبر الشهيد في مقبرة القرية الغربية.

وقد صدق الشاعر ابراهيم الاسطي عمر جين قال:

انت حي حسبك اليوم خلوداً   لم تمت يا صاحب الروح الكبيره
غاب عنا الجسم واختار الخلودا   غير ان الروح بالخلق جديره
في سبيل الحق قدمت شهيدا   ليس يرضى الناس من ارضى ضميره
كنت في الدنيا وفي العيش زهيدا   فانعم اليوم بذكراك الشهيده
انت حي في عداد الخالدينا   لم تمت ذكراك فينا ما بقينا



قارة سبها التي احتلها الشيخ سالم بن عبدالنبي في 28 نوفمبر سنة 1914م.

فارس الفئة وقائد سرية الغارة



المجاهد ابراهيم بن عبدالنبي الناكوع،
هو شقيق الشيخ سالم ورفيقه في الجهاد.





المجاهد إبراهيم بن عبدالنبي الناكوع وابنه البكوش.



الحاج محمد الصغير، الذي تحدث عن الجهاد وقد كان شاهد عيان رفقة والده المجاهد الصغير العائب الزنتاني.

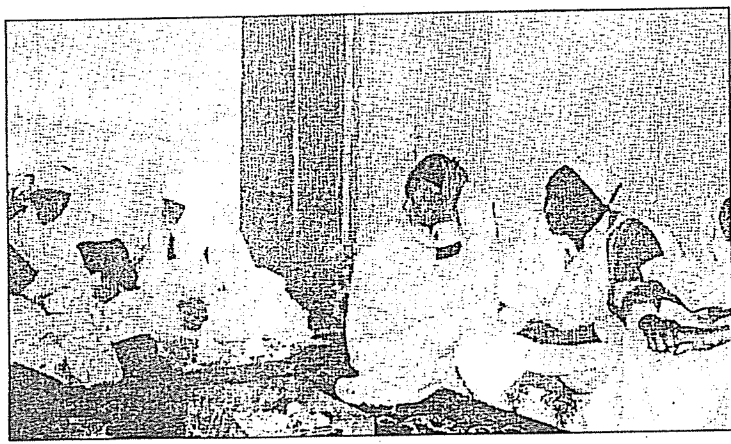
وكان قد رافق المؤلف في زيارة القريات للقاء أبناء الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي الناكوع.



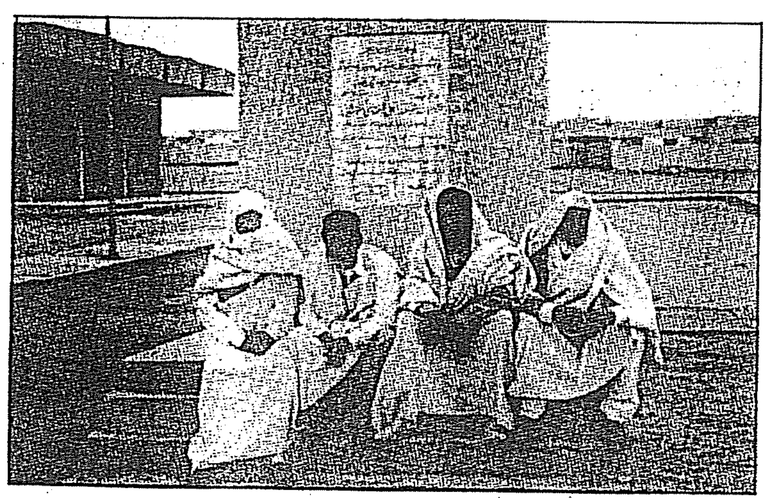
بعض أقارب الشيخ المجاهد سالم بن عبدالنبي وكانوا في زيارة للقريات حيث تم اللقاء مع أبناء المجاهد هناك.



ابن المجاهد، الحاج صالح بن سالم بن عبدالنبي وبعض أقاربه وهو يتحدث إلى المؤلف عن ذكرياته.



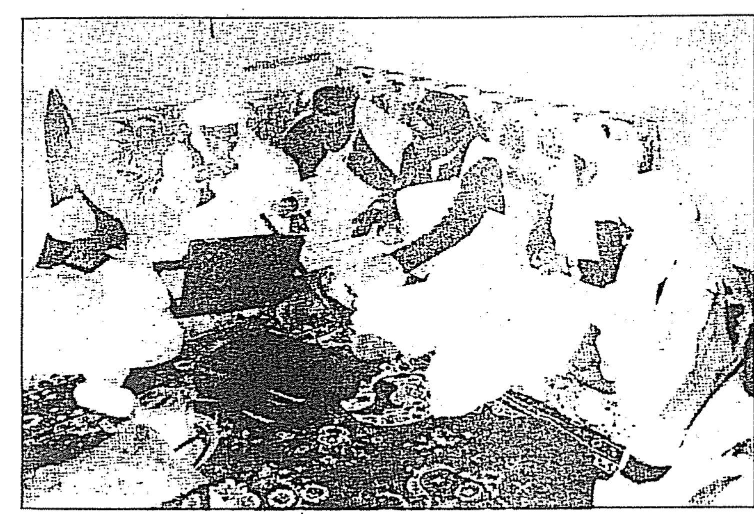
ابن المجاهد، الحاج المهدي يتحدث إلى الحاج محمد الصغير وبعض أقاربهما في مناسبة تسجيل ذكرياتهما عن الحرب.



أمام النصب التذكاري ابن المجاهد الحاج المهدي بن سالم بن عبد النبي وأبناء إخوة المجاهد.



المؤلف أمام النصب التذكاري مع ابن المجاهد وأبناء اخوته.



لقاء مع ابن المجاهد، الحاج صالح ين سالم بن عبدالنبي وقد تحدث عن ذكريات الحرب، وقدم للمؤلف بعض الوثائق التي كان قد احتفظ بها طويلاً، لانه كما قال كان يعلم ان هناك من سيأتي ليبحث عن الحقيقة، والحقيقة في هذه (الأوراق).



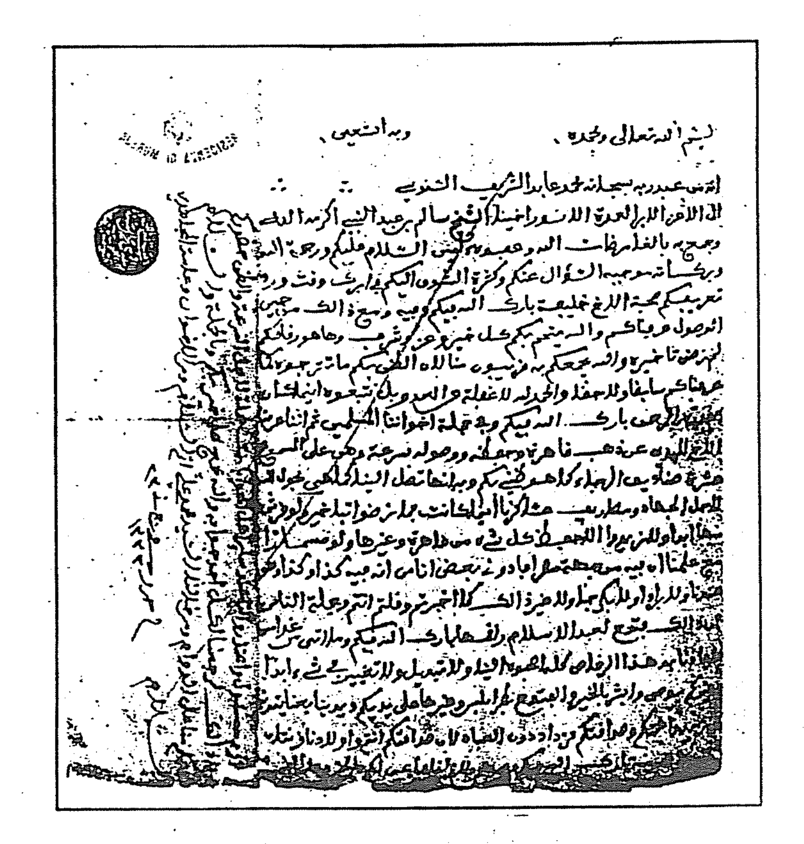
حديث ودي مع ابن المجاهد أثناء تسجيل الذكريات وقد كان كثير الشكوى بسبب ما كتب خطأ عن الحرب إلا أنه كان يقول إن الحقيقة لا يمكن أن تخفى.



رسالة سوف الى زعماء الزنتان بشأن وضع المجاهدين في سرت ومصراتة، مؤرخه في 14 ذي الحجة سنة 1314 هـ.



بعض أقارب الشهيد وأبناء اخوته.



بسم الله تعالى وحده

من عبد ربه سبحانه محمد عابد الشريف السنوسي

الى الأخ الأبر العزيز الانور اخينا الشيخ سالم بن عبد النبي أكرمه الله

رسالة السيد محمد عابد رضا السنوسي إلى الشيخ سالم بشأن غنائم القارة.

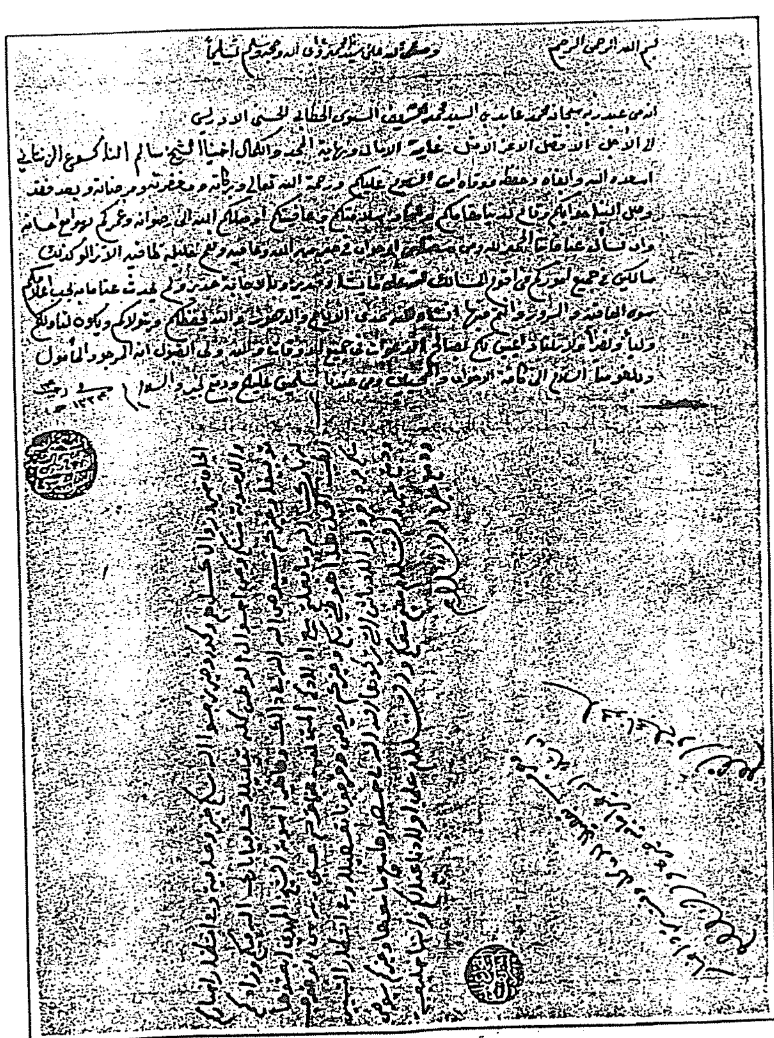
ورسالة الشيخ سليمان الباروني بشأن صلح ترهونة الى الشيخ سالم.

بسم الله الرحمن الرحيم

انه من عبد ربه سبحانه محمد رضا بن السيد محمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى الاجلاء الفضلاء الاعزاء [illegible]
كافة اخواننا الزنتان الذين بالرملة والوادي بدون تخصيص منهم كبيرهم وصغيرهم لا زالوا محفوظين [illegible]
[illegible] السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه موجبه السؤال عنكم وعن كافة
احوالكم التي هي غاية المقصود من الملك المعبود وصلكم الله الى رضوانه الاكبر واسبل عليكم رداء ستره [illegible]
وان سالتم عنا فانا وكافة الاخوان الذين بهذا الطرف بخير وعافية [illegible]
[illegible] في جميع اموركم اقوم المسالك [illegible]
[illegible] اعلامكم به سوى الخير والعافية ادام الله ذلك على الجميع بحرمة مكة والبقيع وجاه النبي الشفيع صلى الله
عليه وسلم وشرف وعظم وربنا سبحانه يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه بجاه نبيه ومصطفاه [illegible]
[illegible] السلام [illegible]
وجميع الاخوان ومن عندنا يسلم عليكم خالنا الشيخ السيد محمد علي وكافة الاخوان والسلام [illegible]
في محرم سنة ١٣٣٢



رسالة السيد محمد رضا السنوسي الى الشيخ سالم بشأن احتياجات الزاوية السنوسية.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

انه من عبد ربه سبحانه محمد عابد بن السيد محمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي
الى الاجل الافضل الاعز الامثل [illegible] والكمال اخينا الشيخ سالم [illegible]
اسعده الله وابقاه وحفظه [illegible] عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه وبعد فقد
[illegible]
[illegible]

رسالة عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن غنائم سبها..



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، من عبد ربه [illegible] السيد محمد العابد ابن السيد محمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى الاجل الابر الاعز الاكرم غاية الامال ونهاية الكمال اخينا الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني حفظه الله ورعاه ومن كل سوء وقاه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومرضاته وبعد فموجبه الاول السؤال عنكم وعن احوالكم لا زلتم بخير [illegible] عنا فاننا ولله الحمد ومن معنا من الاخوان والمحبين بخير وعافية [illegible] [illegible] عليكم اجمعين [illegible] والسلام

[illegible] ١٣٣٣

امير الجيش الاسلامي

[illegible]

رسالة السيد محمد عابد السنوسي بشأن الأسرى الايطاليين الى الشيخ سالم بن عبدالنبي..

تونس في ٣ سبتمبر ١٩٣٩

حضرة . وطني الغيور السيد الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني ببرج [illegible]

حفظه الله

تحية واحتراما، وبعد فان جمعيتكم جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين بتونس تضع ثقتها التامة في شخصكم المخلص وانها تعتمد على من الآن فصاعدا بأن تكونوا نائبا لها في كامل المراقبة التي انتم قاطنين بها. واننا في انتظار جوابكم على قبول هاته المهمة الشريفة التي اناطتها بعهدتكم الجمعية لنرسل لكم كمية من الدفاتر وبطاقات الانخراط في الجمعية. ونحيطكم علما ان كل بطاقة تسلمونها لمن اراد الانخراط في الجمعية لكم منها مقابل تعبكم معلوم تقييدها. فمن اراد الدخول في الجمعية بصفة عضو متبرع مثلا يجب عليه ان يدفع ١٥ فرنكا عشرة منها معلوم الاشتراك في صندوق الجمعية والخمسة الباقية معلوم التقييد فهي لك مقابل جهد منك؛

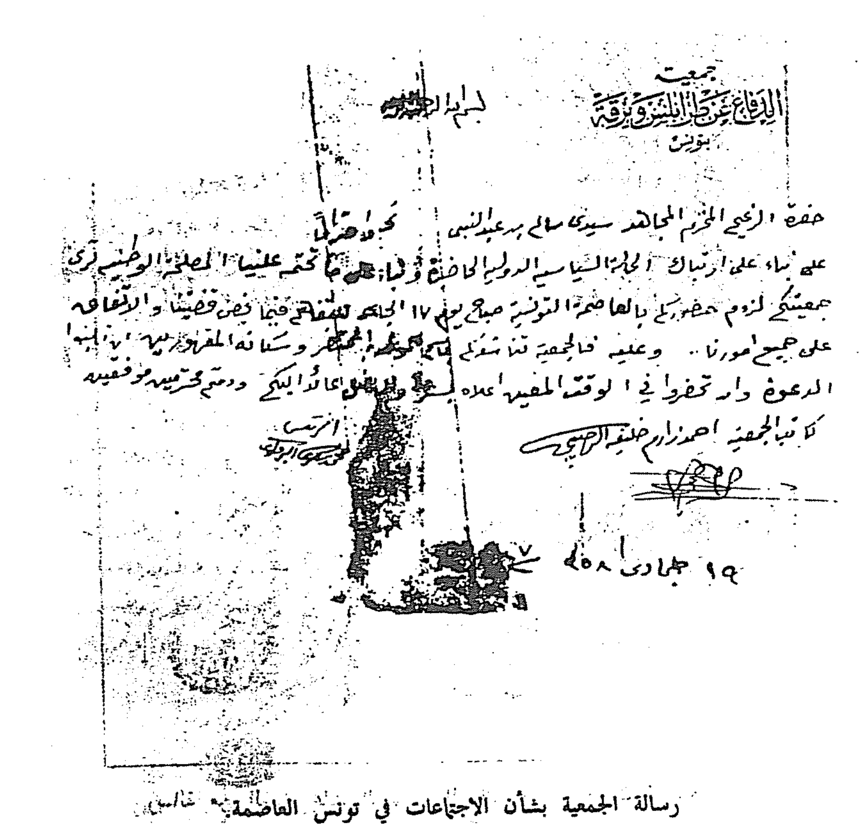
ولك ان تجعل في كل قرية من قرى المراقبة التي انت ساكن بها نائبا عنك لتستعين به على حصر اخواننا الطرابلسيين القاطنين هناك، وعلى خدمتك.

وليكن في علمك ان جمعيتنا هذه قد حظيت بالتفات عظيم وعناية فائقة من لدن الحكومة الفرنسية وستبدون انتم كامل العناية والتبجيل من جميع حكام جهتكم الافاضل ودمتم محترمين والسلام

كاتب رئيس الجمعية:

[illegible]

رسالة جمعية التوادد الى الشيخ سالم بشأن عضوية الجمعية.



جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الزعيم المحترم المجاهد سيدي سالم بن عبد النبي تحية واحتراما

على بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة وبناء على ما تحتم علينا المصلحة الوطنية ترى جمعيتكم لزوم حضوركم بالعاصمة التونسية صبح يوم ١٧ الجاري للمفاهمة فيما يخص قضيتنا والاتفاق على جميع امورنا .. وعليه فالجمعية [illegible] المدعوين وان تحضروا في الوقت المعين اعلاه [illegible] ودمتم محترمين موفقين

كاتب الجمعية احمد زارم خليفة [illegible]

الرئيس [illegible]

١٩ جمادى [illegible]

رسالة الجمعية بشأن الاجتماعات في تونس العاصمة

جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين

جمعية اسست طبق الامر العلي المورخ في ٦ اوت سنة ١٩٣٦

والامر العلي الصادر في ٢٨ جوان سنة ١٩٣٨

مركز الجمعية : نهج ————

اللجنة الاداريه

الرؤساء الشرفيون : هم السادات
- الحاج محمد فكيني
- سالم بن عبد النبى
- محمد بن الحاج حسن

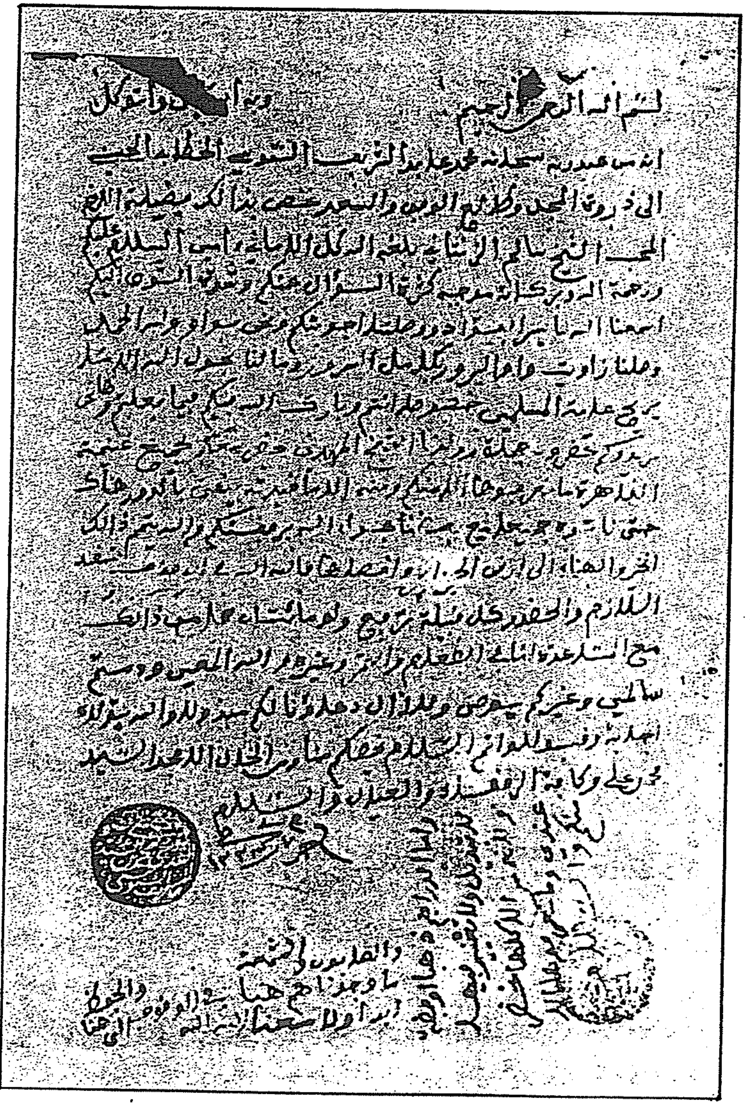
الكوامى الشرفيون: هم السادات
- محمد حلمي
- احمد بن الحاج خليفة النالوتى

الرئيس :	سى محمد عريقيب
كاهية الرئيس	سى محمد اسكندر
الكاتب العام :	سى احمد زارم
امين المال :	سى محمد شكري

غرض الجمعية

اسست جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين لغرس عواطف الاخوة بين المهاجرين المسلمين وبالخصوص لاعانة افرادها ماديا وادابيا

بيان بأسماء الرئيس ونواب الرئيس في جمعية التوادد والتعاضد بتونس.


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه التوكل

[illegible]

رسالة من السيد عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن الوضع العام.

تحريراً في محرم ٣٦٦

من ... الإخوان السنوسية محمد عابد السيد المهدي السنوسي

الى الشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: قال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون

أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

من المعلوم أننا سابقاً جهزنا ما فيه الكفاية لطرابلس وبرقة وأملنا الله وأملنا أن تتفقوا

وتتعاضدوا على مصلحة البلاد والعباد والصلاح امتثالاً لقوله جل علاه وتعاونوا على البر

والتقوى. والى الآن لم تتفقوا على ذلك مع أنكم [illegible] بالأخذ بالثأر من بعضكم بعضا

[illegible] من الإشاعات الواهية [illegible]

[illegible] في طريقة السلم التي [illegible]

[illegible] من حالة الوطن وتنكيل العدو مع ما شاهدناه من [illegible]

التي [illegible] ولا تركنوا الى الذين ظلموا

فتمسكم النار [illegible] أهل الجبل

[illegible] حيث أنتم مجاهدون [illegible] في سبيل الله

وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا

[illegible] يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت

أقدامكم [illegible] امتثالاً لقوله جل علاه يا أيها النبي

[illegible] الدين النصيحة

[illegible] الوكيل العام

رسالة السيد عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن الخلافات في الجبل بين المجاهدين.

رسالة السيد عابد السنوسي الى الشيخ سالم بشأن الخلافات في الجبل بين المجاهدين.

الرسالة التي وجهها الزنتان والرجبان والتوارق والسبعه والقديرات والغنائم

إلى المجاهد الشيخ عبدالنبي بالخير بشأن إعتقال الشيخ امحمد السنى

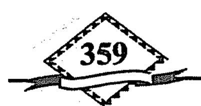
٢٧٨-٩



رسالة من نائب الأمير السيد عبدالجليل سيف النصر إلى الشيخ سالم بن عبدالنبي بشأن الحرب في الجنوب وطلب بعض المساعدات،،

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد تحريرا في [illegible]

إلى الجناب المحترم أخينا الشيخ سالم بن عبد النبي وأخينا محمد [illegible]
وعموم إخوتنا الزنتان والرجبان حماة الوطن وأنصار الدين [illegible]
إلى [illegible]
أما بعد مزيد السلام وكامل الاحترام عليكم ورحمة الله نعرفكم [illegible]
[illegible] على [illegible] توجه أخينا عبد النبي [illegible]
[illegible] بتحريكم في هذا الخصوص [illegible]
وفي [illegible] جهة الشراف [illegible]
عبد النبي [illegible]
في هذا النظر وعدم [illegible] أمرنا الأعظم السيد محمد ادريس
[illegible] وإياكم [illegible]
[illegible] هذا النظر لاحتلال عدو الدين للأوطان
[illegible] من الحمية الدينية [illegible]
الأخوة [illegible]
إليكم [illegible]
[illegible] هذه المادة [illegible]
الرجوع [illegible] مع خليفة [illegible] ونرجو الله [illegible]
وذلك بفضل الله [illegible]
[illegible] بالانسحاب [illegible]
نائب الأمير عبد الجليل سيف النصر



هذه صفحة من كتاب الضابط الايطالي بترنياني المعنون (الصحراء الطرابلسية، تحدث فيه عن معركة (قارة سبها) وكيف تم إحتلالها، ويذكر هناركان حرب الشيخ سالم بن عبدالنبي من المجاهدين الليبيين

سالم الرتا

1.

li Zintàn, ma vive con la sua famiglia un po' a *Ieffren*, *da.* Ex gendarme del Governo turco, tale qualità ebbe a ranto il Governo provvisorio, nel *Gebel*, di *Suleiman* el almente alle dipendenze dell'Italia (*Kiaina*, Gebel. 1920). feroci assalitori della Ghara di Sebha e tra i più ostili allo tà. Partecipò a numerose rapine ed a spedizioni militari i presidi (*Caban*, *Giose*, *Ieffren*). Attualmente è a Mizda, il nostro Comando di settore, e vive alle spalle di suo ge- n commerciante abbastanza ricco. Parolaio, dalla voce ca- agandista e specializzato nel diffondere false notizie.

سالم عبدالنبي الناكوع الزنتاني

Ben Abd En Nebì En Naqua Zintani.

i *Gheriet el Gharbia* (*Ghibla*: vicinanze dei pozzi di *Tabunia*) alcuni giardini a *Gheriet*, due case e molti ovini che manda a nelle *Edeièn*. Fu il comandante in capo della *mahàlla* che assa a tradimento la Ghara di Sebha. Devotissimo a *Mahdi Es Sunn* a *Uenzerig* (*Sciati*) da *Zintàn* un nucleo di 100 uomini per i la colonna d'attacco. Uomo molto intelligente, di formidabi dall'azione rapida e decisa, pagò sempre di presenza e fu sem prima fila durante i combattimenti. Egli può esser definito il *R Ese Scetèni* del'a *Ghibla*. Amico inseparabile di *Ali Scianta* (condannato nel 1925 all'ergastolo dai Tribunale Speciale o morto recentemente in Egitto), con lui si appropriò [illegible] danaro italiano trovato alla Ghara. Il Senusso Mohammed I er le sue molte malversazioni voleva farlo impiccare in Ub 1915), ma fu salvato per intercessione di *Mahdi Es Sunni*. Eg mai interrotta la propria attività ribelle contro il Governo d'It i è ormai specializzato nella organizzazione di *mahalle* agli ordi *di Sunni*. Attualmente si trova ad *Uenzerig*, nell'alta valle del Aveva due figli: *Abd En Nebi* e *Bubaker*: il primo è morto timento a Beni Ulid (1923), il secondo vive col padre ed è mu un braccio che gli fu spezzato dal morso di un cammello.

أحمد المحروق الزنتاني

med El Maharùga Zintani.

uno dei capi della *mahàlla* nella spedizione contro la Ghara ed uno dei più feroci ribelli *Zintàn*, responsabile anche di atr ntro i nostri soldati fatti prigionieri a Nalut. Fanatico, violent bile. Figura morale che ha molti punti di contatto con quella *Ben Askar* e degno della stessa fine...

أعضاء جمعية التعاضد والتعاون الليبية في تونس ويرى الشيخ سالم بن عبدالنبي على اليمين في الصف الأول،،



مقال كتبه الأستاذ عبدالرحمن عزام هذا الرجل المجاهد الذي رافق فترة الجهاد الليبى ضد الغزو الايطالي وكان عضوا في مجلس المجاهدين الليبيين ومستشارا لأغلب قادة الجهاد ثم صار امينا عاما للجامعة العربية وكانت له جهود مشكورة من أجل القضية الليبية ومطلب الإستقلال الوطني يذكره له كل ليبى مخلص، وكان المقال بمناسبة الحديث عن جهاد الليبيين ورأية فيهم

عبرة الحرب في الجزيرة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

قامت الحرب في الايام الاخيرة بين عاهلي الجزيرة العربية الملك ابن سعود، والامام يحيى ملك اليمن. وقد تشاءم الناس بوقوع هذه الحرب، وأخذ كل يتكهن بنتائجها السيئة. وفي هذا المقال يتحدث الوطني الكبير الاستاذ عبد الرحمن عزام عن العبرة من هذه الحرب، وأنها في مصلحة الجزيرة العربية أكثر منها في ضررها

قبل ربع قرن كان فى الغرب رجل مبعد عن مقر الخلافة والسلطنة العثمانية، ولكنه لم يكن يشاطر المنفيين من رجال تركيا الفتاة آلام الحياة فى فزان بل كان والياً على ملك يمتد من حدود مصر الى تونس. ذلك هو المرحوم رجب باشا الذى دعى من منفاه فى ولاية طرابلس الى منصب وزير الحربية عقب الانقلاب التركى سنة ١٩٠٨

كان رجب باشا رجلا فذاً غريب الاطوار بعيد النظر فوقع أثناء ولايته حادث جرالى حرب طاحنة بين قبائل الزنتان والرجبان وأولاد أبى سيف. وكان بين يدى رجب باشا من الوسائل المادية ما يمكنه من منع الحرب أو ايقافها على الاقل كما أن له من النفوذ الادبى ما يعينه على عمل ما يريده ولكنه أبى أن يتدخل وواجبه ـ فضلا عن آمال الناس فيه ـ أن يتدخل. فعجب الناس من أمره وألحفوا فى سؤاله وهو لا يجيب. فلما جاء دور الاجابة عمل لانهاء الحرب واقرار السلم. ثم همس فى أذن الناس أنه أراد أن تتعلم هذه القبائل صناعة الحرب وأنه لذلك يأمل أن يكون الزنتان والرجبان وأولاد أبى سيف أعصى القبائل على الطليان وأمنعها فى الدفاع عن البلاد يوماً ما. ولم يعش رجب باشا طويلا ليرى كيف تحققت نبوءته. فان هذه القبائل استمرت فى الكفاح ضد الطليان عشرين سنة حتى خرجت من أوطانها مهاجرة الى الجزائر فى سنة ١٩٣٠

☆ ☆ ☆

هذا المثل ومافيه من عبرة جعلنى من أقل الناس تشاؤما من حرب الجزيرة العربية فى الشهور الاخيرة. فكنت لا أشاطر الناس كل الحسرة التى يبدونها. وكنت أقول لأصدقائى إن الحرب صناعة ولا بد لهذه القبائل العربية من ممارستها

والحقيقة أن الحرب فى ذاتها شر ولكن أسوأ منها الركود الذى أصاب اليمن والذى كنت أخشى أن يصيب النهضة السعودية. إن ماوصل الى علمى عن حالة اليمن كاد يجعل قدرها محتوماً فالامام [illegible]

المراجع

1- نحو فزان، رودولفو غراتسياني – ترجمه طه فوزى

2- ليبيا أثناء العهد العثمانى الثانى، فرانشيسطو كورو – ترجمة التليسى

3- قصائد الجهاد الليبى – مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

4- عشر سنوات في بلاط طرابلس، ريتشارد توللى – ترجمة عمر الديوارى

5- من داخل معسكرات الجهاد في طرابلس، جورج ريمون – ترجمة أحمد عبدالكريم

6- معجم معارك الجهاد في ليبيا – خليفه التليسى

7- تاريخ ليبيا العام – محمد بن مسعود

8- موسوعة روايات الجهاد – مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

9- تاريخ العرب قبل الإسلام – د- جواد على

10- رزايات شفوية (أبناء الشيخ سالم بن عبدالنبي وشهود عيان)

كتب صدرت للمؤلف

1- المسطرة الحاسبة – سنة 1966م – أعيد نشره ثلاث مرات

2- هندسة الراديو والتلفزيون – 1967م – أعيد نشرة أربع مرات

3- حرب الشرق الاوسط بين الحقيقة والخيال 1967م – أعيد نشره مرة واحدة

4- مستقبل التلفزيون الملون- 1968م – أعيد نشره مرة واحدة

5- مذكرات جندى في سيناء، ترجمه 1968م

6- مولد دولة افريقية، ترجمه 1971م – أعيد نشره مرة واحدة

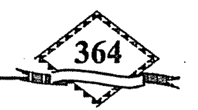
7- ثورة الادغال في افريقيا، ترجمه 1978م

8- وثائق الوحدة لا وثائق اكتوبر تأليف 1979م – أعيد نشره مرتان

9- خرافة الستار الحديدى حول بلاد السوفييت، تأليف 1980م – أعيد نشرة وترجم إلى عدة لغات منها الروسية والدارية والألمانية

10- نفط الشرق الاوسط وازمة الطاقة في العالم، ترجمه 1981م – أعيد نشره مرة واحدة

11- الاتحاد السوفيتى نظرة من الداخل، تأليف 1985م – أعيد نشرة وترجم إلى عدة لغات كالإنجليزية والروسية والدارية والألمانية



12- تاريخ المخابرات الاسرائيلية، ترجمه 1990م

13- عدوى نفسى، اسرار الانتفاضة الاولى، ترجمه 1990م – أعيد نشره مرة واحد

14- الفقى مصباح مؤذن الفجر، روايه، تأليف 1991م – أعيد نشرها مرة واحدة

15- مذكرات ذو الفقار على بوتو، ترجمه 1993م – أعيد نشره ثلاث مرات

16- تدمير العراق بعد 135 يوما من المبادرات الدولية، ترجمه 1993م

17- حقيقة معارك الدفاع عن الجبل الغربى، تأليف 1993م

18- قائد معركة القاره ومعارك القبله، سالم بن عبدالنبي ، تأليف 1993م

19- تاريخ الشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفييتى سابقا، ترجمه 1999م

20- الجهاد الوطني ادب وتاريخ، تأليف، 1999م – أعيد نشره مرة واحدة

21- تاريخ الاسلام والمسلمين في البوسنا والهرسك، ترجمه 2000م

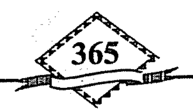
22- قبرص من معاويه إلى اجاويد، تأليف 2000م – أعيد نشره وترجم إلى اللغة اليونانية والتركية

23- مسافر يبحث عن الموت، جزء اول، روايه، تأليف 2000م

24- ليلة الحلم الطويل روايه، تأليف 2001م

25- شهداء الكردون العشره، تأليف 2001م

26- مسافر يبحث عن الموت، جزء ثانى، روايه، تأليف 2002م



27- أزمات السودان بين الديموقراطية والديكتاتورية، تأليف 2003م

28- الليبيون والثورة الجزائرية، تأليف 2004م

29- حجارة من سجيل، الانتفاضتان، دروس ونتائج، تأليف، مخطوط

30- رحلة في الصحافة، 1960- 1995م، مخطوط

31- جمال عبدالناصر رجل العرب – تأليف – 2009م

32- اسهامات الليبيين في النضال الفلسطينى من الحسينى إلى عرفات تأليف، 2005م

33- الجهاد الوطني ادب وتاريخ، الجزء الثانى، تأليف 2005م

34- الفقى مصباح في مستشفي المجانين، رواية، جزء ثانى 2005م

35- إنهيار الأتحاد السوفييتى والتغييرات المدوية في العالم – تأليف، 2006م

36- تاريخ غرب أفريقيا السمراء – ترجمة – 2007م

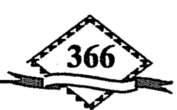
37- معركة العميان ن واحدة من معجزات الجهاد الوطني الليبى، تأليف، 2007م

38- محنة وطن بين متوّجع وشامت – رواية تأليف، 2009م

39- غموض التسلح النووى الإسرائيلى، ترجمة – 2009م

40- تاريخ شعوب وبلدان ودول أفريقيا المعاصر – ترجمة – تحت الإعداد 2011م

41- تآزر الشعب الليبى والتونسى عبر التاريخ - تأليف – 2011م



مسرحيات

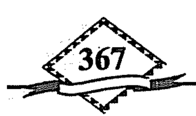
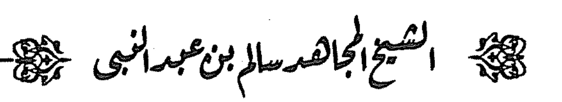
1- المجد في اربعة فصول

2- صخب المدينة في فصلان

3- الجشع في اربعة فصول

4- الرجل الذي لم يفقد الانتماء في خمسة فصول

***

الفهرس

❊ ❊ ❊